

إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد

تأليف الفقير إلى عبوربه

عبد العزيز المحمّد السّامرائي

رحمه الله

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الطبعة الثالثة عشرة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير

الموكل عنهم إبراهيم بن علي العودة

جزاهم الله كلهم خيراً

جوال ٠٥٠٥٢٦٥٥٠١

من أراد طباعته لوجه الله تعالى لا يريد به عرضاً من الدنيا فقد أذن له
وجزاه الله عني وعن المسلمين خيراً . أسأل الله الكريم العلي العظيم الرؤوف
الرحيم أن ينفع به من قرأه ومن سمعه وأن يأجر من دل عليه أو سعى به إلى
من ينتفع به . اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد العزيز بن محمد السلمان

رحمه الله

عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ

الطبعة الثالثة عشرة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

طبع على نفقة جماعة من المحبين للخير

الموكل عنهم إبراهيم بن علي العودة

جزاهم الله كلهم خيراً

جوال ٠٥٠٥٢٦٥٥٠١

مَنْ أَرَادَ طَبَاعَتَهُ لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُزِيدُ بِهِ عَرْضاً مِّنَ الدُّنْيَا فَقَدْ أَذِنَ لَهُ
وَجَزَاهُ اللَّهُ عَنِّي وَعَنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْراً . أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ الْعَالِي الْعَظِيمَ الرَّؤُوفَ
الرَّحِيمَ أَنْ يَنْفَعَهُ بِهِ مَنْ قَرَأَهُ وَمَنْ سَمِعَهُ وَأَنْ يَأْجُرَ مَنْ دَلَّ عَلَيْهِ أَوْ سَعَى بِهِ إِلَى
مَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد القهار العزيز الغفار مُقَدِّرَ الأقدار ومُصَرِّفَ الأمور على ما يَشَاءُ ويختار ومُكَوِّرَ الليل على النهار .

الواحد الأحد الفرد الصمد العليم الحكيم الذي أَيْقَظَ مِنْ خُلُقِهِ مَنْ اصْطَفَاهُ فأَدْخَلَهُ فِي جُمْلَةِ الأَخْيَارِ وَوَفَّقَ مَنْ اخْتَارَ مِنْ عِبِيدِهِ فَجَعَلَهُ مِنَ الأَبْرَارِ .
وبَصَّرَ مَنْ أَحَبَّهُ مِنْ خَلْقِهِ لِلْحَقَائِقِ فَزَهَدُوا فِي هَذِهِ الدَّارِ فَاجْتَهَدُوا فِي مَرْضَاتِهِ وَالتَّأَهُبِ لِذِي القَرَارِ .

وبعد فإني لما نظرت في غفلتي عن اكتساب الزاد المُبْلَغِ لِيَوْمِ المعاد ورأيت أوقاتي قَدْ ضَاعَتْ فيما لا يَنْفَعُنِي فِي مَعَادِي ورأيتُ اسْتِعْصَاءَ نَفْسِي عما يُوْنِسُنِي فِي رَمْسِي لا سِيَّما والشيطانَ والدنيا والهوى مَعَهَا ظهير .

فَعَزَمْتُ على جمع ما تيسَّرَ مِنَ الكِتَابِ والسنة وكلام العلماء والحكماء والزهاد والعباد مِمَّا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ سَبباً نافعاً حائلاً لي وإخواني مِنَ المسلمين الذين أَصِيبُوا مِثْلِي بِضِياعِ أوقاتهم فيما لا يَنْفَعُ ولا يُجْدِي على الاستعداد والتأهب لِيَوْمِ المعاد .

أَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ الحَيَّ القَيُومَ الواحِدَ الأَحَدَ الفَرْدَ الصَّمَدَ ذَا الجلال والإكرام الرؤوفَ الرحيمَ رَبَّ العرشِ العَظِيمِ أَنْ يَجْعَلَهُ خالِصاً لِيُوجِهَهُ الكَرِيمِ .
وَأَنْ يَنْفَعَهُ بِمَنْ قَرَأَهُ وَمَنْ سَمِعَهُ وَجَمِيعَ المسلمين وَأَنْ يَفْتَحَ لَنَا وَلَهُمْ أَبْوابَ القَبُولِ والإجابة . وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وَمَنْ أَرَادَ طِبَاعَتَهُ لِيُوجِهَهُ اللهُ تَعَالَى لا يُرِيدُ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا فَقَدْ أَذِنَ لَهُ وَجَزَاهُ اللهُ عَنِّي وَعَنِ المسلمين خيراً إِنَّهُ وَاسِعٌ كَرِيمٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .
اللهم صل على محمد وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ .

عبد العزيز بن محمد بن سلمان

فصل

إِعْلَمْ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ شَيْئاً مِنَ الطَّاعَاتِ وَإِنْ قَلَّ أَنْ يُحْضِرَ النِّيَّةَ وَهِيَ أَنْ يَقْصُدَ بِعَمَلِهِ رِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَكُونَ نِيَّتُهُ حَاضِرَةً حَالَ الْعَمَلِ .

وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْعِبَادَاتُ كُلُّهَا مِنْ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَالْوُضُوءِ وَالتَّيْمِمْ وَالْاِعْتِكَافِ وَالصَّدَقَةِ وَقِضَاءِ الْحَوَائِجِ وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ وَابْتِدَاءِ السَّلَامِ وَرَدِّهِ وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَإِجَابَةَ الدَّعْوَةَ وَحُضُورَ مَجَالِسِ الْعِلْمِ وَالْأَذْكَارِ وَزِيَارَةَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَخْيَارِ لَا لِقْصِدِ دُنْيَوِي .

وَالنَّفَقَةَ عَلَى الْأَهْلِ وَالضَّيْفِ وَإِكْرَامِ الْأَقْرَابِ وَبِرِ الْوَالِدِينَ وَإِكْرَامِ أَهْلِ الْوُدِّ وَالْأَصْدِقَاءِ وَذَوِي الْأَرْحَامِ وَمُذَاكِرَةَ الْعِلْمِ وَالْمُنَاطَرَةَ فِيهِ وَتَكَرُّرَهُ وَتَدْرِيسَهُ وَتَعَلُّمَهُ وَتَعْلِيمَهُ وَمَطَالَعَتَهُ وَكِتَابَتَهُ وَتَصْنِيفَهُ وَالْفَتَاوَى .

وَبِذَلِكَ الْجَاهِ لِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ وَخُصُوصاً طَلَبَةَ الْعِلْمِ وَمُسَاعَدَتِهِمْ فِيهِ وَفِي شُؤْنِهِمُ الْخَاصَّةِ وَتَشْجِيعِهِمْ وَحَثِّهِمْ عَلَى الْعُلُومِ النَّافِعَةِ وَتَحْذِيرِهِمْ مِنَ الْبِدْعِ وَأَهْلِهَا وَتَحْذِيرِهِمْ مِنَ الْعُلُومِ الضَّارَّةِ وَالْعُلُومِ الَّتِي ضَرَرُهَا أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهَا .
وَمَا أَشْبَهَ هَذِهِ الْأَعْمَالَ حَتَّى إِنَّهُ يَنْبَغِي لَهُ إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ أَوْ نَامَ يَقْصُدُ بِذَلِكَ التَّقْوِيَّ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ أَوْ رَاحَةَ الْبَدَنِ لِلتَّنْشِيطِ لِلطَّاعَةِ وَكَذَلِكَ إِذَا أَرَادَ جَمَاعَ زَوْجَتِهِ يَقْصُدُ إِصَالَهَا حَقَّهَا وَتَحْصِيلَ وَلَدٍ صَالِحٍ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى وَإِعْفَافِ نَفْسِهِ وَصِيَانَتِهَا عَنِ التَّطَلُّعِ إِلَى الْحَرَامِ وَالْفِكْرِ فِيهِ .

وَمَنْ حُرِّمَ النِّيَّةَ فِي هَذِهِ الْأَعْمَالَ فَقَدْ حُرِّمَ خَيْراً كَثِيراً وَمَنْ وَفَّقَ فَقَدْ أَوْقَى فَضْلاً عَظِماً . فَسَأَلَ اللَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْوَاحِدِ

الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد التوفيق لذلك
وسائر وجوه الخير .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول
« إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ
وَرَسُولِهِ فَهَاجَرْتَهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا
فَهَاجَرْتَهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » متفق عليه .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فقال
« إِنْ بِالْمَدِينَةِ لِرَجَالٍ مَا سَرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَاذْيَاءً إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ حِسْبَهُم
الْمَرَضُ وَفِي رَوَايَةٍ شَرَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ » رواه مسلم .

وروى البخاري عن أنس قال رجعنا من غزوة تبوك مع النبي ﷺ فقال
« إِنْ أَقْوَامًا خَلَفْنَا بِالْمَدِينَةِ مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وَاذْيَاءً إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا حِسْبَهُم الْعَنْدَرُ »
وهذا دليل على فضل النية لأنهم كتب لهم أجر الغزو بالنية .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه
تبارك وتعالى قال « إِنْ اللَّهُ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيْنَ ذَلِكَ .

فَمَنْ هُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً
وَإِنْ هُمْ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضَعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ
كَثِيرَةٍ . وَإِنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً وَإِنْ هُمْ بِهَا
فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً » متفق عليه .

ذِكْرُ بَعْضِ الْفَوَائِدِ وَالْمَوَاعِظِ الْمِيقِظَةِ لِلْقُلُوبِ الْغَافِلَةِ

(١) إعلم أيها الانسان أن النفسَ الأمارَةَ بالسوءِ عدوةٌ لكَ مع إبليسَ لَعَنَهُ اللهُ ، وإنما يتقوى عليك الشيطانُ بهوى النفسِ وشهواتها ، فهي سلاحُه الذي يَصِيدُ به وهَلْ أَوْقَعَ إبليسَ في كبره ومَعْصيته إلا نَفْسُهُ ، قال اللهُ جل وعلا وتقدس ﴿إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَارَةٍ بِالسُّوءِ﴾ .

فلا تُغْرُوكَ نَفْسُكَ بِالْأَمَانِيِّ وَالغُرُورِ ، لأنَّ مِنْ طَبَعِ النَّفْسِ الْأَمْنِ وَالغَفْلَةَ وَالرَّاحَةَ وَالْفِتْرَةَ وَالْكَسَلَ وَالْعَجْزَ فَذَعْوَاهَا بَاطِلٌ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْهَا غُرُورٌ وَإِنْ رَضِيَتْ عَنْهَا وَاتَّبَعْتَ أَمْرَهَا هَلَكْتَ ، وَإِنْ غَفَلْتَ عَنْ مُحَاسِنَتِهَا غَرَقْتَ ، وَإِنْ عَجَزْتَ عَنْ مُخَالَفَتِهَا وَاتَّبَعْتَ هَوَاهَا قَادَتْكَ إِلَى النَّارِ .

وهي رأسُ البلياءِ ، وَمَعْدِنُ الْفَضِيحَةِ ، وهي خِزَانَةُ إبليسَ ، وَمَأْوَى كُلِّ شَرٍّ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا خَالِقُهَا نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا .

(٢) يَنْبَغِي لِلانسانِ الْعَاقِلِ أَنْ يُبَادِرَ بِالتَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ الْمَاضِيَةِ وَالْحَاضِرَةِ مِنَ رِيَاءٍ أَوْ كِبَرٍ أَوْ عُقُوقٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ أَوْ كَذِبٍ أَوْ غِيْبَةٍ أَوْ نَمِيمَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ .

فَبَادِرْ مَتَاباً قَبْلَ يُغْلَقُ بِأَبْوِهِ وَتُطْوَى عَلَى الْأَعْمَالِ صُحُفُ التَّزْوُدِ وَمِثْلُ وَرُودِ الْقَبْرِ مَهْمَا رَأَيْتَهُ لِنَفْسِكَ نَفَاعاً فَقَدَّمْهُ تَسْعِيدِ وَيتفكر فيما يُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ وَيُنْجُو بِهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَيُقْصِرُ الْأَمَلَ وَيُكْثِرُ مِنَ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَجْتَنِبُ الْمُنَاهِيَ كُلَّهَا وَيُصَبِّرُ نَفْسَهُ وَيَسْأَلُ اللَّهَ الثَّبَاتَ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ حَتَّى الْمَمَاتِ .

(٣) قَبِلْ إِنْ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِمَلِكِ الْمَوْتِ إِنِّي أَسْأَلُكَ حَاجَةً قَالَ وَمَا هِيَ قَالَ أَنْ تُعَلِّمَنِي إِذَا دَنَى أَجَلِي وَأَرَدْتَ أَنْ تَقْبِضَ رُوحِي ، فَقَالَ نَعَمْ أُرْسِلُ إِلَيْكَ رَسُولَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً .

فلما إنقضى أجله أتى إليه ملك الموت فقال أذا تر جئت أم لقبض رُوحِي ،
فقال لقبض رُوحك فقال أولست كنت أخبرتني أنك ترسل إلي رسولين أو ثلاثة
قال قد فعلت .

١ - يياضُ شعرك بعد سواده .

٢ - ضُفُفُ بدنك بعد قوته .

٣ - وإنجناؤ جسمك بعد استقامته .

هذه رُسُلِي يا يعقوب إلى بني آدم قبل الموت

شعراً :

مَضَى الدهرُ والأيامُ والذُّنُبُ حَاصِلٌ وَجَاءَ رسولُ الموتِ والقلبُ غَافِلٌ
نَعِيمُكَ فِي الدُّنْيَا غُرُورٌ وَحَسْرَةٌ وَعَيْشُكَ فِي الدُّنْيَا مُحَالٌ وَبَاطِلٌ

آخر :

تَفَكَّرْتُ فِي حَشْرِي وَيَوْمَ قِيَامَتِي وَإصْبَاحِ خَدْيِي فِي المَقَابِرِ ثَاوِيَا
فَرِيداً وَجِيداً بَعْدَ عِزٍّ وَمِنَعَةٍ رَهِيناً بِجُرْمِي وَالثَّرَابِ وَسَادِيَا
تَفَكَّرْتُ فِي طُولِ الحِسَابِ وَعَرْضِهِ وَذُلِّ مَقَامِي حِينَ أُعْطِيَ حِسَابِيَا
وَلَكِنْ رَجَائِي فِيكَ رَبِّي وَخَالِقِي بَأْنِكَ تَعْفُوا يَا إِلَهِي خَطَائِيَا

أشرف الأوقات التي يعمرها الإنسان ما تقضي بطاعة الله ، ومن أراد حفظ

أوقاته فليجعل كلامه ذكراً وصمته تفكيراً ونظرة عبرة وعمله برا .

شعراً :

لَا يَحْقِرُ الرَّجُلُ الرَّفِيعُ دَقِيقَةً فِي السَّهْوِ فِيهَا لِلْوَضِيعِ مَعَاذِرُ
فَكَبَائِرُ الرَّجُلِ الصَّغِيرِ صَغِيرَةٌ وَصَغَائِرُ الرَّجُلِ الكَبِيرِ كَبَائِرُ

وقال آخر : إذا رأيت من قلبك قسوة فأكثر من تلاوة كتاب الله

بتدبر وتفكر وجالس الذاكر لله واصحب الزاهدين وعليك بالسنة وسيرة النبي

ﷺ وسيرة أصحابه رضى الله عنهم أجمعين .

(٤) ذُكِرَ عن شقيق البلخي أنه قال : الناس يقولون ثلاثة أقوال ، وقد خالفوها في أعمالهم ، يقولون نحن عبيد الله ، وهم يعملون عمل الأحرار ، وهذا خلاف قولهم ، ويقولون إن الله كفيلاً بأرزاقنا ، ولا تطمئن قلوبهم إلا بالدنيا وجمع حطامها ، وهذا خلاف قولهم ، ويقولون لأبد لنا من الموت ، وهم يعملون أعمال من لا يموت وهذا خلاف قولهم .

(٥) وقال عيسى عليه السلام : يا معشر الحوارين إرضوا بدينىء الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدينىء الدين مع سلامة الدنيا : وفي معنى ذلك قيل :

أرى رجالاً بأذنى الدين قد فنعوا وما أراهم رضوا في العيش بالدون
واستغن بالدين عن دنيا الملوك كما است تغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال علي رضى الله عنه من جمع سيئ خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا
عن النار مهرباً أولهما من عرف الله فأطاعه .

وعرف الشيطان فعصاه .

وعرف الحق فاتبعه .

وعرف الباطل فاتقاه .

وعرف الدنيا فرفضها .

وعرف الآخرة فطلبها .

شعراً :

إن امرأ باع أخراه بفاحشة من الفواحش يأتيها لمعبون
ومن تشاغل بالدنيا وزخر فيها عن جنة ما لها مثل لمفتون
وكل من يدعي عقلاً وهمته فيما يبعد عن مولاه مجنون

(٧) وقال ابن مسعود ما أصبح أحد إلا وهو ضيف وماله عارية
فالضيف مُرْتَجِلٌ والعارية مَرْدُوءَةٌ وفي ذلك قيل :

وما المال والأهلون إلا وَدِيعَةٌ ولا بُدَّ يوماً أن تُرَدَّ الودائعُ

(٨) وقال بعضهم الدنيا جيفة فَمَنْ أَرَادَ مِنْهَا شَيْئاً فَلْيَصْبِرْ عَلَى مُعَاشِرَةِ

الكلابِ ، وفي ذلك يقول الشافعي :

وما هِيَ إلا جِيفَةٌ مُسْتَجِيلَةٌ عليها كِلَابٌ هَيْمُنُّ اجْتِدَابُهَا

(٩) وقال أبو أمامة رضي الله عنه : لما بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ أتت إبليسَ

جنوده فقالوا قد بُعِثَ نبي وأُخْرِجَت أُمَّةٌ ، قال يُجِبُونَ الدنيا ، قالوا نعم قال
لئن كانوا يُجِبُونَ الدنيا ما أبالي أن لا يَعْبُدُوا الأوثانَ وإنما أَعْدُوا عليهم وأرُوحُ
بِثلاث ، أخذ المالَ مِنْ غَيْرِ حَقِّهِ ، وإنفاقَهُ في غيرِ حَقِّهِ ، وأمسأكَه عن حَقِّهِ
والشَّرُّ كُلُّهُ مِنْ هَذَا نَبْعٌ .

(١٠) وقال لقمان لابنه : يا بُنَيَّ إِنَّكَ اسْتَدْبَرْتَ الدنيا مِنْ يَوْمِ نَزَلَتْهَا

وَاسْتَقْبَلْتَ الآخِرَةَ فَأَنْتَ إِلى دَارٍ تُقْرَبُ مِنْهَا أَقْرَبُ مِنْ دَارٍ تَبَاعَدْتَ عَنْهَا .

شعرا :

وما هَذِهِ الأَيامُ إِلا مَرَاجِلٌ تُقْرَبُ مِنْ دَارِ اللِّقَا كُلِّ مُبْعَدِ
وَمَنْ سَارَ نَحْوَ الدَّارِ حَمْسِينَ حَاجَةً فَقَدْ حَانَ مِنْهُ المُلتَقَى وَكَأَنَّ قَسِدِ
آخِرِ : نَسِيرٌ إِلى الآجالِ في كُلِّ لَحْظَةٍ وَأَيامُنا تُطَوَى وَهِنَّ مَرَاجِلُ

(فـ صـ ل)

(١١) وقال الفضيل بن عياض : الدخولُ في الدنيا هَيِّنٌ ولكن الخروجُ

منها هو الشديد .

(١٢) وقال آخر : عَجَباً لِمَنْ عَرَفَ أَنَّ المَوْتَ حَقٌّ كَيْفَ يَفْرَحُ ،

وعجباً لمن عَرَفَ النَّارَ وأنها حق كيف يضحك ، وعجباً لمن رأى تَقَلَّبَ الدنيا بأهلها كيف يَطْمَئِنُّ إليها ، وعجباً لمن يعلم أن القدرَ حَقَّ كيف يَنْصَبُ .

قال مالك بن دينار : إصْطَلَحْنَا على حُبِّ الدنيا ، فلا يأمر بعضنا بَعْضاً ، ولا يَنْهَى بَعْضُنا بعضاً ، ولا يدعنا الله على هذا فليت شِعْرِي أي عذاب الله يَنْزِلُ عَلَيْنَا .

وقيل لِيَشِيرَ ماتَ فلانُ فقال ، جَمَعَ الدنيا وذهَبَ إلى الآخرة وضِيعَ نَفْسِهِ .

وقال آخر : الدنيا تَبْعُضُ إلينا ونحن نجبها فكيف لو تَحَبَّبَتْ إلينا .
وقال آخر : لا يَصْبِرُ عن شهوات الدنيا إلا مَنْ كان في قَلْبِهِ ما يَشغُلُهُ بالآخرة .

وقال آخر : يَعِظُ أحأله في الله وَيُخَوِّفُهُ بالله ، فقال يا أخي إن الدنيا دَحْضٌ مَزَلَّةٌ ، ودارٌ مَذَلَّةٌ ، عُمُرُها إلى الخراب صائِرٌ ، وعامرها إلى القبور زائرٌ ، شَمَلُها على الفرقة موقوفٌ ، وغناها إلى الفقر مصروفٌ ، الإكثار فيها إعسار والإعسار فيها يسار .

فافزعْ إلى الله وارضى برزق الله ، لا تَتَسَلَّفُ من دار فَنائِكَ إلى دارِ بقائك فإن عَيْشَكَ في الدنيا فيءٌ زائلٌ وجِدَارٌ مَائِلٌ أَكْثَرُ من عَمَلِكَ وأَقْلَلُ من أَمَلِكَ .

وقال يَحْيَا بنُ مُعَاذِ العُقلاء ثلاثةٌ من تَرَكَ الدنيا قَبْلَ أن تُتْرَكَهُ ، وبنَى قَبْرَهُ قَبْلَ أن يَدْخُلَهُ وأَرْضَى خَالِقَهُ قَبْلَ أن يَلْقَاهُ .

وقال بُنْدَارٌ إذا رَأَيْتَ أبناءَ الدنيا يَتَكَلَّمُونَ بِالرُّهْدِ فاعلم أنهم في سُخْرِيَةِ إبليس .

وذكر أناسٌ الدنيا وأقبلوا على ذمها عند رابعة العَدْوِيَّةِ ، فقالت اسكُتُوا عن ذِكْرها فلولاً موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذِكْرها ، إن مَنْ أحب شيئا

أكثر من ذكره .

شعراً :

ألا إنما الدنيا كجيفة ميتة وطلأها مثل الكلاب الهوامس
وأعظمهم ذمًا لها وأشدهم بها شغفًا قوم طوال القلائس
وقال آخر : الدنيا مزبلة ومجمع كلاب وأقل من الكلاب من عكف
عليها ، فإن الكلب يأخذ من الجيفة حاجته وينصرف والمحب للدنيا لا يفارقها
بحال .

وقيل لأبراهيم بن أدهم كيف أنت فقال :

نُرْقِعُ دُنْيَانَا بِتَمْرِيقِ دِينِنَا فَلَإِ دِينِنَا يَبْقَى وَلَا مَا نُرْقِعُ
فَطَوْبِي لِعَبْدِ آثَرِ اللَّهِ وَخُدَّهُ وَجَادَ بِدُنْيَاهُ لِمَا يُتَوَقَّعُ
وقال آخر :

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سُـروراً وأنعمًا
كبانٍ بنى بُنيانه فأقامه فلما استوى ما قد بناه تَهْدَمًا
وقال لقمان لابنه : يا بُنَيَّ بَعِ دُنْيَاكَ بِآخِرَتِكَ تَرْبِحَهُمَا جَمِيعًا
وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ تَخْسِرُهُمَا جَمِيعًا .

وقال محمد بن الحسين لَمَّا عَلِمَ أَهْلَ الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْأَدَبِ أَنَّ
اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَهَانَ الدُّنْيَا وَأَنَّهُ لَمْ يَرْضَهَا لِأَوْلِيَائِهِ وَأَنَّهَا عِنْدَهُ حَقِيرَةٌ ذَلِيلَةٌ .
وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ زَهَدَ فِيهَا ، وَحَذَرَ أَصْحَابَهُ مِنْ فِتْنَتِهَا أَكَلُوا مِنْهَا
قَصْدًا وَقَدَّمُوا فَضْلًا وَأَخْلَوْا مِنْهَا مَا يَكْفِي ، وَتَرَكُوا مَا يُلْهِمُ ، لَبِسُوا مِنَ
الْغِيَابِ مَا سَتَرَ الْعَوْرَةَ ، وَأَكَلُوا مِنَ الطَّعَامِ أَذْنَاهُ مِمَّا سَدَّ الْجَوْعَةَ .
وَنَظَرُوا إِلَى الدُّنْيَا بَعَيْنِهَا فَانِيَةٌ وَإِلَى الْآخِرَةِ أَنَّهَا بَاقِيَةٌ ، فَتَزَوَّدُوا مِنَ
الدُّنْيَا كَرَادِ الرَّكَّابِ ، فَخَرَّبُوا الدُّنْيَا وَعَمَّرُوا بِهَا الْآخِرَةَ .

ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فعلموا أنهم سَيَنْظُرُونَ إليها بقلوبهم وأَعْيُنِهِمْ،
ولمَّا عَلِمُوا أنهم سَيَرْتَجِلُونَ إليها بأبدانهم تَعَبُوا قليلاً وتَنَعَّمُوا طويلاً كل ذلك
بتوفيق مولاهم الكريم أحبوا ما أَحَبَّ لَهُمْ وَكَرَهُوا مَا كَرِهَ لَهُمْ .

قال عبدالله بن مسعود نام رسول الله ﷺ على حصر فقام وقد أثر في
جنبه فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وَطَاءً فَقَالَ مَالِي وَلِلدُّنْيَا مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا
إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَنْظَلَتْ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا .

إعلم بأن طَرِيقَ الْحَقِّ مُنْفَرِدٌ وَالسَّالِكُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ أَفْرَادٌ
لَا يَطْلُبُونَ وَلَا تُطَلَّبُ مَسَاعِيهِمْ فَهُمْ عَلَى مَهَلٍ يَمْشُونَ قَصَادٌ
وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّالُهُ قَصَلُوا فَجَلُّهُمْ عَنِ طَرِيقِ الْحَقِّ رُقَادٌ

وخطبَ عمر بن عبدالعزيز رحمه الله فقال : يا أيها الناس إنكم خُلِقْتُمْ
لأمر إن كنتم تُصَدِّقُونَ به وَهَذَا عَمَلُكُمْ فَإِنَّكُمْ حَمَقَى ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ به
فإنكم هَلَكَى فما خُلِقْتُمْ لِلأبَدِ وَلَكِنَّمْ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ تُنْقَلُونَ

عباد الله إنكم في دار لكم فيها من طعامكم غُصَصٌ وَمِنْ شَرَابِكُمْ شَرَقٌ
لَا تَصْفُوا لَكُمْ نِعْمَةً تَسْرُونَ بِهَا إِلَّا يَفِرَاقِ أُخْرَى تَكْرَهُونَ فِرَاقَهَا ، فَاعْمَلُوا لِمَا
أَنْتُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ وَخَالِدُونَ فِيهِ ثُمَّ غَلِبَهُ الْبُكَاءُ وَنَزَلَ .

وقال بعضهم في وصف مراحل السلوك : إن المؤمن إذا آمَنَ بالله
واستحکم إيمانه خاف الله تعالى فإذا خَافَ اللهُ تَعَالَى تَوَلَّدَ مِنَ الْخَوْفِ الْهَيْبَةُ .
فإذا سَكَنَتْ غَلْبَةُ الْهَيْبَةِ دَامَتْ طَاعَتُهُ لِرَبِّهِ ، فإذا أَطَاعَ رَبَّهُ تَوَلَّدَ مِنَ
الطَّاعَةِ الرَّجَاءُ .

فإذا سَكَنَتْ دَرَجَةُ الرَّجَاءِ فِي الْقَلْبِ تَوَلَّدَ مِنَ الرَّجَاءِ الْمَحَبَّةُ .
فإذا اسْتَحْكَمَتِ الْمَحَبَّةُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ سَكَنَ بَعْدَهَا مَقَامَ الشَّوْقِ ، فإذا
اشْتاقَ أَدَاهُ الشَّوْقُ إِلَى الْأَنْسِ بِاللَّهِ ، فإذا أُنْسَ بِاللَّهِ أَطْمَأَنَّ إِلَى اللَّهِ ، فإذا أَطْمَأَنَّ

إلى الله كان ليله في نعيم ونهاره في نعيم وسيره في نعيم وعلايته في نعيم .
 وقال بعضهم يا ابن آدم ما أنصفت إذ يدعوك داعي الدنيا بكلمة
 واحدة لشيء ذاهب فتجيبه مُسرِعاً ، ويدعوك داعي الآخرة لشيء باقٍ صافي
 ثابت فلا تجيبه مُسرِعاً ، فليتك إذ لم تُقدِّر الآخرة سوَّيتَ بينهما .
 وقال آخر : العلماءُ العاملون أُرأفُ بأمة محمد من آبائهم وأمهاتهم
 واشفق عليهم ، قيل له كيف ذلك ، قال لأنَّ آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من
 نار الدنيا ، والعلماءُ يحفظونهم من نار الآخرة وأهوالها .

وقال آخر : من أقوى القوى أن تغلب نفسك ، من عجز عن أدب
 نفسه كان عن أدب غيره أعجز ، وقال : من علامات الاستدراج للعبد عماءُه
 عن عيبه ، وتطلعه إلى عيوب الناس ، وقال من النذالة أن يأكل العبدُ يدينه .
 وقال آخر وقد سئل عن الطريق إلى الله ، فقال : توبةٌ تحلُ الإصرارَ ،
 وخوفٌ يُزيلُ الغرورَ ورجاءٌ يَنْهَضُ الحيرات ، ثم مراقبةُ الله في خواطرِ القلوب .

(فصل)

إعلم وفقنا الله وإياك وجميع المسلمين إلى ما يحبه ويرضاه أن من الطُّرق
 التي يستفيد منها الانسان معرفةُ عيوبه السنة أعدائه فإن السائحَ يُنْقِبُ عن
 عيوب عدوه وقدماً قيل :

وعينُ الرضا عن كل عيب كليله كما أن عين السخط تبدي المساويا
 ويقول الآخر :

عُداتي لهم فضلٌ عليّ ونيمةٌ فلا أذهب الرحمن عني الأعدايا
 همؤا بحثوا عن زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكسبتُ المعاليا
 ولعل إنتفاع الإنسان بعلو مشاحن يُذكره عُيوبه وسقطاته ومساويه
 أكثر من إنتفاعه بصديقٍ مدهنٍ يُثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه ، فالبصير

لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه ، فإن مساويه لا بد وأن تنتشر على السنة أعدائه .

رَأَى بَعْضُ الزَّهَادِ رَجُلًا يَضْحَكُ إِلَى غُلَامٍ فَقَالَ لَهُ : يَا خَرِبَ الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ أَمَا تَسْتَجِي مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ وَالْمَلَائِكَةِ الْحَافِظِينَ يَحْفَظُونَ الْأَفْعَالَ وَيَكْتُبُونَ الْأَعْمَالَ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَيَشْهَدُونَ عَلَيْكَ .

شعراً :

تَمَتَّعْتُمَا يَا نَازِرِيَّ بِنَظْرَةٍ فَأَوْدَتْمَا قَلْبِي أَشْرَ الْمَوَارِدِ
أَعْيَنَايَ كُفًّا عَنْ فُؤَادِي فَإِنَّهُ مِنَ الْبَغْيِ سَعْيِي إِثْنِينَ فِي قَتْلِ وَاحِدٍ
فَالْعُيُونُ مَصَائِدُ الشَّيْطَانِ ، وَالْعَيْنُ أَنْفُدُ الْجَوَارِحِ صَرَعَةٌ فَمَنْ أَتَبَعَ
جَوَارِحَهُ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ فَقَدْ وَصَلَ أَمَلَهُ ، وَمَنْ أَتَبَعَ جَوَارِحَ نَفْسِهِ فِي نَيْلِ
لذَاتِهِ فَقَطَّ أَحْبَطَ عَمَلَهُ . فليَحْذَرِ اللَّيْبُ مِنْ إِرْسَالِ النَّظْرِ فِيمَا لَا يَجِلُّ فَإِنَّهُ
سَهْمٌ صَائِبٌ وَسُلْطَانٌ غَالِبٌ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « النَّظْرُ سَهْمٌ مِنْ سَهَامِ
إِبْلِيسَ فَمَنْ تَرَكَ مَخَافَةَ اللَّهِ تَعَالَى أَعْقَبَهُ إِيمَانًا يَجِدُ طَعْمَهُ فِي قَلْبِهِ » .

إِذَا مَا صَفَّتْ نَفْسُ الْمُرِيدِ لِطَاعَةِ اللَّهِ وَلَمَّا تَشَبَّهَا لِلْمَعَاصِي شَوَائِبُ
وَاتَّبَعَهَا فِعْلُ الْجَوَارِحِ كُلِّهَا فَتِلْكَ عَلَيْهِ أَنْعَمٌ وَمَوَاهِبُ
تَلَقَّتْهُ فِي دَارِ الْخُلُودِ كَرَامَةٌ إِذَا جُبَّ لِلْعَاصِي سِنَامٌ وَغَارِبُ
كَتَبَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ إِلَى رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِهِ : يَا أَخِي احْذَرِ الْمَوْتَ فِي هَذِهِ

الدار قبل أن تُصيرَ إِلَى دَارٍ تَتَمَنَّى فِيهَا الْمَوْتَ فَلَا تَجِدَهُ .

وَكَانَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَجْمَعُ كُلَّ لَيْلَةٍ الْفُقَهَاءَ فَيَتَذَاكَرُونَ الْمَوْتَ
وَالْقِيَامَةَ وَالْآخِرَةَ ثُمَّ يَبْكُونَ حَتَّى كَانُوا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ جَنَازَةً .

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّمِيمِيُّ : شَيْئَانِ قَطَعَا عَنِّي لَذَّةَ الدُّنْيَا ذِكْرُ الْمَوْتِ ،

وَالْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ عَرَفَةَ الْمَوْتَ هَانَتْ عَلَيْهِ مَصَائِبُ الدُّنْيَا وَهُومُهَا .

وقال أشعثُ : كنا ندخلُ على الحسنِ فإنما هو ذكُرُ النارِ وأمرُ الآخرةِ
وذكر الموت .

وقالت صفيّةُ رضي الله عنها : إن امرأةً اشتكتُ إلى عائشةَ قسوةَ قلبها ،
فقال لها : أكثري ذكُرَ الموتِ يَرِقُ قلبُك ، ففعلت فرَقَّ قلبُها فجاءت تشكُرُ
عائشةَ رضي الله عنها .

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصل)

وقال بعضُ العلماءِ واصيفاً علماً ووقتِه ، قد غلبَ على العبَادِ والنسائِكِ
والقراءِ في هذا الزمنِ التهاونُ بالذنوبِ حتى غرقُوا في شهواتِ فروجهم
وبطونهم ، وحجّبوا عن شهودِ عيوبهم فهلكوا وهم لا يشعرون ، أقبلوا على
أكلِ الحرامِ وتركوا طلبَ الحلالِ .

ورضوا من العملِ بالعلمِ ، ويستحي أحدهم أن يقول فيما لا يعلم لا أعلم ،
هم عبيدُ الدنيا لا علماءُ الشريعةِ ، إذ لو علموا وعملوا بها وفقَ الشريعةِ لمَنَعَتْهُمْ عن
القبائحِ ، إن سألوا الحوا وإن سُئلوا شحوا لبسوا الثيابَ على قلوبِ الذيابِ .
شعراً :

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أمائوه فهائوا ودنسوا محياه بالأطماع حتى تجهما
فإن قلت زئد العلم كإب فإنما كبي حيث لم تحمي حماه وأظما
وخرج الحسن يوماً من عند ابن هبيرة فإذا هو بالقراء على الباب ، فقال
ما يجلسكم ها هنا ، ثريدون الدخول على هؤلاء الخبياء .

أما والله ما مُجَالَسْتُكُمْ إِيَّاهُمْ بِمَجَالِسِيَةِ الْأَبْرَارِ ، تَفَرَّقُوا فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَ
أَرْوَاحِكُمْ وَأَجْسَادِكُمْ ، أما والله لو زَهَدْتُمْ فِيمَا عِنْدَهُمْ لَرَغِبُوا فِيمَا عِنْدَكُمْ ،
لَكِنِّكُمْ رَغِبْتُمْ فِيمَا عِنْدَهُمْ فَزَهَدُوا فِيمَا عِنْدَكُمْ .

وعن أنس بن مالك أن معاذ بن جبل رضي الله عنه دخل على رسول الله
ﷺ فقال كَيْفَ أَصْبَحْتَ ، يَا مُعَاذُ قَالَ أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ حَقًّا - قَالَ « إِنْ
لِكُلِّ قَوْلٍ مُصَدِّقًا وَلِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةٌ فَمَا مُصَدِّقٌ مَا تَقُولُ ؟

قال : يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا أَصْبَحْتُ صَبَاحًا قَطُّ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنِّي لَا أَصْبِحُ ، وَلَا
خَطْوَةَ خَطْوَةٍ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنِّي لَا أَتْبِعُهَا أُخْرَى وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى كُلِّ أُمَّةٍ جَائِيَةٍ
تُدْعِي إِلَى كِتَابِهَا مَعَهَا نَبِيُّهَا وَأَوْثَانُهَا الَّتِي كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ
إِلَى عُقُوبَةِ أَهْلِ النَّارِ وَثَوَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَرَفْتُ فَالزَّمْ .

وَبَلَغَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ مِنَ الدُّنْيَا أَفْضَلَ مَا تَسْعَى إِلَيْهِ هِمَّةُ رَجُلٍ ، فَرَفَضَهَا
وَبَنَدَهَا قَائِلًا « هَذَا سُرُورٌ لَوْلَا أَنَّهُ غُرُورٌ ، وَنَعِيمٌ لَوْلَا أَنَّهُ عَنْ قَرِيبٍ عَدِيمٌ ،
وَمُلْكٌ لَوْلَا أَنَّهُ هُلْكٌ ، وَغِنَى لَوْلَا أَنَّهُ فَنَى ، وَأَمْرٌ جَسِيمٌ لَوْلَا أَنَّهُ ذَمِيمٌ ،
وَارْتِفَاعٌ لَوْلَا أَنَّهُ اِتِّضَاعٌ وَحَسَبُ امْرِئٍ مِنَ الدُّنْيَا لُقَيْمَاتٌ يُقِيمُ بِهَا صُلْبَهُ ،
وَثَوْبٌ يَسْتُرُ بِهِ عَوْرَتَهُ ، وَصِحَّةٌ يَسْتَقْوِي بِهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ .

(موعظة)

إِعلم يَا أَخِي أَنَّ الْأَجَلَ قَرِيبٌ وَهُوَ مَسْئُورٌ عِنْدَكَ وَهُوَ فِي يَدِ غَيْرِكَ ،
يَسُوقُهُ حَيْثُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَإِذَا لَانْتَهتِ الْمُدَّةُ حِيلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْعُدَّةِ ، فَاحْتَلِ
قَبْلَ الْمُنْتَهَى وَأَكْرِمِ أَجَلَكَ بِحُسْنِ صُحْبَةِ الصَّادِقِينَ ، وَإِذَا آنَسْتُكَ السَّلَامَةَ
فَاسْتَوْحِشْ بِالْعَطْبِ ، فَإِنَّ الْغَايَةَ إِذَا فَرَحْتَ بِالْعَافِيَةِ فَاحْسِبْ حِسَابًا لِلْبَلَاءِ ،
وَإِذَا بَسَطْتَ الْأَمَلَ فَاقْبِضْ نَفْسَكَ عَنْ بَذْرِ الْأَجْلِ ، فَهُوَ الْمَوْعِدُ وَإِلَيْهِ الْمَوْرِدُ .

وقال شريح : إني أصاب بالمصيبة فأحمد الله تعالى أربع مراتٍ أحمدُهُ إذ لم تكن أعظمَ منها ، وأحمدُهُ إذ رزقني الصبرَ عليها ، وأحمدُهُ إذ وقَّفتني لاسترجاع ما أرجو فيه من الثواب ، وأحمدُهُ إذ لم يجعلها في ديني .
 وقال حاتمُ الأصم : مُصِيبَةُ الدِّينِ أَكْبَرُ مِنْ مُصِيبَةِ الدُّنْيَا ، وَلَقَدْ مَاتَتْ لِي بِنْتُ فَعْرَانِي أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ وَفَاتَتْني صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ فَلَمْ يُعْزِني أَحَدٌ .
 وقال آخر : كُنْ حَذِرًا مِنْ أَرْبَعِ غَارَاتٍ ، الْأُولَى : غَارَةُ مَلِكِ الْمَوْتِ عَلَى رُوحِكَ ، الثَّانِيَةِ : غَارَةُ الْوَرِثَةِ عَلَى مَالِكَ ، الثَّلَاثَةِ : غَارَةُ الْوُدِّ عَلَى جِسْمِكَ فِي قَبْرِكَ ، والرَّابِعَةِ : غَارَةُ الْخُصْمَاءِ عَلَى حَسَنَاتِكَ ، فَعَلَيْكَ فِي الْأَسْتِعْدَادِ وَالْإِحْتِيَاطِ وَالْإِكْتِسَابِ مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَالْمُدَاوِمَةِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ لَيْلًا وَنَهَارًا وَسِرًّا وَجَهَارًا .

كان محمد بن سيرين يدخل السوق نصفَ النهار يُكَبِّرُ وَيُسَبِّحُ وَيَذْكُرُ اللَّهَ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا بَكْرٍ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ، قَالَ : إِنَّهَا سَاعَةٌ غَفْلَةٌ يَنْبَغِي الذِّكْرَ وَالتَّذْكَيرَ فِيهَا .

وقال بعضُ العلماء : إني لأقرأ القرآنَ فأُنظِرُ في آيةٍ فيحارُ عقلي فيها وأعجبُ من حُفَاطِ الْقُرْآنِ كَيْفَ يَهْنِيهِمُ النَّوْمُ وَهُمْ يَتْلُونَ كَلَامَ الرَّحْمَنِ ، أَمَا لَوْ فَهِمُوا مَا يَتْلُونَ وَعَرَفُوا حَقَّهُ وَتَلَذَّذُوا بِهِ وَاسْتَحْلَوْا الْمُنَاجَاةَ بِهِ لَذَهَبَ عَنْهُمْ النَّوْمُ فَرَحًا وَسُرُورًا بِمَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَوَفَّقَهُمْ لَهُ .

شعرًا :

فَشَمَّرَ وَلَدًا بِاللَّهِ وَاحْفَظْ كِتَابَهُ فِيهِ الْهُدَى حَقًّا وَاللَّخَيْرُ جَامِعُ
 هُوَ الذُّخْرُ لِلْمَلْهُوفِ وَالْكَنْزُ وَالرَّجَاءُ وَمِنْهُ بِلَا شَكِّ تُنَالُ الْمَنَافِعُ
 بِهِ يَهْتَدِي مَنْ تَاهَ فِي مَهْمِهِ الْهَوَى بِهِ يَتَسَلَّى مَنْ دَهَنَهُ الْفَجَائِعُ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فصل)

قال بعض العلماء على قول الله تعالى ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ إن الأرض لتبكي على رجل وتبكي من رجل ، تبكي على من يعمل على ظهرها بطاعة الله ، وتبكي ممن يعمل على ظهرها بمعصية الله فقد أثقلها .

وقال من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتيق الله ، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق عنده مما في يده .

وقال إبراهيم بن بشار : ما رأيت في جميع من لقيته من العباد والعلماء والصالحين والزهاد أحداً يُبغض الدنيا ولا ينظر إليها مثل إبراهيم بن أدهم ، وربما مررتنا على قوم قد أقاموا حائطاً أو داراً أو حائوتاً فيحول وجهه ولا يملأ عينيه من النظر إليه فعائته على ذلك ، فقال يا بشار اقرأ ما قال الله تعالى ﴿ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ولم يقل أيكم أحسن عمارةً للدنيا وأكثر حُباً وذخراً وجمالاً ، ثم بكى وقال صدق الله عز اسمه فيما يقول ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ولم يقل إلا ليعمروا الدنيا ويجمعوا الأموال ويبنوا الدور ويشيئوا القصور ويتلذذوا ويتفكها ، وجعل يومه كله يردد ذلك ويقول « فيهداهم اقتده » .

(فائدة عظيمة)

كل علم لا يوافق الكتاب والسنة أو ما هو مستفاد منهما أو معين على فهمها أو مستند إليهما كائنا ما كان فهو نقص وضرر ورتيلة وليس بفضيلة بل يزداد به الإنسان هواناً ورتيلة في الدنيا والآخرة .

وسئل بعض العلماء عن ما يُذهِبُ العُلُومَ مِن قُلُوبِ العُلَمَاءِ بَعْدَ أَنْ
 وَعَوَهَا وَعَقَلُوهَا ، فقال : الطَّمَعُ وَشَرُّهُ النَّفْسُ وَطَلْبُ الحَوَائِجِ ، وفسر أحدُ
 العُلَمَاءِ ما تقدم فقال : يَطْمَعُ الرَّجُلُ فِي الشَّيْءِ فَيَطْلُبُهُ فَرُبَّمَا كَانَ سَبَباً لِذَهَابِ
 دِينِهِ ، وَأَمَّا الشَّرُّ فَشَرُّهُ النَّفْسُ فِي هَذَا وَفِي هَذَا حَتَّى لَا تُحِبُّ أَنْ يَفُوتَهَا شَيْءٌ ،
 وَيَكُونُ لَكَ إِلَى هَذَا حَاجَةٌ وَإِلَى هَذَا حَاجَةٌ ، فَإِذَا قَضَاهَا لَكَ حَرَمَ أَنْفَكَ وَقَادَكَ
 حَيْثُ شَاءَ وَاسْتَمَكَنَ مِنْكَ وَخَضَعْتَ لَهُ وَسَلَّمْتَ عَلَيْهِ وَزُرْتَهُ وَعُدَّتَهُ إِذَا مَرِضَ ،
 وَلَوْلَا حَاجَتُكَ لَتَرَكْتَهُ .

شعراً :

إِذَا سُدَّ بَابُ عُنُقِكَ مِنْ دُونِ حَاجَةٍ فَدَعُهُ لِأُخْرَى يَنْفَتِحُ لَكَ بِهَا
 فَإِنَّ قِرَابَ البَطْنِ يَكْفِيكَ مِلْوُهُ وَيَكْفِيكَ سَوَاتِ الأُمُورِ إِجْتِنَابُهَا
 وَلَا تَكُ مَبْدَالاً لِعِرْضِكَ وَاجْتِنِبْ رُكُوبَ المَعَاصِي يَجْتَنِبُكَ عِقَابُهَا
 كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ : رَجِمَ اللهُ إِمْرَأً أَهْدَى إِلَيَّ
 عُيُوبِي وَكَانَ يَسْأَلُ سَلْمَانَ عَنْ عُيُوبِهِ ، فَلَمَّا قَدَّمَ عَلَيْهِ قَالَ : مَا الَّذِي بَلَغَكَ عَنِّي
 مِمَّا تَكْرَهُهُ .

قال : أَعْنِي يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ فَالْحُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : بَلَغَنِي أَنَّكَ جَمَعْتَ بَيْنَ
 إِدَامَتَيْنِ عَلَى مَائِدَةٍ وَأَنَّ لَكَ حُلَّتَيْنِ حُلَّةً بِالنَّهَارِ وَحُلَّةً بِاللَّيْلِ .
 قال : وَهَلْ بَلَغَكَ غَيْرُ هَذَا ، قَالَ : لَا . قَالَ : أَمَّا هَذَانِ فَقَدْ كَفَيْتَهُمَا ،
 وَكَانَ يَسْأَلُ حُدَيْفَةَ وَيَقُولُ لَهُ أَنْتَ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي مَعْرِفَةِ المُنَافِقِينَ
 فَهَلْ تَرَى عَلَيَّ شَيْئاً مِنْ آثَارِ النِّفَاقِ .

فهو على جلالته قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه رضي الله
 عنه .

فكل من كان أرفع عقلاً وأقوى في الدين وأعلى منصباً ، كان أكثر

تَوَاضَعًا وَأَبْعَدَ عَنِ الْكِبَرِ وَالْإِعْجَابِ وَأَعْظَمَ إِنَّهَا مَا لِنَفْسِهِ ، وَهَذَا يُعْتَبَرُ نَادِرًا
يَعُزُّ وَجُودُهُ .

فَقَلِيلٌ فِي الْأَصْدِقَاءِ مَنْ يَكُونُ مُخْلِصًا صَرِيحًا بَعِيدًا عَنِ الْمَدَاهِنَةِ مَتَجَنِّبًا
لِلْحَسَدِ يُخْبِرُكَ بِالْعُيُوبِ وَلَا يَزِيدُ فِيهَا وَلَا يَنْقُصُ وَلَيْسَ لَهُ أَغْرَاضٌ يَرَى مَا لَيْسَ
عِيًّا عِيًّا أَوْ يُخْفِي بَعْضَهَا .

قِيلَ لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ وَقَدْ اعْتَزَلَ النَّاسَ وَكَانَ مُنْطَوِيًّا عَنْهُمْ ، لِمَ امْتَنَعْتَ عَنِ
الْمُخَالَطَةِ فَقَالَ وَمَاذَا أَصْنَعُ بِأَقْوَامٍ يُخْفُونَ عَنِّي عُيُوبِي .

فَكَانَتْ شَهْوَةً صَاحِبِ الدِّينِ فِي التَّشْبِيهِ عَلَى الْعُيُوبِ ، عَكْسَ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ وَهُوَ
أَنْ أَبْغَضَ النَّاسَ إِلَيْنَا النَّاصِحِينَ لَنَا وَالْمُنْبِهِينَ لَنَا عَلَى عُيُوبِنَا . وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْنَا
الَّذِينَ يَمْدَحُونَنَا مَعَ أَنْ الْمَدْحَ فِيهِ أَضْرَارٌ عَظِيمَةٌ كَالْكِبَرِ وَالْإِعْجَابِ وَالْكَذِبِ .

وهذا دليل على ضعف الإيمان فإن الأخلاق السيئة أعظم ضرراً من
الحيات والعقارب ونحوها .

ولو أن إنساناً نبهك على أن في ثوبك أو خفيك أو فراشك حية أو عقرباً
لشكرته وددعوت له وأعظمت صنيعة ونصيحته واجتهدت واشتغلت في
إبعادها عنك وحرصت على قتلها .

وهذه ضررها على البدن فقط وتلوم أئمة زمن يسير وضرر الأخلاق
الرديئة على القلب ويخشى أن تلوم حتى بعد الموت ولا نفرح بمن يتبهننا عليها
ولا نشغل بإزالتها .

بل نقابل نصح الناصح بقولنا له تبتكتنا وتخجلاً وأنت فيك وفيك ناظر
نفسك ولا عليك منا كل أبصر بنفسه .

ونشتغل بالعبادة معه عن الانتفاع بنصحه بذل ما نشكره على نصحه
لنا بتبنيها لنا على عيوبنا . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

اللهم ألهمنا رُشدنا وبصيرنا بعيوبنا وأشغلنا بمداواتها ووقفنا للقيام
بشكر من يُطلِّعنا على مساوينا بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين .
والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(موعظة)

قال بعضُ العلماء : إعلم أن الذي يُقضى منه العَجَبُ مِن حال الإنسان
في غفلته عن الاهتمام بأمر الموت ، وفي عَدَمِ الروعةِ منه مع تَيَقُّنِ أنه لا بُدَّ له منه
وأنه في حال السعي إليه لا يفتُر عن ذلك لحظة .
وقال بعضُ العلماء : ما رأيتُ يقينا لا شكَّ معه أشبهَ بالشكِّ الذي
لا يقينَ معه مثلَ الموت ، وما هكذا حال كامل العقل والتمييز .

عن ابن عباس أنه قرأ ﴿ فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا ﴾ فبكى وقال
آخر العَدَدِ مُخْرُوجُ نَفْسِكَ ، آخر العَدَدِ فِرَاقُ أَهْلِكَ ، آخِرُ العَدَدِ دُخُولُ قَبْرِكَ .
وعن ابن السماك وقد قرأها إذا كانتِ الأنفاسُ بالعَدَدِ ولم يكن لها مَدَدٌ
فما أسرعَ ما تنفذ .

وَمَا نَفْسٌ إِلَّا يُبَاعِدُ مَوْلِدًا وَيُذْنِي المَنَايَا لِلنُّفُوسِ فَتَقْرُبُ
يقال إن أنفاسَ ابن آدَمَ بينَ اليومِ واللييلةِ أربعة وعشرون ألفَ نفسٍ
« ٢٤٠٠٠ » في اليومِ إثني عشر ألفا وفي الليلِ إثني عشر ألفا .

والسببُ في جَميعِ ذلك أي عَدَمِ الاهتمامِ بأمرِ الموتِ وعَدَمِ الروعةِ منه
وما بعده وحبُّ الهوى وطولُ الأملِ وقيلَ السببُ تركيبُ الإنسانِ تركيباً
يحتاجُ فيه إلى دفعِ المضارِ العاجلةِ قبلَ حُضُورِ وقتِ المشارِ الآجلةِ .

فهو في العاجلةِ يدفعُ مَضارَ الجوعِ والعطشِ والحَرِّ والبردِ والخوفِ
والسقمِ والغمِ والإهانةِ والاستخفافِ والشماتةِ ونحوها مِن الأحوالِ ألا تَرى
تجرعه غُصَصَ الموتِ أهونَ مِن تجرعها فيهُونُ الأهتمامِ به بالنظرِ إلى الأهتمامِ بها .

وقد أثر عنه صلى الله عليه وسلم إن أشق من الموت ما يتمنى الموت من أجله فلذلك هان في قلبه هم ما يعلمه مما يصير إليه في المستقبل من ضرر الموت . والأقرب ، والله أعلم أن السبب الحقيقي هو سلب الله تعالى للخواطير المنصرفة إلى ذكر الموت ، وتصور حقيقة أمره ، وسلب الدواعي إلى الاشتغال به ، لِمَا في ذلك من إعتاد الدنيا وإنتظام أمرها الذي هو مقصود للحكيم . ولو أن الناس نزلوا أمر الموت منزلة اللاتقة به لاقتضى ذلك أن تخرب الدنيا ولا تعمر ، وكان المرء جديراً بأن لا يعمل من أعمالها شيئاً ، فإن من لا يثق بالحياة لحظة كيف يتعب نفسه ويُسهر ليله في محاولة أمورٍ يفتقر إليها من شأنه أن يُخلد والله أعلم .

ومثال حال الإنسان في تيقنه أنه يسهى كل يوم وليلة مرحلتين إلى الموت مع غفلته عن الاهتمام به والانزعاج لأجله حال رجل أذنب إلى ملك ذنباً عظيماً يوجب قتله ، فأمر الملك بإحضاره لذلك من مسافة بعيدة . وقد رأى السيف مسلولاً أمامه وشاهد من استعد لقتله ، فسار به المأمورون بإحضاره وهم يطعنونه في جوانبه بالشوك والمناخيس والمفاك والسكاكين أو نحو ذلك .

ولا يسلم منها إلا ما اتقاه بترس أو نحوه مما يحول بينها وبين جسده ، وما لم يتقيه ألمه وأقلقه فصار مشغولاً مُستغرق الذهن باتقاء تلك المطاعن عن إهتمامه بما هو ساج إليه من ضرب عنقه ، وهان عليه ما هو ذاهب إليه في جنب ما قد صار فيه .

وأما لو قطع مواد ما شغله عن الاهتمام بالموت من تلك المذكورة المُمثلة بما يلحق المقدم للقتل في طريقه ليفرغ قلبه لإدراك هم الموت وما بعده لاشتغال به واستغرق في ذلك وسعته وجهده .

فليستن العبد على ذلك بما ورد في الحديث من الحث على ذكر الموت

وقصر الأمل مثل حديث أكثروا ذكر هاذم اللذات فإنه ما كان في كثير إلا قلله ولا قليل إلا كثره .

ولما كان الموت أمراً حَتْمِيًّا لا بد منه لكل مخلوق على وجه الأرض فلا بد من تذكره دائماً وأبداً ، ففي تذكره محاسبة للنفس على ما قَدَمَتْ من خير وشر فإن قَدَمَتْ خيراً فذكر الموت يريحتها ويحثها على التزود من الأعمال الصالحة والإبتعاد عن كل شر وإن فرطت وأهملت واستمرت على فعل المعاصي والشرور فذكر الموت يردعها عن غيها وطغيانها ويجول بينها وبين عبثها فإذا تيقن كل إنسان أن الموت لا بد وأن يأتيه وهذا أمر لا خلاف فيه قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ .

وقال الشاعر :

فَهِنَّ الْمَنَائِبَا أَيَّ وَادٍ حَلَلْنَاهُ عَلَيْهَا الْقُدُومُ أَوْ عَلَيْكَ سَتَقْدَمُ
آخِر :

كُلُّ ابْنِ أُنْتَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَيَّ آلَةٍ حَادِبَاءَ مَحْمُوسٍ
وعَلِمَ أَنَّ التُّرَابَ بَعْدَ الْفَرْشِ مَضْجَعُهُ وَأَنَّ الدُّوْدَ وَالْحَشْرَاتِ أُنَيْسُهُ ،
وَأَنَّ الْقِيَامَةَ الْكُبْرَى مَوْعِدُهُ وَأَنَّ الْجَنَّةَ أَوْ النَّارَ مَوْرَدُهُ بعد ما يُعَانِي مِنَ الْأَهْوَالِ
وَالْمُزْعِجَاتِ اللَّائِي يَشِيْبُ مِنْهَا الْوِلْدَانَ ، فَإِذَا جَعَلَ هَذَا نَصَبَ عَيْنِيهِ لَيْلًا وَنَهَارًا
سِرًّا وَجَهَارًا وَأَمَعَنَ فِي التَّفَكُّرِ فِيهِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لِذَلِكَ تَأْثِيرٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَكُونَ
الموت وما بعده نَصَبَ عَيْنِيهِ إِنْ قَامَ أَوْ قَعَدَ أَوْ مَشَى أَوْ اضْطَجَعَ وَتَهَوَّنَ عَلَيْهِ
الدنيا وَمَصَابِيْهَا وَيَدْعُوهُ ذَلِكَ إِلَى تَرْكِ مَا زَادَ عَلَى زَادِهِ إِلَى الْآخِرَةِ وَذَكَرَ الْمَوْتَ
نوعان : نوع باللسان فقط والنوع الآخر وهو النافع المجدي بإذن الله ذكره
بالقلب لأنه المثمر للعمل الصالح .

تَأْمَبُ لِلذِّي لَا بُدَّ مِنْهُ فَإِنَّ الْمَوْتَ مِيعَادُ الْعِبَادِ
يَسْرُكُ أَنْ تَكُونَ رَفِيقَ قَوْمٍ لَهُمْ زَادٌ وَأَنْتَ بَعِيرٌ زَادٍ

شعراً :

ولا تله عن تذكاري ذنبيك وابكته
بدمع يضاهي الوابل حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه
وروعة ملقاه ومطعم صابه
وأن قصارى مسكن الحي حفرة
سينزلها مستنزلاً عن قبابه
وقال آخر : لا نوم أثقل من الغفلة ، ولا ريق أملك من الشهوة ، ولولا
ثقل الغفلة لما طفرت بك الشهوة .

قال أحد العلماء : إعلم أن من حقق النظر ورأى نفسه على السكون
إلى الحقائق وإن آلتها في أول صدمة كان إغباطه بدم الناس إيأه أشد وأكثر
من إغباطه بمدحهم إيأه .

لأن مدحهم إيأه إن كان بحق وبلغه مدحهم له أسرى ذلك فيه العجب
فأفسد بذلك فضائله وإن كان بباطل فبلغه فسره فقد صار مسروراً بالكذب
وهذا نقص شديد .

وأما ذم الناس إيأه فإن كان بحق فبلغه فرمما كان ذلك سبباً إلى تعجبه ما
يغاب عليه وهذا حظ عظيم لا يزهد فيه إلا ناقص العقل .
وإن كان اللذم له بباطل وبلغه فصبر إكتسب فضلاً زائداً في الحلم
والصبر وكان مع ذلك غانماً لأنه يأخذ حسنات من ذمه بالباطل فيحظى بها في
دار الجزاء أحوج ما يكون إلى النجاة بأعمال لم يتعب فيها ولا تكلفها وهذا
حظ عظيم لا يزهد فيه إلا مجنون أو في غاية الحمق والجهل .

وأما إن لم يبلغه مدح الناس إيأه فكلأهم وسكوتهم سواء وليس كذلك
ذمهم إيأه لأنه غانم للأجر على كل حال بلغه ذمهم أو لم يبلغه .

وقال آخر : إعلم أن الذام لك لا يخلو من إحدى ثلاث خصال : إما
رجل ذمك نصحاً وإشفاقاً عليك فهو عظيم المنة واجب الطاعة فمم يكون

غضبك من نصيح المشفق عليك لقد عظمت مصيبتك أن تغضب على من
نصحك .

وأما الخصلة الثانية : فرجل غير ناصح لك فذمك بما عرفه فيك وعلمه
منك وأظهره بسببك فوجب عليك قبول الحق إن كان صادقاً في مقاله ودغ
الحق عليه وبإدرك بالإنبابة قبل الفضيحة في الآخرة كما افتضحت بالدينا .

وأما الخصلة الثالثة : فرجل إجترأ على الله بباطل إفتراه وبزور يقوله
عليك ليسبك به فقد أتى البائس على نفسه .

وأما الذي نلت منه من الأذى وقول الزور فيك فيما كسبت يداك
وعقوبة الذنوب وكفارة المساوىء وأجر عظيم يساق إليك لم تتعب عليه لا في
صيف ولا شتاء وهو أحسن من الذهب والفضة والفلل والعمائر وسائر أمتعة
الدينا التي ربما كانت عذاباً في الدينا والآخرة .

فعلى العاقل أن يفتنم نفع المذمة فغالباً تكون الحسنات التي تأتيك من
عدوك أكثر من الحسنات التي تأتيك من صديقك لأن صديقك يدعو لك .

فإما أن يجاب أو لا وأما علوك فيقع فيك ويقتابك وإنما هي حسنات
يزفها إليك عفواً صفوفاً حلالاً كما قيل :

يُشَارِكُكَ الْمُعْتَابُ فِي حَسَنَاتِهِ	وَيُعْطِيكَ أَجْرِي صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ
وَيَحْمِلُ وَزْرًا عَنْكَ ظَنًّا بِحَمْلِهِ	عَنِ النَّجْبِ مِنْ أَبْنَائِهِ وَبَنَاتِهِ
وغير شقي من يبيئ عدوه	يعامل عنه الله في غفلاته
فلا تعجبوا من جاهل ضر نفسه	بإمعانه في نفع بعض عذباته
وأعجب منه عاقل بات ساخطاً	على رجل يهدي له حسناته
ويحمل من أوزاره وذنوبه	ويهلك في تحليصه ونجاته

والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم .

(فـوائد)

لا تحقر شيئاً من عمل غدٍ أن تُحقِّقه بأن تُعجِّله اليوم وإن كان قليلاً ، فإن من قليل الأعمال يجتمع كثيرها وربما أعجز أمرها عند ذلك فيبطل الكل . ولا تحقر شيئاً مما ترجو به تثقيل ميزانك يوم البعث والنشور أن تعجِّله الآن وإن قل ، فإنه يحط عنك كثيراً لو اجتمع لَقَدَفَ بك في جهنم . الخوف والوجع والفقر والنكبة لا يحس أذاها إلا من كان فيها ، ولا يعلمه من كان خارجاً عنها ، وفساد الرأي والعار والإثم لا يعلم قبحها إلا من كان خارجاً عنها ، وليس يراه من كان داخلها فيها .

الأمن والصحة والغنى لا يعرف حقها إلا من كان خارجاً عنها ، وليس يعرف حقها من كان فيها ، وجودة الرأي والفضائل وعمل الآخرة لا يعرف فضلها وفائدتها إلا من كان من أهلها ، ولا يعرفه من لم يكن من أهلها . أول من يزهد في العادِرِ من غَدَرَ لَهُ العَادِرُ ، وأول من يَمُقْتُ وَيُبْغِضُ شاهد الزور من شهد له به ، وأول من تَهُونُ الزانية بِعَيْنِهِ الذي يَزْنِي بها لأنه كشف سِتْرَها والعياذ بالله .

لا شيء أضرَّ على السلطان من كثرة المتفرِّغين حَوَالِيهِ ، فالليب الحازم اليَقِظُ يَشْغُلُهُم بما لا يظلمهم فيه ، فإن لم يفعلْ شغلوه بما يظلمون فيه ، وأما مُقَرَّبُ أعدائِهِ فذلك قاتلُ نَفْسِهِ .

إحْرِصْ على أن تُوصَفَ بِسَلَامَةِ الجَانِبِ لِيُودَكَ النَّاسُ وَيَأْمُنُونَ مِنْكَ واحذِرْ وتحفظ من أن تُوصَفَ بالتَجَسُّسِ والدَّهَاءِ والمكر والحيل والنميمة والكبير والحسد والخداع لغير الخداع لك والكيد لمن لا يكيد لك واحذر أن تكون من المُمَثِّلِينَ وأهل المقابلات .

فَيَكْثُرُ الْمُتَحَفِّظُونَ مِنْكَ وَالْمَافِقُونَ لَكَ حتى ربما أضرَّ ذلك بك ضرراً

عظيماً وربما قتلك كما قيل :

كَمْ مِنْ قَتِيلٍ لِسَانِهِ كَانَتْ تَخَافُهُ الشُّجْعَانُ
ظَنَّ بِنَفْسِكَ عَلَى مَا تَكْرَهُ يَقُلُّ هَمُّكَ إِذَا أَتَاكَ ، وَيَعْظُمُ سُرُورُكَ
وَفَرْحُكَ ، وَيَتَضَاعَفُ إِذَا أَتَاكَ مَا تُحِبُّ مِمَّا لَمْ تَكُنْ قَدَّرْتَهُ إِذَا تَكَاثَرَتْ الِاهْمُومُ
سَقَطَتْ كُلُّهَا .

الصبر على الجفاء ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : صبر عمن يقدر عليك ولا تقدر عليه وهذا ذل ومهانة
وليس من الفضائل ، والرأي لمن خشي لما هو أشد مما يصير عليه المصارمة
والمشاركة والمباعدة .

والقسم الثاني : صَبْرٌ عَمَّنْ تَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْكَ فَهَذَا فَضْلٌ وَبِرٌّ
وهو الحلم على الحقيقة وهو الذي يوصف به الفضلاء .

والقسم الثالث : الصبر عمن لا تقدر عليه ولا يقدر عليك وهذا ينقسم
إلى قسمين : إما أن يكون الجفاء ممن لم يقع منه إلا على سبيل الغلط ويعلم قبح
ما أتى به ويندم عليه فالصبر عليه فضل وهو حلم على الحقيقة .

وأما مَنْ كَانَ لَا يَدْرِي مِقْدَارَ نَفْسِهِ وَيَظُنُّ أَنَّ لَهَا حَقًّا يَسْتَطِيعُ بِهِ فَلَا
يَنْدَمُ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُ فَالصَّبْرُ عَلَيْهِ ذُلٌّ لِلصَّابِرِ وَإِفْسَادٌ لِلْمَصْئُورِ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ يَزِيدُ
شَرَّهُ .

والمقارضة له سُخْفٌ والأحسن إعلامه بأنه يقدر على أن ينتصر منه وإنما
تركه استِزْدَالاً له فقط وصيانة عن مراجعته ، وقديماً قيل :

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا
فَوْضِعُ النَّدَا فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَا مُضِيرٌ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَا

آخر :

وَكَمْ مِنْ لَيْمٍ وَدَّ أَنْ يَشْتُمُهُ وَإِنْ كَانَ شَتْمِي فِيهِ صَابٌ وَعَلَقْمٌ
وَلَلْكَفُّ عَنْ شَتْمِ اللَّيْمِ تَكْرُمًا أَضُرُّ لَهُ مِنْ شَتْمِهِ حِينَ يُشْتَمُ

مَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِأَدْنَى الْعُلُومِ وَتَرَكَ أَعْلَاهَا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ كَانَ كَمَنْ
يَعْرِسُ الْأَثْلَ وَالسِّدْرَ وَنَحْوَهُمَا فِي الْأَرْضِ الَّتِي يَزُكُّ وَيَتَمُؤَا فِيهَا النَّخِيلَ وَالزَّيْتُونَ
وَالْتَفَاحَ وَالرَّمَانَ وَنَحْوَهَا .

نَشَرُ الْعِلْمِ عِنْدَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ مُفْسِدٌ لَهُمْ كِاطْعَامِكَ التَّمْرِ وَالْحَلْوَى
مَنْ بِهِ مَرَضُ السُّكَّرِ وَكَمَنْ بِهِ حَرَقٌ وَالْفُلْفُلُ لِمَنْ بِهِ قَرْحَةٌ .

شعراً :

سَأَكْتُمُ عِلْمِي عَنْ ذَوِي الْجَهْلِ طَاقَتِي وَلَا أَثُرُ الدَّرَّ النَّفِيسَ عَلَى الْعَنَمِ
فَإِنْ يَسَّرَ اللَّهُ الْكَرِيمُ بِفَضْلِهِ فَصَادَفْتُ أَهْلًا لِلْعُلُومِ وَلِلْحِكْمِ
بَثْتُ مُفِيدًا وَاسْتَفَدْتُ وَدَادَهُمْ وَالْأَمْخَزُونَ لَدَيَّ وَمُكْتَمِ
فَمَنْ مَنَعَ الْجُهَالَ عِلْمًا أَضَاعَهُ وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمَ

الْبَاخِلُ بِالْعِلْمِ الْأُمُّ مِنَ الْبَاخِلِ بِالْمَالِ لِأَنَّ الْبَاخِلَ بِالْمَالِ يَخَافُ مِنْ فَنَائِهِ
وَذَهَابِهِ مِنْ يَدِهِ وَالْبَاخِلُ بِالْعِلْمِ بَخِيلٌ بِمَا لَا يَفْنَى عَلَى النِّفْقَةِ وَلَا يَفَارِقُهُ مَعَ الْبَدَلِ
بَلْ يَزِيدُ وَيَثْبِتُ .

حد البخل الامتناع عن أداء الواجبات أو بعضها .
وحد الجود بذل الفضل في وجوه البر والاحسان إلى عباد الله المؤمنين .
وسبب البخل غلبة الشهوة وطول الأمل ورحمة الولد وخوف الفقر
وقلة الثقة بمجيء الرزق وعشق المال لذاته .

مَنْ رَأَى نَفْسَهُ تَمِيلُ إِلَى عِلْمٍ مِنْ عُلُومِ الشَّرِيعَةِ كَالْتَفْسِيرِ وَالتَّوْحِيدِ
وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ فَلْيُقْبَلْ عَلَيْهِ وَلَا يَشْتَغَلْ بغيره حَتَّى يَمُهرَ فِيهِ ثُمَّ يَنْتَقِلْ إِلَى الثَّانِي .

ولا بد لمن أراد العلم وعنده إقبال ونشاط من تغييب القرآن ومثني من كل فن من العلم الذي يريد تحصيله لِيُعِينَهُ على تثبيت المعلومات وسُرْعَة استخراجها .

وَأَجَلُّ العلوم ما قربك من الله وما أعانك على رضاه .

من أضر ما على العلوم وأهلها الدُّخْلَاءُ فيها فإنهم يجهلون ويظنون أنهم يعلمون ويفسدون ويُقَدِّرُونَ أنهم يُصْلِحُونَ .

من أراد خير الآخرة وحكمة الدنيا وعدل السيرة والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها ومكارم الشيم واستحقاق الفضائل بِأَسْرِهِا فَلْيَقْتَدِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلْيَسْتَعْمِلْ أَخْلَاقَهُ وَسِيرَتَهُ ما أمكنه ذلك ، قال الله تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ .

منفعة العلم في استعمال الفضائل عظيمة وهو أن يعلم حسن الفضائل فيأتيها ، ويعلم قبح الرذائل فيجتنبها ويسمع الثناء الحسن فيرغب في مثله والثناء الردي فينفر منه ويتعد .

أنظر في المال والحال والصحة إلى من هو دونك ، وأنظر في العلم والدين والأخلاق الفاضلة إلى من هو فوقك .
من استخف بجرمات الله تعالى فلا تأمنه على شيء مما تشفق عليه وكن على حذر منه دائماً لأن من لا يخاف الله لا يؤمن على شيء .

ولا تُعْتَرِّ بِكَلَامِ الْمُنَافِقِينَ عُمَى الْبَصَائِرِ الَّذِينَ يَصِفُونَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِالْوَفَاءِ وَالصِّدْقِ وَالْمُسْلِمِينَ بِالْغَدْرِ وَالْخِيَانَةِ ، فَالْكَفَارَ لَمْ يَفُؤَا مَعَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا بَلْ خَانُوا اللهُ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ وَحَدَرْنَا اللهُ عَنْهُمْ فَإِيَّاكَ أَنْ تَعْتَرَّ بِكَلَامِ الْمُنَافِقِينَ فَتَمْدَحَ أَعْدَاءَ اللهِ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَتَهْلِكَ مَعَ مَنْ هَلَكَ . والله أعلم .

(فصل)

النصيحة مرتان : فالأولى فرض وديانة ، والثانية تنبيه وتذكير ، وأما الثالثة فتويخ وتقرير إن أمكن ولم يحصل عليك ضرر ، والنصح سرّاً لا جهراً وبتعريض لا تصريح إلا أن لا يفهم المنصوح تعريضك فلا بد من التصريح ، ولا تنصح على شرط القبول منك فإن تعديت فأنت مخطيء .

مَنْ أُرِدَتْ قَضَاءُ حَاجَتِهِ بَعْدَ أَنْ سَأَلَكَ إِيَّاهَا أَوْ أُرِدَتْ إِبْتِدَاءَهُ بِقَضَائِهَا فَلَا تَعْمَلْ إِلَّا مَا يَرِيدُهُ هُوَ لَا مَا تَرِيدُهُ أَنْتَ وَإِلَّا فَامْسِكْ فَإِنَّ تَعْدِيَتَ هَذَا كُنْتَ مَسِيئاً لَا مُحْسِناً .

لا تنقل إلى صديقك ما يؤلم نفسه ولا ينتفع بمعرفته ولا تكتمه ما يستنصر بجهله ولا يسرك أن تمدح بما ليس فيك لأنه نقصك يُنبئه الناس عليه بل الذي ينبغي لك غمك بذلك وقديماً قيل :

وَمَذْحُكَ الشَّخْصَ بِالْأَخْلَاقِ يَعْدُمُهَا لِلْحَرِّ ذِي اللَّبِّ تَبْكِيَّتٌ وَتَحْجِيلٌ
مَا شَيْءٌ أَضْيَعُ وَأَضْعَفُ مِنْ عَالِمٍ تَرَكَ النَّاسَ عِلْمَهُ لِفَسَادِ طَرِيقَتِهِ وَمَا
شَيْءٌ أَضْيَعُ وَأَضْعَفُ مِنْ جَاهِلٍ أَخَذَ النَّاسُ بِجَهْلِهِ لِنَظَرِهِمْ إِلَى عِبَادَتِهِ .
وَرُوي أَنَّ عُمَرَ أَتَى بِشَاهِدٍ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ إِتْنِي بَمَنْ يَعْرِفُكَ فَأَتَاهُ بِرَجُلٍ
فَأَتْنِي عَلَيْهِ خَيْرًا ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ أَنْتَ جَارُهُ الْأَذْنَى الَّذِي يَعْرِفُ مَدْخَلَهُ
وَمَخْرَجَهُ .

قال لا قال فكنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق ،

قال لا قال فعاملته بالدرهم والدينار ، قال لا .

قال أظنك رأيت قائماً في المسجد يهتهم بالقرآن يخفض رأسه طوراً

ويرفعه أخرى .

قال نعم قال إذ هب فلست تعرفه ثم قال للرجل إذ هب فأنتي بمن يعرفك .

من علامات الاستدراج العمى عن العيوب وصراف نعم الله في معاصيه وخير الرزق ما سلم من الأثم في الاكتساب والغش في الصناعة

والسلامة من أثمان المحرمات كالمسكرات والدخان والتلفزيون والفيديو والكورة والورق التي يستعملها سُخْفَاءُ العقول والبعيدون عن الدين ، أراح الله المسلمين منها ومنهم وجميع آلات المعاصي والملاهي والسلامة من الربا بجميع أنواعه .

من شغله طلب الدنيا عن الآخرة ذل ، إما في الدنيا وإما في الآخرة ، ومن نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال .
للإنسان المفرط موقفان يندم الإنسان فيهما على ضياع الوقت ندامة عظيمة حيث لا ينفع الندم ، ولا يفيد التأسف والحزن .

الأول : ساعة الاحتضار حين يَسْتَدْبِرُ الإنسان الدنيا وَيَسْتَقْبِلُ الآخرة ويتمنى لو أمهل بُرْهَةً مِنَ الزمان لِيَتَلَفَى ويصلح ما أفسد وهيبات .
قال تعالى ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدُقُ وَأَكُنُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .
والجواب على السؤال الذي قد فات أوانه ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

الموقف الثاني : في الآخرة قال تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ الآيات .

وقال تعالى ﴿ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ، وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكَذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآيات .

وقال تعالى ﴿ أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يُتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ﴾ .
قال بعض العلماء : أفضل البكاء بكاء العبد على ما سلف من ذنوبه

ومعاصيه وعلى ما فات من أوقاته في غير طاعة الله جل وعلا وقال إنما يخاف المؤمن الموت لخوفه من الذنوب والانقطاع عن الأعمال الصالحة من ذكر الله وما والاه من جميع أفعال الطاعات والقربات وإلا فأحْبُ شئ إليه لقاء ربه جلَّ وعلا الواجب على الإنسان العاقل أن يحافظ على وقته أكثر من محافظته على ماله وأن يحرص على الاستفادة منه فيما ينفعه ويقربه إلى الله عز وجل .

ولقد كان السلف أحرص ما يكونون على أوقاتهم لأنهم يعرفون قيمتها ولذلك يقول الحسن البصري : أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودينانيركم .

وقال يا ابن آدم إنما أنت أيام مجموعة كلما ذهب يوم ذهب بعضك .
وقال آخر : الوقت إذا فات لا يستدرك ولا شيء أعز منه .

وكانوا يحرصون كل الحرص ألا يمر زمن ولو يسيراً دون أن يتزود فيه بعمل صالح أو علم نافع أو مجاهدة للنفس أو إيصال نفع إلى قريب أو بعيد .
وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسُه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي .

وقال آخر : كل يوم يمر بي لا أزداد فيه علماً يقربني من الله عز وجل فلا بورك في طلوع شمس ذلك اليوم .

إذا مر بي يومٌ ولم أقتبسْ هدىً ولم أستفد علماً فما ذاك من عمري من جهل قيمة الوقت الآن فسيأتي عليه يوم يعرف فيه قيمة الوقت ولكن بعد فوات الأوان ويتمنى أنه شغل وقته الماضي بالباقيات الصالحات من تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير وقراءة لكتاب الله وصلاة وصيام وزكاة وحج وبر وصلة رحم ونحو ذلك مما يجده موفراً أحوج ما يكون إليه .

إذا أنت لم تزرع وأبصرت زارعا ندمت على التفريط في زمن البذر قيل لأحد العلماء ما بال كتب السلف وكلامهم ومواعظهم أنفع من

كلامنا وكتبنا ومواعظنا ، قال لأنهم يتكلمون لِعِزِّ الإسلام ونفع المسلمين
وِرِضا الرحمن وإزالة ما يضر الإسلام والمسلمين .

ونحن نتكلم لِعِزِّ النَّفْسِ وطلب الدنيا وقبول الخلقِ والشهرة
والظهور والتَّصَنُّعِ والرِّبَاءِ . وطلب المدح والثناء .

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : اتق الله بطاعته وأطع الله بتقواه
والتَّخَفْ يَدَاكَ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَبَطْنُكَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَلِسَانُكَ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ
وَحَاسِبْ نَفْسَكَ فِي كُلِّ خُطْوَةٍ وَرَاقِبِ اللَّهَ فِي كُلِّ نَفَسٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(ف ص ل)

وقال ابن القيم :

دافع الخَطْرَةَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ صَارَتْ شَهْوَةً فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ صَارَتْ عَزِيمَةً وَهَمَةً
فَإِنْ لَمْ تَدَافِعْهَا صَارَتْ فَعْلًا فَإِنْ لَمْ تَدَارِكْهُ بَصْدِهِ صَارَ عَادَةً فَيَصْعَبُ عَلَيْكَ
الانتقال عنها .

واعلم أن كل علم اختياري هو الخواطر والأفكار فإنها توجب
التصورات والتصورات تدعو إلى الارادات والارادات تقتضي وقوع الفعل
وكثرة تكراره تعطي العادة .

فصلاح هذه المراتب بصلاح الخواطر والأفكار وفسادها بفسادها
وصلاح الخواطر بأن تكون مراقبة لوليها وإلهها صاعدة إليه دائرة على مرضاته
ومحابه فإنه سبحانه به كل صلاح ومن عنده كل هدى ومن توفيقه كل رشد
ومن توليه لعبده كل حفظ ومن تولى العبد عنه وإعراضه عنه كل ضلال
وشقاء .

واعلم أن الخطرات والرساوس تؤدي متعلقاتها إلى الفكر فيأخذها الفكر
فيؤديها إلى التذكر فيأخذها التذكر فيؤديها إلى الإرادة فتأخذها الإرادة فتؤديها
إلى الجوارح والعمل فتستحكم فتصير عادة فَرَدُّهَا مِنْ مَبَادِئِهَا أَسْهَلُ مِنْ قَطْعِهَا
بَعْدَ قُوَّتِهَا وَتَمَامِهَا .

ومعلوم أن الانسان لم يُعْطَ إِمَاتَةَ الحَوَاطِرِ ولا القُوَّةَ على قطعها فإنها تهجُم عليه هُجُومَ النَّفْسِ إلا أن قُوَّةَ الإِيْمَانِ والعقل تُعِينُهُ على قبول أحْسَنِها ورضاه به ومُسَاكِنَتِهِ له وعلى دفع أقبحها وكرهته له ونفرتة منه .

وقد خلق الله النَّفْسَ شَبِيهَةً بالرحى الدائِرة التي لا تسكن ولا بُدَّ لها من شيء تطحنه فإن وُضِعَ فيها حَبٌّ طَحْنَتْهُ وإن وُضِعَ فيها ترابٌ أو حَصَى طَحْنَتْهُ فالخَوَاطِرُ والأفكار التي تَجُولُ في النَّفْسِ هي بِمَنْزِلَةِ الحَبِّ الذي يوضع في الرحى ولا تبقى تلك الرحى مُعْطَلَةً قطُّ بل لا بُدَّ لها من شيء يُوضَعُ فيها . فمن الناس مَنْ تطحنُ رِجَاهُ حَبًّا يَخْرُجُ دَقِيقًا يَنْفَعُ به نَفْسَهُ وَغَيْرُهُ وأكثرهم يَطْحَنُ رَمْلًا وَحَصَى وَتَبْنًا ونحو ذلك فإذا جاء وقتُ العَجَنِ والخَبْزِ تَبَيَّنَ له حَقِيقَةُ طَحْنِهِ أَهْ قُلْتُ وبعضهم من يَطْحَنُ بِرِجَاهِ نجاسات كالزناة واللوطية واللصوص وأهل الملاهي وجميع الفسقة .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه إرض بما قسم الله لك تكن من أغنى الناس واجتنب ما حرم الله عليك تكن من أروع الناس وأد ما افترض الله عليك تكن من أعبد الناس .

وقال ابن القيم رحمه الله : لله سبحانه على كل أحد عُبُودِيَّةٌ بحسب مرتبته سِوَى العبودية العامة التي سَوَى بَيْنَ عِبَادِهِ فيها .

فعلَى العَالِمِ مِنْ عُبُودِيَّةِ تَشْرِيرِ السَّنَةِ والعِلْمِ الذي بَعَثَ اللهُ به رسوله ﷺ ما ليس على الجاهلِ وعليه عُبُودِيَّةُ الصبرِ على ذلك ما ليس على غيره . وعلى الحَاكِمِ مِنْ عِبُودِيَّةِ إِقَامَةِ الحَقِّ وَتَنْفِيذِهِ وَإِزْمَامِهِ مَنْ هو عليه به والصبر على ذلك والجهد عليه ما ليس على المفتي وعلى الغني من عبودية أداء الحقوق التي في ماله ما ليس على الفقير .

وعلى القادر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيده ولسانه ما ليس على العاجز عنهما .

وقد غرَّ إبليسُ كثيراً من الخلق بأن زَيَّنَ لهم الاقتصارَ على القيام بنوع من الذكر والقراءة والصلاة والصيام والزهد في الدنيا والانقطاع عن الاختلاط بالناس وعطلوا القيام بالعبوديات المتعدي نفعها المتقدم ذكرها .

وإذا قلت لأحدهم كيف حالك قال بخير وسرور وأي خير وسرور فيمن يرى محارمَ الله تُنتهكُ وحُدُوده تُضَاع والمنكرات والملاهي في البيوت والأسواق وهو باردُ القلب مُداهنٌ ساكتٌ لا يشعر بهذا النقص العظيم وعند نقوص الدنيا يشتغل قلبه ولسانه وجسده والله در القائل :

ما لي أرى الناس والدنيا مُولِيَةً وكُلُّ جمع عليها سوف ينتثرُ
لا يشعرون إذا ما دينهم نُقصُوا يوماً وإن نُقصت دُنْيَاهُمْ شعروا
آخر : وعند مُرادِ الله تفتى كَمَيْتٍ وعند مُرادِ النَّفسِ تُسدي وتُلجمُ
آخر : تراه يشفق من تضييعِ درهمِهِ وليس يشفق من دين يضيعه
آخر : تفكر في نقصانِ مالك دائماً وتغفل عن نقصان دينك والعمرِ
ويُلهيك خوفُ الفقرِ عن كُلِّ طاعةٍ وخيفةُ حالِ الفقرِ شرٌّ من الفقرِ
قال بعض العلماء : إزم الأدب وفارق الهوى والغضب واعمل في أسباب التيقظ واتخذ الرفق جزياً والثاني صاحبات والسلامة كهفاً والفراغ غنيمَةً والدنيا مطيةً والآخرة منزلاً .

شعراً :

وأصبحتُ فيما كنتُ أبغى من الغنى إلى الزهد في الدنيا الدنية أحوَجاً
وحسبتُ نفسي بينَ بيتي ومسجدي وقد صيرتُ مثلَ النَّسرِ أهوى التَّعرجِ
وقال الحسنُ البصري إن الله لم يجعل للمؤمن راحةً دون الجنة . وقال فضيلُ
ليس الغريبُ من يمشي من بلد إلى بلد ولكن الغريبُ صالحٌ بينَ فساقٍ قلتُ :
ليس الغريبُ غريب الشام واليمن إنَّ الغريبَ تقى بينَ فساقٍ
وقال آخر : احذر الغفلة ومخاتل العدو وطربات الهوى وأماني النفس

وضراوة الشهوة قال ابن القيم واعلم أن الصبر على الشهوة أسهل من الصبر على ما توجب الشهوة .

فإن الشهوة إما أن تكون توجب المأ وعقوبة .
وإما أن تقطع لذة أكمل منها .
وإما أن تضيع وقتاً إضاعته حسرة وندامة .
وأما أن تثلم عرضاً تؤفيره أنفع للعبد من ثلجه .
وإما أن تذهب مالا بقاءه خير من ذهابه .
وإما تضع قدرأ وجاهاً قيامه خيّر من وضعه .
وإما أن تسلب نعمة بقاءها ألد وأطيب من قضاء الشهوة .
وإما أن تطرق لوضيع إليك طريقاً لم يكن يجدها قبل ذلك .
وإما أن تجلب همأ وغماً وحزناً وخوفاً لا يقارب لذة الشهوة .
وإما أن تنسي علماً ذكره ألد من نيل الشهوة .
وإما أن تشمت علواً وتحرين ولياً .
وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة .
وإما أن تحدث عيباً يبقى صفة لا تزول ، فإن الأعمال تورث الصفات والأخلاق أ هـ .

وقال المحاسبي رحمه الله : اطلب آثار من زاده العلم خشية والعمل بصيرة والعقل معرفة .
واعلم أن في كل فكرة أدبا وفي كل إشارة علماً وإنما يميز ذلك من فهم عن الله مراده وجنى فوائد اليقين من خطابه وعلامة ذلك في الصادق إذا نظر اعتبر وإذا صمت تفكر .

وإذا تكلم ذكر وإذا منع صبر وإذا أعطي شكر وإذا أبتلي استرجع وإذا

جَهْلَ عَلَيْهِ حَلَمَ وَإِذَا عَلِمَ تَوَاضَعَ وَإِذَا عَلِمَ رَفَقَ وَإِذَا سُئِلَ بَدَلَ .
 شَفَاءٌ لِلْقَاصِدِ وَعَوْنٌ لِلْمُسْتَرْشِدِ حَلِيفٌ صِدْقٍ وَكَهْفٌ بِرِ قَرِيبُ الرِّضَا
 فِي حَقِّ نَفْسِهِ بَعِيدُ الِهِمَّةِ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى نَيْتُهُ أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِهِ وَعَمَلُهُ أَبْلَغُ مِنْ
 قَوْلِهِ . مَوْطِنُهُ الْحَقُّ وَمَعْقِلُهُ الْحَيَاءُ وَمَعْلُومُهُ الْوَرَعُ وَشَاهِدُهُ الثِّقَّةُ لَهُ بَصَائِرُ مِنَ
 النُّورِ يُبْصِرُ بِهَا وَحَقَائِقُ مِنَ الْعِلْمِ يَنْطَلِقُ بِهَا وَدَلَائِلُ مِنَ الْيَقِينِ يُعَبِّرُ عَنْهَا .
 يَحْسِبُهُ الْجَاهِلُ صِمِيئًا عَيْيَا وَحِكْمَتُهُ أَصْمَتُهُ وَيَحْسِبُهُ الْأَحْمَقُ مَهْذَرًا
 وَالنَّصِيحَةَ لِلَّهِ أَنْطَقَتَهُ وَيَحْسِبُهُ الْجَاهِلُ غَنِيًّا وَالتَّعَفُّفُ أَغْنَاهُ وَيَحْسِبُهُ فَقِيرًا
 وَالتَّوَاضَعُ أَدْنَاهُ .

لا يتعرض لما لا يعنيه ولا يتكلف فوق ما يكفيه ولا يأخذ ما ليس
 بِمُحْتَاجٍ إِلَيْهِ وَلَا يَدْعُ مَا وَكَّلَ بِحِفْظِهِ النَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ وَهُوَ مِنْ نَفْسِهِ فِي
 تَعَبٍ قَدْ أَمَاتَ بِالْوَرَعِ حِرْصَهُ وَحَسَمَ بِالثَّقَى طَمَعَهُ وَأَمَاتَ بِنُورِ الْعِلْمِ شَهَوَاتِهِ .
 فَهَكَذَا فَكُنْ وَلِمَثَلٍ هَوَلَاءَ فَاصْحَبْ وَلَا تَارَهُمْ فَاتَّبِعْ وَبِأَخْلَاقِهِمْ فَتَأَدَّبْ
 وَاعْلَمْ وَسِعَ اللَّهُ بِالْفَهْمِ قَلْبَكَ وَأَنَارَ بِالْعِلْمِ صَدْرَكَ وَجَمَعَ بِالْيَقِينِ هَمَّكَ أَنْ
 وَجَدْتُ كُلَّ بَلَاءٍ دَاخِلٌ عَلَى الْقَلْبِ مِنْ نِتَاجِ الْفُضُولِ وَأَصْلُ ذَلِكَ الدُّخُولُ فِي
 الدُّنْيَا بِالْجَهْلِ وَنِسْيَانِ الْمَعَادِ بَعْدَ الْعِلْمِ .
 وَالنَّجَاةُ مِنْ ذَلِكَ تَرْكُ كُلِّ مَجْهُولٍ فِي السُّورِ وَأَخْذُ كُلِّ مَعْلُومٍ
 فِي الْيَقِينِ أَهـ .

وَإِذَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ أَمْرٌ مِنَ الْأُمُورِ أَوْ خَفِيَتْ عَلَيْكَ قَضِيَّةٌ فَارْجِعْ إِلَى
 الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ وَلَا تَحْتَكِمْ فِيهَا إِلَى الْعَقْلِ لِأَنَّهُ يَفْوَى وَيَضْعَفُ أَهـ وَيَتَأَثَّرُ
 بِالْمُؤَثِّرَاتِ .

قال ابن المبارك القلبُ مثلُ المرآةِ إذا طالتُ صِدِئَتْ وَكَالِدَابِيَةِ إِذَا غَفَلَ
 عَنْهَا عَدَلَتْ عَنِ الطَّرِيقِ .
 وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : الْقَلْبُ مِثْلُ تَيْتٍ لَهُ سِتَّةُ أَبْوَابٍ ثُمَّ قِيلَ

إِحْذَرُ أَلَا يَدْخُلُ عَلَيْكَ مِنْ أَحَدِ الْأَبْوَابِ شَيْءٌ فَيُفْسِدَ عَلَيْكَ الْبَيْتَ .
وَالْأَبْوَابُ هِيَ الْعَيْنَانِ وَاللِّسَانُ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْيَدَانِ وَالرِّجْلَانِ فَمَتَى
انْفَتَحَ بَابٌ مِنْ هَذِهِ الْأَبْوَابِ بَغَيْرِ عِلْمٍ ضَاعَ الْبَيْتُ .
وَفَرَضَ اللِّسَانَ الصِّدْقَ فِي الرِّضَا وَالغَضَبِ وَكَفَّ الْأَذَى .

وَفَرَضَ الْبَصَرَ الْقَضُ عَنْ الْمَحَارِمِ وَتَرَكَ التَّطَلُّعَ فِيهَا حُجُبَ وَسْتَرٍ .
وَفَرَضَ السَّمْعَ تَبَعٌ لِلْكَلَامِ وَالتَّنْظَرَ فَكُلُّ مَا لَا يَحِلُّ لَكَ الْكَلَامُ فِيهِ وَالتَّنْظَرُ
إِلَيْهِ فَلَا يَحِلُّ لَكَ اسْتِمَاعُهُ وَلَا التَّلَذُّذُ بِهِ وَالتَّبَحُّثُ عَمَّا كُتِمَ عَنْكَ تَجَسُّسٌ .
وَسَمَاعُ اللَّهْوِ وَالغِنَاءِ وَأَذَى الْمُسْلِمِينَ حَرَامٌ كَالْمَيْتَةِ ، سُئِلَ الْقَاسِمُ
عَنْ سَمَاعِ الْغِنَاءِ فَقَالَ : إِذَا مَيَّزَ اللَّهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ يَقَعُ
الْغِنَاءُ فَيَلَّ فِي حَوَازِ الْبَاطِلِ قَالَ فَأَقْبَتِ نَفْسَكَ .

وَفَرَضَ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ أَنْ يَكْفَهُمَا وَلَا يَبْسُطَهُمَا إِلَى مُحْرَمٍ وَلَا يَقْبِضُهُمَا
عَنْ حَقٍّ وَفَرَضَ الْأَنْفَ أَنْ لَا يَشِمَّ مَا لَا يَجُوزُ لَهُ شِمُّهُ . قُلْتُ وَقَدْ تَرَكَ أَبَا وَهُوَ
أَمُّهَا وَأَخْطَرُهَا وَهُوَ الْفَرْجُ وَفَرَضَهُ حِفْظَهُ عَمَّا عَدَا الزَّوْجَةَ وَالْمَمْلُوكَةَ قَالَ تَعَالَى
﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ .

وَاعْلَمْ أَنَّ أُنْجَى الطَّرِيقِ الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ وَالتَّحَرُّزُ بِالْخَوْفِ وَالغِنَى بِاللَّهِ عِزٌّ
وَجَلٌّ فَاشْتَغَلْ بِإِصْلَاحِ حَالِكَ وَافْتَقِرْ إِلَى رَبِّكَ وَتَنَزَّهِ عَنِ الشُّبُهَاتِ وَأَقِلُّ
حَوَائِجَكَ إِلَى النَّاسِ فَإِنَّ كَثِيرَ الْحَاجَاتِ مَمْلُوءٌ عِنْدَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ .

لَا تَسْأَلَنَّ إِلَى صَدِيقٍ حَاجَةً فَيَحُولُ عَنْكَ كَمَا الزَّمَانُ يَحُولُ
وَاسْتَعْنِ بِالشَّيْءِ الْقَلِيلِ فَإِنَّهُ مَا صَانَ عِرْضَكَ لَا يُقَالُ قَلِيلٌ
مَنْ عَفَّ نَخْفَ عَلَى الصَّدِيقِ لِقَاؤُهُ وَأَخُو الْحَوَائِجِ وَجَهَهُ مَمْلُوءٌ
وَأُخْوِكَ مَنْ وَفَّرَتْ مَا فِي كَفِّهِ وَمَتَى عَلَقَتْ بِهِ فَأَنْتَ ثَقِيلٌ
قِيلَ لِأَحَدِ الْفُقَرَاءِ مَا أَفْقَرُكَ فَقَالَ لَوْ عَرَفْتُ رَاحَةَ الْفَقْرِ لَشَعَلْتُكَ التَّوَجُّعُ
لِنَفْسِكَ عَنِ التَّوَجُّعِ لِي فَالْفَقْرُ مَلِكٌ مَا عَلَيْهِ مُحَاسَبَةٌ وَقِيلَ لَهُ لِمَا لَا يَرَى أَثَرَ

الْحَزَنُ عَلَيْكَ فَقَالَ لِأَنْتِي لَمْ أَتَّخِذْ شَيْئًا يَحْزِنُنِي فَقَدَهُ .

وقال بعض الحكماء مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَقَلَ هُمُومُهُ وَمَصَائِبُهُ فَلْيُقَلِّلْ قُتْبَتَهُ لِلْمَخَارِجَاتِ مِنْ يَدِهِ لِأَنَّ أَسْبَابَ الْهَيْمِ فَوْتُ الْمَطْلُوبِ أَوْ فَقْدُ الْمَحْبُوبِ وَلَا يَسْلَمُ مِنْهُمَا إِنْسَانٌ قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ لَا يَرَى مَا يَسُوؤُهُ فَلَا يَتَّخِذْ شَيْئًا يَخَافُ لَهُ فَقْدًا

وذكر أنه لما غرقت البصرة أخذ الناس يستغيثون لإخراج أموالهم فخرج

الحسن رضي الله عنه ومعه قصعته وعصاه فقال نجا المخفون وقيل لأحد الزهاد

أترضى من الدنيا بهذه الحالة فقال ألا أدلك على من رضي بدون هذا قال نعم

قال من رضي بالدنيا بدلاً من الآخرة .

وقيل لمحمد بن واسع رحمه الله أترضى بالدون فقال إنما رضي بالدون

من رضي بالدنيا بدلاً من الآخرة . وقال زاهد لملك أنت عبد عبي لأنك

تعبد الدنيا لرغبتك فيها وأنا مولأها لرغبتني عنها وزهدي فيها . شعراً :

أنت الأمير على الدنيا لرؤدك في حطامها وطريق الحق مسلوكة

وأنت عبد لها ما دمت تعشقها إن المحب لمن يهواه مملوك

آخر : أرى الدنيا لمن هي في يديه عذاباً كلما كثرت لديه

تُهين المكرمين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه

إذا استغيت عن شيء فدعه وتحذ ما أنت محتاج إليه

آخر : أرى أشقياء الناس لا يسأمونها على أنهم فيها عراة وجوع

أراها وإن كانت تحب كأنها سحابة صيف عن قليل تقشع

وقال مالك بن أنس : كنا عند جعفر بن محمد فدخل سفيان الثوري

فقال له حدثني رحمتك الله فقال يا أبا عبد الله أكثر من الحديث أعلمك ثلاثاً

خير لك من مال كثير يا سفيان إذا أنعم الله عليك نعمة فأكثر من الحمد لله

فإن الله تعالى يقول ﴿ لَنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ .
 وإذا قلتَ نَفَقْتِكَ فعليك بالاستغفار فإنه يزيدك من المال والولد والنعمة
 قال الله تعالى ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفراً يرسل السماء عليكم مدراراً
 ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ﴾ وإذا اشتد بك
 الكرب فعليك بلا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كتوز الجنة فجعل سفيان
 يقوها ويعدها في يده ثلاثاً .

وقال رجل لعمر بن عبدالعزيز عليك بما يبقى لك عند الله فإنه لا يبقى
 لك ما عند الناس فبلغ ذلك الزهري فقال لقد وعظه بالتوراة والأنجيل
 والفرقان .

من أصعب الأشياء على الانسان معرفته بعيوبه والإمساك عن الدخول
 فيما لا يعنيه . قلتُ والغيبة والكذب والرياء .

مما يجبُ الابتعاد عنه والتحذير منه مُجَالَسَةُ أهل الفساد لأنه يعلِّقُ
 بالانسان من مُجَالَسَتِهِم والاتصال بهم أضعاف ما يعلِّقُ به من مُجَالَسَةِ الْعُقَلَاءِ
 لأنَّ الفساد أشدُّ التحاماً بالطِّبَاعِ وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ يُسَاعِدَانِ على ذلك .
 وما يَنْفَعُ الْجُرْبَاءَ قُرْبُ صَاحِبَةٍ إِلَيْهَا وَلَكِنَّ الصَّحِيحَةَ تُجْرِبُ
 الْعَاقِلَ حَقِيقَةٌ هُوَ مِنْ آثَرِ الطَّاعَةِ على المعصية وآثر العِلْمِ على الجهل وآثر
 الدِّينِ على الدُّنْيَا وكَفَّ آذَاهُ عن الناس والعالمِ حَقِيقَةٌ هُوَ مَنْ خَشِيَ الله تعالى
 وَعَمِلَ بما عَلِمَ . قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ من عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

(فائدة)

إحالة الأعمال الصالحة إلى وجود الفراغ من أمور الدنيا من الحُتْمِ
 لَوْجُوهِهَا منها إيثار الدنيا على الآخرة والله يقول ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا
 والآخرة خير وأبقى ﴾ .

والثاني : أن تسوِّف العمل إلى أوان فراغه ذليل على جهل الانسان

وَعِبَاوَتِهِ لِأَنَّهُ قَدْ لَا يَجِدُ مُهَلَّةً فَرِمَا اخْتَطَفَهُ الْمَوْتُ قَبْلَ ذَلِكَ وَرُبَّمَا يَزْدَادُ شُغْلُهُ
لِأَنَّ اشْتِعَالَ الدُّنْيَا يَجْدِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَلَا تَنْتَهِي غَالِبًا إِلَّا بِالْمَوْتِ .

قال الشاعر :

وَمَا قَضَى أَحَدٌ مِنْهَا لُبَانَتَهُ وَلَا انْتَهَى أَرْبٌ إِلَّا إِلَى أَرْبٍ
فَالْوَاجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ الْمُبَادَرَةَ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ
وَأَنْ يَنْتَهِيَ فُرْصَةَ الْإِمْكَانِ قَبْلَ مُفَاجَأَةِ هَادِمِ اللَّذَاتِ وَأَنْ يَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَيَطْلُبَ
مِنَهُ الْعَوْنَ فِي تَسْيِيرِهَا إِلَيْهِ وَصَرَّفَ الْمَوَانِعَ الْحَائِلَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا .

قال الشاعر على اغتنام الوقت :

وَأُخِذَ مِنْ قَرِيبٍ وَاسْتَجِبَ وَاجْتَنِبَ غَدًا

وَسَمِرَ عَنِ السَّاقِ إِجْتِهَادًا بِنَهْضَةٍ
وَكُنْ صَارِمًا كَالْوَقْتِ فَالْمَقْتُ فِي عَسَى
وَإِيَّاكَ مَهْلًا فَهِيَ أخطرُ عَلَيَّ
وَسِرْرًا مَنَاقِبًا وَانْهَضْ كَسِيرًا فَحِظْكَ الْ
بَطَالَةَ مَا أَخْرَجْتَ عَزْمًا لِصِحَّةِ
وَجُدْ بِسَيْفِ الْعَزْمِ سَوْفَ فَإِنْ تَجُدْ
تَجِدْ نَفْسًا فَالنَّفْسُ إِنْ جُدْتَ جُدْتَ

قال الفضيل بن عياض : لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وشحوا على
دينهم وأعزوا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة
وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعًا وعزَّ الاسلامُ وأهله .

ولكنهم أذلوا أنفسهم ولم يبالوا بما نقص من دينهم إذا سلمت لهم
دنياهم فبدلوا علمهم لأبناء الدنيا ليصيبوا بذلك ما في أيدي الناس فذلوا وهانوا

على الناس . انتهى

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا
فإن قلت زندق العلم كاب فإنما
ولو عظموه في النفوس لعظما
محياه بالأطماع حتى تجهما
كبي حيث لم تحمي جماه وأظما

(فائدة)

إذا علم العبد أن الله تعالى رحيم به ورؤوف به وناظر إليه فكل ما يرد عليه من أنواع البلياء والرزايا والمصائب يتبغى له أن يصبر ويحتسب ولا يكثر بذلك فإنه لم يتعوذ من الله إلا خيراً له .

فليُحسِن طئه بربه وليعتقد أن ذلك خيراً له وأن له في ذلك مصالح خفية لا يعلمها إلا الله كما قال تعالى ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾ فقد يُحبُّ الانسان الشهرة والعافية والعناء ويكون شراً له كما في قصة قارون وثعلبة .

وَحَفَّفَ عَنِّي مَا آتَى مِنَ الْعَنَاءِ بَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُبْتَلَى وَالْمُقَدَّرُ
وَمَا لِأَمْرٍ عَمَّا قَضَى اللَّهُ مَعْدَلٌ وَلَيْسَ لَهُ مِنْهُ الَّذِي يَتَخَيَّرُ

(فائدة)

قيل من علامات التوفيق دُخُولُ أعمال البر عليك من غير قصد لها ، وصرف المعاصي عنك مع السعي إليها ، وفتح باب اللجاء والافتقار إلى الله تعالى في كل الأحوال ، واتباع السيئة الحسنة ، وعظم الذنب في قلبك وإن كان من صفات الذنوب والاكثار من ذكر الله وشكره وحمده والاستغفار .

ومن علامات الخذلان تعسر الطاعات عليك مع السعي فيها ، ودخول المعاصي عليك مع هربك منها ، وغلق باب الألتجاء إلى الله وترك التضرع له وترك الدعاء ، واتباع الحسنة بالسيئات ، واحتقارك لذنوبك وعدم الاهتمام بها وإهمال التوبة منها والاستغفار ونسيانك لربك .

ذم الانسان نفسه واحتقاره لها لما يتحققه من عُيوبها وآفاتنا مطلوب منه لأنه يُؤدِّيه إلى التفتيش عليها ومحاسبتها بدقة ويؤدِّيه أيضاً إلى الحذر من غرورها وشرورها .

فتصلح بسبب ذلك أعماله وتصدق أحواله وتستقيم بإذن الله أمره وإلا

فَسَدَّتْ عَلَيْهِ وَاعْتَلَّتْ لِدُخُولِ الْآفَاتِ عَلَيْهَا وَلَا يَصُدُّنَهُ عَنْ ذَلِكَ مَدْحُ الْمَادِحِينَ
وَتَنَاءُ الْمُتَمَلِّقِينَ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ مِنْ عِيُوبِ نَفْسِهِ مَا لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ .

المؤمن الحقيقي هو الذي إذا مَدِحَ وَأَثْنِي عَلَيْهِ وَذَكَرَ طَرَفًا مِنْ مَحَاسِنِهِ
اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى اسْتِحْيَا تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا أَنْ يُثْنَى عَلَيْهِ بِصِفَةٍ لَيْسَتْ فِيهِ .
فَيَزِدُّهُ بِذَلِكَ مَقْتًا لِنَفْسِهِ وَاسْتِحْقَارًا لَهَا وَنُفُورًا عَنْهَا وَيَقْوَى عِنْدَهُ رُؤْيَا
إِحْسَانِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِ وَشُهُودَهُ فَضْلَهُ عَلَيْهِ وَمِنْتَهُ فِي إِظْهَارِ الْمَحَاسِنِ عَلَيْهِ وَيَشْكُرُ
اللَّهُ وَيُحْمَدُهُ عَلَى مَا أَوْلَاهُ مِنْ نِعْمَةٍ الَّتِي لَا تَعُدُّ وَلَا تَحْصِي .

قيل إن رجلاً أُخْرِجَ مِنَ السَّجْنِ وَفِي رِجْلِهِ قَيْدٌ وَهُوَ يَسْأَلُ النَّاسَ فَقَالَ
لِإِنْسَانٍ عَاقِلٍ أَعْطِنِي كِسْرَةَ خُبْزَةٍ فَقَالَ لَوْ قَنَعْتَ بِالْكَسْرَةِ لَمَا وُضِعَ الْقَيْدُ فِي
رِجْلِكَ ، وَرَأَى رَجُلًا مِنْ رِجُلٍ مِنْ الْحُكَمَاءِ يَأْكُلُ مَا تَسَاقَطَ مِنَ الْبَقْلِ عَلَى رَأْسِ
الْمَاءِ .

فَقَالَ لَوْ خَدَمْتَ السُّلْطَانَ لَمْ تَحْتَجِ إِلَى أَكْلِ هَذَا ، فَقَالَ الْحَكِيمُ وَأَنْتَ
لَوْ قَبِعْتَ بِهَذَا لَمْ تَحْتَجِ إِلَى خِدْمَةِ السُّلْطَانَ ، وَقَالَ رَجُلٌ لِآخَرَ كَيْفَ حَالِكُمْ مَعَ
السُّلْطَانَ ، فَقَالَ كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلْسُّخْتِ ﴾ .

(فَائِدَةٌ)

الأسباب الجالبة لمحبة الله لعبده المؤمن تُذَكَّرُ مَا تَيْسَّرُ مِنْهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ :

- (١) قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه والتفطن لمراد الله منه .
- (٢) الإحسان في عبادة الله والإحسان إلى عباد الله ، قال الله تعالى ﴿ وَاللَّهُ
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .
- (٣) التقوى ، قال الله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ .
- (٤) طهارة الباطن والظاهر ، قال الله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ .
- (٥) التقرب إلى الله بالنوافل بعد أداء الفرائض فإنها توصل إلى محبة الله لعبده
كما في الحديث « وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ »
الحديث .

- (٦) دوام ذكر الله على كل حال في كل مكان إلا في المحلات المستنكرة كالخلاء ونحوه ويكون ذلك باللسان والقلب والعمل .
- (٧) إيثار مَحَابِبِهِ على محابك عند غلبات الهوى .
- (٨) مطالعة القلب لأسمائه وصفاته وأفعاله ومشاهدتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباذيتها فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة .
- (٩) مشاهدة بره وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة .
- (١٠) إنكسار القلب بين يديه والتضرع والتذلل له وإظهار الإفتقار إليه وإظهار العجز والمسكنة والتلهف إلى رحمته ورأفته ولطفه .
- (١١) مجالسة التالين لِلْقُرْآنِ الْعَامِلِينَ به والذاكرين الله كثيراً .
- (١٢) القتال في سبيل الله ، قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بِنْيَانٍ مَرْصُوعٍ ﴾ .
- (١٣) إتباع النبي ﷺ ، قال الله جل وعلا ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ .
- (١٤) الصبر ، قال تعالى ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ .
- (١٥) الخلوة به سبحانه وقت النزول الإلهي أي وقت التجلي الإلهي ، وهو في الاسحار قبل الفجر لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والقالب بين يديه ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة .
- (١٦) مباحدة العوائق والحوائل وكل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل .

قال رَجُلٌ لِبَطْرُوسَ : أوصني قال أوصيك أن تحب الله حُباً حَتَّى لَا يكون شيءٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ منه وَخِيفُهُ خَوْفاً حَتَّى لَا يكون شيءٌ أَخَوْفَ إِلَيْكَ منه وارحُ الله رَجَاءً يَحُولُ بَيْنَكَ وبين ذلك الخوف وارض للناس ما ترضى لنفسك .

المراقبة في ثلاثة أشياء : مراقبة الله في طاعته بالعمل الذي يرضيه ومراقبة الله عند ورود المعصية بتركها ومراقبة الله في الهم والخواطر والسر والاعلان قال تعالى ﴿ وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ﴾ وقال النبي ﷺ « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

قالت أسماء بنت عُمَيْس : إنا لعند علي بن أبي طالب بعد ما ضربته ابن ملجم ، إذ شهق ثم أغمى عليه ثم أفاق فقال مرحباً ، مرحباً ، الحمد لله الذي صدقنا وعدّه وأورثنا الجنة فليل له ما ترى ، قال هذا رسول الله وأخي جعفر وعمي حمزة وأبواب السماء مفتحة والملائكة ينزلون يسلمون علي ويُسبِّرون وهذه فاطمة قد طاف بها وصاتفها من الحور وهذه منازل في الجنة « لمثل هذا فليعمل العاملون » .

عن كثير بن زيد قال كبر حكيم بن حزام حتى ذهب بصره ثم اشتكى فاشتد وجعه فقلت لأحضرته ولا أنظرن ما يتكلم به فإذا هو يهمهم ويقول لا إله إلا الله أجبك وأخشاك حتى مات . انتهى

ولما حضرت أبا هريرة الوفاة بكى قالوا ما يبكيك ، قال بعد السفر وقلة الزاد وضعف اليقين وخوف الوقوع من الصراط في النار .
ولما حضرت معاذ بن جبل الوفاة قال : أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار ثم قال مرحباً بالموت زائر مغيب وحبيب جاء على فاقة اللهم إني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك .

اللهم إنك تعلم أنني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكرهي الأنتهار ولا لغرس الأشجار ولكن لطول ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر ثم قبض رحمه الله .
ولما حضرت أبا الدرداء الوفاة جعل يعجود بنفسه ويقول ألا رجل يعمل لمثل مضرعي هذا ألا رجل يعمل لمثل يومي هذا ألا رجل يعمل لمثل ساعتي هذه ثم قبض رحمه الله .

ثم اعلم : أن الألم المصيب للبدن إنما يدرك بواسطة الروح ، وإذا وصل الألم إلى نفس الروح فلا تسأل عن كربيه وآلميه حتى قالوا إنه أشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض .

والسبب في أنه لا يقدر على الصياح مع شدة الألم لزيادة الوجع والكرب حتى فهر كل قوة وضعف كل جراحة فلم يبق له قوة الاستعانة والاستعانة .

أما العقل فقد غشيته وشوشه وأما اللسان فقد أبكمه وأما الأطراف فقد حذرهما وضعفها فإن بقيت فيه قوة سمعت له خواراً وغرغرة من صدره وحلقه حتى يبلغ بها إلى الحلقوم .

فبعد ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها وتعلق أبواب التوبة قال صلواته عليه « إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يعرغر » رواه الترمذي وقال حديث حسن .

فالموفق من يكون الموت نصب عينيه لا يفعل عنه ساعة فيستعد للموت .

ويقتس على نفسه ويتفقدتها من قبل الصلوات ومن قبل حقوق الله وحقوق خلقه هل أقام الصلاة على الوجه الأكمل هل أدى الزكاة كاملة مكملة هل أبرأ ذمته من حقوق الآدميين .

هل أدى الأمانات إلى أهلها هل نفذ ما عنده من وصايا ووكالات هل عنده أشياء معارة كتب أو نحوها يرجعها هل عنده كتب زائدة يفرقها على طلبة العلم العاملين بعلمهم . ويتلف إن كان عنده آلات هو لا تقبض روحه وهي عنده . قال بعضهم إن علامة قصر الأمل المبادرة في العمل قبل حلول الأجل ومن ادعى قصر الأمل وهو يعتني بالدنيا فهو كاذب في دعواه

فالتوفيق أن يكون الموت أمامه في كل لحظة لا يفعل عنه أبداً إن أصبح

أَضْمَرَ أَنَّهُ لَا يُمَسِّي وَإِنْ أَمَسِيَ قَدَّرَ أَنَّهُ لَا يُضْبِح .

مُدِيمُ الْعَمَلِ بَطَاعَةَ اللَّهِ شَاكِرًا لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ لِذَلِكَ مُلَازِمًا لِذِكْرِ اللَّهِ لَيْلًا
وَنَهَارًا سِرًّا وَجَهَارًا .

وَلَكِنْ لَا يَتَيَسَّرُ هَذَا إِلَّا لِمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ عَنِ الْعَدِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ وَعَنِ الدُّنْيَا
وَأَشْغَالِهَا وَزَخَارِفِهَا وَجَمِيعِ مَتَعَلِقَاتِهَا .

إِلَّا مَا كَانَ عَوْنًا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَدَاءً لِمَا وَجَبَ عَلَيْهِ مِنْ حَقُوقِ نَسَائِلِ اللَّهِ
الْإِعَانَةَ وَالتَّوْفِيقَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

« فَضْلٌ »

فِيهَا الْغَافِلُ الْمُهْمِلُ الْمَفْرَطُ وَكُنَّا كَذَلِكَ انْتَبِهْ وَتَصَوَّرْ صَرَعَةَ الْمَوْتِ
لِنَفْسِكَ وَتَصَوَّرْ نَزْعَهُ لِرُوحِكَ وَتَصَوَّرْ كُرْبَهُ وَسَكَرَاتِهِ وَعُصَصَهُ وَعَمَّهُ وَقَلْقَهُ .
وَتَصَوَّرْ بُدْوَ الْمَلِكِ لَجَذِبِ رُوحِكَ مِنْ قَدَمَيْكَ ثُمَّ الْاسْتِمْرَارِ لِجَذِبِ
الرُّوحِ مِنْ جَمِيعِ بَدَنِكَ فَتَشَبَّطْتَ مِنْ أَسْفَلِكَ مُتَصَاعِدَةً إِلَى أَعْلَاكَ حَتَّى إِذَا بَلَغَ
مَنْكَ الْكَرْبُ وَالْوَجْعُ وَالْأَلْمُ مُنْتَهَاهُ وَعَمَّتِ الْآلَامُ جَمِيعَ بَدَنِكَ وَقَلْبِكَ وَحَلَّ
مَحْزُونٌ مُنْتَظِرٌ إِمَّا الْبُشْرَى مِنْ اللَّهِ بِالرِّضَا وَإِمَّا بِالغَضَبِ .

فِيهَا أَنْتَ فِي كَرْبِكَ وَغَمُّومِكَ وَشِدَّةِ حُزْنِكَ لَا رُتْقًا بِكَ إِحْدَى
الْبُشْرَيْنِ إِذْ سَمِعْتَ صَوْتَهُ إِمَّا بِمَا يَسْرُكُ وَإِمَّا بِمَا يَغْمُكُ فَيَلْزَمُ حِينَئِذٍ غَايَةَ الْهَمِّ
وَالْحَزَنِ أَوْ الْفَرَحِ وَالْأَنْسِ وَالسُّرُورِ قَلْبِكَ حِينَ انْقَضَتْ مِنَ الدُّنْيَا مُدَّتُكَ
وَانْقَطَعَ مِنْهَا أَثْرُكَ وَحُمِلْتَ إِلَى دَارٍ مِنْ سَلَفِ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَكَ .

وَتَصَوَّرْ نَفْسَكَ حِينَ اسْتَطَارَ قَلْبُكَ فَرَحًا وَسُرُورًا أَوْ مَلِيءًا رُغْبًا وَحُزْنًا
وَعَبْرَةً وَبِرْيَاةِ الْقَبْرِ وَهَوْلِ مَطْلَعِهِ وَرَوْعَةِ الْمَلِكِينَ مِنْكَ وَكَبِيرِ وَسْوَالِهِمَا لَكَ فِي
الْقَبْرِ عَنْ ثَلَاثَةِ أَسْئَلَةٍ مَا فِيهَا تَخْيِيرٌ ، الْأُولَى مَنْ رَبُّكَ وَالثَّانِي مَا دَيْتُكَ وَالثَّلَاثُ مَنْ
نَبِيُّكَ .

فتصوّر أصواتَهُمَا عِنْدَ نِدَائِهِمَا لَكَ لِتَجْلِسَ لِسُؤَالِهِمَا لَكَ فِيهِ فَتَصَوِّرْ
 جَلِسَتَكَ فِي ضَيْقِ قَبْرِكَ وَقَدْ سَقَطَ كَفُّكَ عَنِ حَقْوَيْكَ وَالْقَطْنُ مِنْ عَيْنِكَ .
 ثم تصوّر شُخُوصَكَ بِبَصْرِكَ إِلَيْهِمَا وَتَأْمَلْكَ لِصُورَتَيْهِمَا فَإِنْ رَأَيْتَهُمَا
 بِأَحْسَنِ صُورَةٍ أَتَقَنَّ قَلْبُكَ بِالْفُوزِ وَالنَّجَاةِ وَالسَّرُورِ وَإِنْ رَأَيْتَهُمَا بِأَقْبَحِ صُورَةٍ
 أَتَقَنَّ بِالْعَطَبِ وَالهِلَاكِ .

شعراً :

وَلِلمَرءِ يَوْمَ يَنْقُضِي فِيهِ عُمُرُهُ وَمَوْتٍ وَقَبْرٍ ضَيْقٍ فِيهِ يُوَلِّجُ
 وَيَلْقَى نَكِيرًا فِي السُّؤَالِ وَمُنْكَرًا يَسُومَانِ بِالتَّكْوِيلِ مَنْ يَتَلَجَّلُجُ

آخر :

تَفَكَّرْ فِي مَشِيئِكَ وَالْمَأَبِ إِذَا وَافَيْتَ قَبْرًا أَنْتَ فِيهِ
 فِي أَوْصَالِ جِسْمِكَ حِينَ تَبْقَى فَلَوَلَا الْقَبْرُ صَارَ عَلَيْكَ سِتْرًا
 خَلَقْتَ مِنَ التُّرَابِ فَصُرْتَ حَيًّا فَطَلَّقْ هَذِهِ الدُّنْيَا ثَلَاثًا
 نَصَحْتُكَ فَاسْتَمِعْ قَوْلِي وَنَصِحِي خُلِقْنَا لِلْمَمَاتِ وَلَوْ تَرَكْنَا
 يُنَادِي فِي صَيِّحَةٍ كُلِّ يَوْمٍ لِدُوِّ لِلْمَوْتِ وَابْتُوِّ لِلْحَرَابِ
 وَدَفِنِكَ بَعْدَ عِرْكَ فِي التُّرَابِ تُقِيمُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ
 مُقَطَّعَةٌ مُمَزَّقَةٌ الْإِهَابِ لِأَنْتِ الْأَبَاطِحُ وَالرَّوَابِي
 وَعُلِمْتَ الْفَصِيحُ مِنَ الْخَطَابِ وَبَادِرُ قَبْلِ مَوْتِكَ بِالْمَتَابِ
 فَمِثْلُكَ قَدْ يُدَلُّ عَلَى الصَّوَابِ لَضَاقَ بِنَا الْفِسِيحُ مِنَ الرَّحَابِ
 لِدُوِّ لِلْمَوْتِ وَابْتُوِّ لِلْحَرَابِ

ثم تصوّر كَيْفَ يَكُونُ شُعُورُكَ إِنْ تَبَّنَكَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا وَنَظَرْتَ إِلَى مَا
 أَعَدَّ اللهُ لَكَ وَقَوْلُهُمَا لَكَ هَذَا مَنْزِلُكَ وَمَصِيرُكَ فَتَصَوِّرْ فَرَحَكَ وَسُرُورَكَ بِمَا
 تُعَايِنُهُ مِنَ النِّعَمِ وَبِهَجَةِ الْمُلْكِ وَإِيقَانِكَ بِالسَّلَامَةِ مِمَّا يَسُوءُكَ .
 وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى فَتَصَوِّرْ ضِدَّ ذَلِكَ مِنْ إِنْتِهَارِكَ وَمُعَايِنَتِكَ جَهَنَّمَ

وقولهما لك هذا منزلك ومصيرك فيآلها من حسرة ويا لها من ندامة ويا لها من
عثرة لا تُقال .

ثم بعد ذلك الفناء والبلاء حتى تنقطع الأوصال وتفتت العظام ويبل
جسدك ويستمر حزنك فيا حسرة روجك وغمومها وهمومها .
حتى إذا تكاملت عدة الأموات وقد بقي الجبار الأعلى منفرداً بعظمته
وجلاله وكبريائه ثم لم يفجأك إلا نداء المنادي للخلائق للعرض على الله جل
وعلا .

قال تعالى ﴿ واستمع يوم يُنادى المناد من مكان قريب يوم يسمعون
الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ﴾ يأمر الله ملكاً أن يُنادي على صخرة بيت
القدس أيها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور
المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء .

فَنصُورٌ وَقُوعُ الصَّوْتِ فِي سَمْعِكَ وَدُعَائِكَ إِلَى العَرَضِ عَلَى مَالِكِ المُلْكِ
فَيَطِيرُ فُؤَادَكَ وَيَشِيبُ رَأْسَكَ لِلنداءِ لأنها صيحة واحدة للعرض على الرب جل
وعلا قال تعالى ﴿ فإما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة ﴾ .

فبينما أنت في فزع من الصوت إذ سمعت بانشقاق الأرض فخرجت
مُعْبِراً مِنْ غبارِ قَرْنِكَ قائماً على قدميك شاخصاً ببصرِكَ نحو النداء قال تعالى ﴿
يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ﴾ وقال ﴿ خُشِعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ
الأجداث ﴾ .

فتصور تعريك ومدلتك وانفرادك بخوفك وأحزانك وهمومك
وغمومك في زحمة الخلائق خاشعةً أبصارهم وأصواتهم ترهقهم الذلة قال
تعالى ﴿ وَخَشِعَتِ الأصواتُ لِلرَّحْمَنِ فلا تسمع إلا هساً ﴾ وقال تعالى ﴿
خُشِعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ الأجداث كأنهم جرادٌ مُنْتَشِرٌ مهطعين إلى
السداعي ﴾ .

ثم تصور إقبال الوحوش من البراري مُنكِسَةً رُؤُوسَهَا لِهَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
فَبَعْدَ تَوْحُشِهَا وَانْفِرَادِهَا مِنَ الْخَلَائِقِ ذَلَّتْ لِيَوْمِ النُّشُورِ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِذَا
الْوَحُوشُ حَشُرَتْ ﴾ .

وتصور تَكْوِيرَ الشَّمْسِ وَتَنَاقُثَ النُّجُومِ وَانْشِقَاقَ السَّمَاءِ مِنْ فَوْقِ الْخَلَائِقِ
مَعَ كَثَافَةِ سَمَكِهَا فِيهَا هَوْلٌ صَوْتِ ذَلِكَ الْانْشِقَاقِ .

وَالْمَلَائِكَةُ عَلَى حَافَاتِ مَا يَتَفَطَّرُ مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَانْشَقَّتْ
السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ فَإِذَا انْشَقَّتْ
السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴾ .

قِيلَ تَذُوبٌ كَمَا تَذُوبُ الْفِضَّةِ فِي السَّبْكِ وَتَتَلَوْنُ كَمَا تَتَلَوْنَ الْأَصْبَاغُ الَّتِي
يُذَهَنُ بِهَا فَتَارَةٌ حَمْرَاءُ وَتَارَةٌ صَفْرَاءُ وَزَرْقَاءُ وَخَضْرَاءُ وَذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ
وَهَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴾ قِيلَ كَالْفِضَّةِ
الْمَذَابَةِ أَوْ الرِّصَاصِ الْمَذَابِ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ .

فَتَصُورُ وَقُوفَكَ مَفْرَدًا عَرِيانًا حَافِيًا وَقَدْ أُدْنِيَتِ الشَّمْسُ مِنْ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ
وَلَا ظِلَّ لِأَحَدٍ إِلَّا ظِلَّ عَرْشِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَبَيْنَمَا أَنْتَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ الْمُرْعِجَةِ اسْتَدَّ
الْكُرْبُ وَالْوَهْجُ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ ثُمَّ ازْدَحَمَتِ الْأُمَمُ وَتَدَافَعَتْ وَتَضَايَقَتْ وَاخْتَلَفَتِ
الْأَقْدَامُ وَانْقَطَعَتِ الْأَعْنَاقُ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ وَالْخَوْفِ الْعَظِيمِ .

وَإِنْصَافَ إِلَى حَرِّ الشَّمْسِ كَثْرَةَ الْأَنْفَاسِ وَازْدِحَامَ الْأَجْسَامِ وَالْعَطَشُ
تَضَاعَفَ وَلَا نَوْمَ وَلَا رَاحَةَ وَفَاضَ عَرْفُهُمْ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى اسْتَنْقَعَ ثُمَّ ارْتَفَعَ
عَلَى الْأَبْدَانِ عَلَى قَدَرِ مَرَاتِبِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ .

ثم تصور مجيء جهنم تقاد ولها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون
ألف ملك يجرونها قال تعالى ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى
لَهُ الذِّكْرَى ﴾ .

فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا لركبته يقول يا رب نفسي

نفسى فتصور ذلك الموقف المهيل المفرع الذي قد ملاً القلوب رُعباً وخوفاً
 وقلقاً ودُغراً يا له من موقف ومنظر مزعج .
 وأنت لا محالة أحدهم فتوهم نفسك لكربك وقد علاك العرق والفرع
 والرعب الشديد والناس معك منتظرون لفصل القضاء إلى دار السعادة أو إلى
 دار الشقاء ، قال تعالى ﴿ وَتُنذِرُ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي
 السَّعِيرِ ﴾ .

فتصور أصوات الخلائق وهم ينادون بأجمعهم منفرد كل واحد بنفسه
 ينادي نفسى نفسى قال الله تعالى ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾
 وقال تعالى ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمُّهُ وَأُيُوبِهِ ﴾ الآية .
 فتصور نفسك وحالتك عند ما يتبرأ منك الولد والوالد والأخ
 والصاحب لما في ذلك اليوم من المزعجات والقلقل والأهوال التي ملأت
 القلوب من الخوف والفرع والرعب والدُغْرِ .

ولولا عظم هول ذلك اليوم ما كان من الكرم والمروءة والحفاظ أن تفر
 من أمك وأبيك وأخيك وبنيك ولكن عظم الخطر وشدة الكرب والهول
 اضطرك إلى ذلك فلا تلام على فرارك منهم ولا لوم عليهم إذا فروا منك قال الله
 تعالى ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ وقال تعالى ﴿ إِنْ زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ
 شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ
 حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ .

فبينما أنت في تلك الحالة مملوء رُعباً قد بلغت القلوب الحناجر من شدة
 الأهوال والمزعجات والخوف العظيم إذ ارتفع عنق من النار يلتقط من أمر
 بأخذه فينطوي عليهم ويلقيهم في النار فتبليهم ثم تصور الميزان وعظمتته وقد
 نصب لوزن الأعمال وتصور الكتب المتطايرة في الأيمان والشمائيل وقلبك
 واجف مملوء خوفاً متوقع أين يقع كتابك في يمينك أو في شمالك أو من وراء
 ظهرك .

فَالْأَنْتِقِيَاءُ يُعْطَوْنَ كِتَابَهُمْ بِإِيمَانِهِمْ وَالْأَشْقِيَاءُ بِالشَّمَالِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ الظَّهْرِ ،
قال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَنُفِخَ فِيهِ نُفُوسٌ فَسُوفَ يَحْسَابُهَا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ
إِلَى أَهْلِهَا مُسْرُرًا ﴾ وقال ﴿ وَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَنُفُوسٌ يَدْعُوهُ
ثُبُورًا وَيَصِلُ سَعِيرًا ﴾ .

وقال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ مِثْرًا أَمْ يَقُولُ
الْآيَاتِ وَقَالَ ﴿ وَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ وَلَمْ
أَدْرُ مَا حِسَابِي ﴾ الْآيَاتِ .

فِيهَا مِنْ مَوَاقِفٍ وَيَا لَهَا مِنْ أَهْوَالٍ وَيَا لَهَا مِنْ خُطُوبٍ مُجَرَّدٌ تَصَوَّرَهَا
يُنَبِّئُ الْمُؤْمِنَ بِهَا حَقًّا .

عن الحسن « أن رسول الله ﷺ كان رأسه في حجر عائشة فَنَعَسَ
فَتَذَكَّرَتْ الْآخِرَةَ فَبَكَتْ فَسَالَتْ دُمُوعُهَا عَلَى خَدِّ النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَيْقِظَ بِدُمُوعِهَا
فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ مَا يُبْكِيكَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتُ الْآخِرَةَ هَلْ تَذْكُرُونَ
أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

قال : والذي نفسي بيده في ثلاثة مَوَاطِنَ فَإِنَّ أَحَدًا لَا يَذْكُرُ إِلَّا نَفْسَهُ :
إِذَا وَضَعْتَ الْمَوَازِينَ وَوُزِنَتِ الْأَعْمَالُ حَتَّى يَنْظُرَ ابْنُ آدَمَ أَيَخْفُ مِيزَانُهُ أَمْ يَثْقُلُ
وَعِنْدَ الصِّحْفِ حَتَّى يَنْظُرَ أَيَمِينِهِ يَأْخُذُ أَمْ بِشِمَالِهِ وَعِنْدَ الصِّرَاطِ .

وعن أنس بن مالك قال : يُؤْتَى بَابَنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُوقَفَ بَيْنَ
كَفْتَيْ الْمِيزَانِ وَيُوكَلُ بِهِ مَلَكٌ فَإِنْ ثَقُلَ مِيزَانُهُ نَادَى الْمَلَكُ بِصَوْتٍ يُسْمَعُ الْخَلَائِقُ
سَعِدَ فُلَانٌ بِنُ فُلَانٍ سَعَادَةٌ لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا .

وَإِنْ خَفَّ مِيزَانُهُ نَادَى بِصَوْتٍ يُسْمَعُ الْخَلَائِقُ شَقِيَ فُلَانٌ بِنُ فُلَانٍ
شَقَاوَةٌ لَا يَسْعُدُ بَعْدَهَا أَبَدًا .

وَتَصَوَّرَ بَيْنَمَا أَنْتَ وَاقِفٌ مَعَ الْخَلَائِقِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَلَّ
وَعَلَا وَتَقَدَّسَ إِذْ نُودِيَ بِاسْمِكَ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ مِنَ الْأُولِينَ وَالْآخِرِينَ أَيْنَ

فلان بن فلان هلم إلى العرض على الله عز وجل .

فَقَمْتَ أَنْتَ لَا يَقُومُ غَيْرَكَ لِمَا لَزِمَ قَلْبِكَ مِنَ الْعِلْمِ مِنْ أَنْكَ الْمَطْلُوبِ
فَقَمْتَ تَرْتَعِدُ فَرَائِصَكَ وَتَضْطَرُّ رِجْلَكَ وَجَمِيعُ جَوَارِحِكَ وَقَلْبِكَ مِنْ شِدَّةِ
الْخَوْفِ وَالذَّهْوِلِ فِي أَشَدِّ الْخَفْقَانِ مَرْتَعِماً إِلَى الْخَنْجَرَةِ .

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى
الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ ﴾ .

فَتَصَوَّرْ خَوْفَكَ وَذَلِكَ وَضَعْفَكَ وَانْهِيَارَ أَعْصَابِكَ وَقَوَاكَ مُتَغَيِّراً لَوْنُكَ
مَرْغُوباً مَدْعُوراً مُرْتَكِضاً مُزْعِجاً قَدْ حَلَّ بِكَ الْعَمُّ وَالْهَمُّ وَالْاضْطِرَابُ وَالْقَلْقُ
وَالذَّهْوِلُ لِمَا أَصَابَكَ وَرَأَيْتَ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرُوبِ وَالْمُخْزِنَاتِ مَا اللَّهُ بِهِ
عَلِيمٌ .

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى
وَلَكِنْ عَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ فَيَا لَهُ مِنْ يَوْمِ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ فَكَيْفَ
تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ وَالآيَةَ بَعْدَهَا .

وَتَصَوَّرْ وَقُوفَكَ بَيْنَ يَدَيْ بَدِيعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي الْأَرْضُ جَمِيعاً
قَبِضْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ الْقَوِي الْعَزِيزُ وَقَلْبُكَ خَائِفٌ
مَمْلُوءٌ مِنَ الرَّغْبِ مَخْزُونٌ وَجَلَّ وَطَرَفَكَ خَائِفٌ خَفِي خَاشِعٌ ذَلِيلٌ .
وَجَوَارِحُكَ مَرْتَعِدَةٌ بِيَدِكَ صَحِيفَةٌ مُخْصِصاً فِيهَا الدَّقِيقُ وَالْجَلِيلُ لَا تُغَادِرُ
صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً فَقْرَأْتَهَا بِلِسَانٍ كَلِيلٍ وَقَلْبٌ مُنْكَسِرٌ وَدَاخِلُكَ مِنَ الْخَنْجَلِ
وَالجُبْنِ وَالْحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ إِلَيْكَ مُحْسِنًا وَعَلَيْكَ سَاتِرًا .

فَبَأْيَ لِسَانٍ تُجِيبُهُ حِينَ يَسْأَلُكَ عَنْ قَبِيحِ فِعْلِكَ وَعَظِيمِ جُرْمِكَ وَبَأْيَ
قَدَمٍ تَقِفُ غَدًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَبَأْيَ طَرْفٍ تَنْظُرُ إِلَيْهِ وَبَأْيَ قَلْبٍ تَحْتَمِلُ كَلَامَهُ الْعَظِيمِ
الْجَلِيلِ وَمُسَاءَلَتُهُ وَتَوْبِيخُهُ .

وَتَصَوَّرْ نَفْسَكَ بِصَغْرِ جِسْمِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ

كخردلة في كفه الكبير المتعالي شديداً المحال الذي ما من دابة إلا هو آخذ
بناصيتها وقلوب العباد بين أصبعين من أصابعه لا إله إلا هو القوي العزيز .
وتصور نفسك بهذه الهيئة والأحوال مُحَدِّقَةً بِكَ مِنْ جَوَانِبِكَ وَمِنْ
خَلْفِكَ فَكَمْ مِنْ كَبِيرَةٍ قَدْ نَسِيَتْهَا أَثْبَتَهَا عَلَيْكَ الْمَلِكُ وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ أَحَدَتْهَا
فَذَكَرَتْهَا وَكَمْ مِنْ سَرِيرَةٍ قَدْ كُنْتَ كَتَمْتَهَا قَدْ ظَهَرَتْ وَبَدَتْ .

وَكَمْ مِنْ عَمَلٍ قَدْ كُنْتَ تَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ خَلَصَ لَكَ وَسَلِمَ فَإِذَا هُوَ بِالرِّيَاءِ قَدْ
حَبِطَ بَعْدَ مَا كَانَ أَمَلَكَ فِيهِ عَظِيمًا فَيَا حَسْرَةَ قَلْبِكَ وَتَأْسُفَكَ عَلَى مَا فَرَطْتَ فِي
طَاعَةِ رَبِّكَ قَالَ تَعَالَى ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ
وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّاجِرِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ
وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

حتى إذا كُرِّرَ عَلَيْكَ السُّؤَالُ بِذِكْرِ الْبَلَايَا وَنُشِرَتْ مَخْبَأَتُكَ الَّتِي طَلَمَا
أَخْفَيْتَهَا وَسَتَرْتَهَا عَنْ مَخْلُوقٍ مِثْلِكَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ وَلَا لَعَيْرِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا
وَقَدْ ظَهَرَتْ قَلَّةُ هَيِّبَتِكَ لِلَّهِ وَقَلَّةُ حَيَاتِكَ مِنْهُ وَظَهَرَتْ مُبَارَزَتُكَ لَهُ بِفِعْلِ مَا نَهَاكَ
عَنْهُ .

فَمَا ضُنُّكَ بِسُّؤَالٍ مَنْ قَدْ امْتَلَأَ سَمْعُكَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ وَكِبْرِيَائِهِ
وَسَائِرِ صِفَاتِهِ كَمَا هُوَ وَكَيْفَ بِكَ إِنْ ذَكَرَكَ مُحَالَفَتَكَ لَهُ وَرُكُوبَكَ مَعَاصِيَهُ وَقَلَّةَ
اهْتِمَامِكَ بِنَهْيِهِ وَنَظَرَهُ إِلَيْكَ وَقَلَّةَ اكْتِرَائِكَ فِي الدُّنْيَا بِطَاعَتِهِ .

وَمَاذَا تَقُولُ إِنْ قَالَ لَكَ يَا عَبْدِي مَا أَجَلَّتْنِي أَمَا اسْتَحْيَيْتَ مِنِّي أَمَا رَاقَبْتَنِي
اسْتَحْفَفْتَ بِنَظَرِي إِلَيْكَ أَلَمْ أَحْسِنْ إِلَيْكَ أَلَمْ أَنْعِمْ عَلَيْكَ مَا غَرَّكَ مِنِّي .
سَبَابُكَ فِيمَا أَبْلَيْتَهُ وَعُمُرُكَ فِيمَا أَفْنَيْتَهُ وَمَالُكَ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبْتَهُ وَفِيمَ
أَنْفَقْتَهُ وَعِلْمُكَ مَاذَا عَمِلْتَ فِيهِ .

وورد عن النبي ﷺ أنه قال : « لِيَقْفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ وَلَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجَمَانٌ يَتَرَجَمُ عَنْهُ فَيَقُولُ أَلَمْ

أُنِعِمَ أَلَمْ آتِكَ مَا لَا يَقُولُ بَلِي .

فيقول أَلَمْ أُرْسَلْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيَقُولُ بَلِي ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ فَلْيَتَّقِ أَحَدَكُمْ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنَّ لَمْ يَجِدْ فِيكَلِمَةَ طَيِّبَةً « رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

فَأَعْظِمَ بِهِ مَوْقِفًا وَأَعْظِمَ بِهِ مِنْ سَائِلٍ لَا تُخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ وَأَعْظِمَ بِمَا يَدْخُلُكَ مِنَ الْحَجَلِ وَالنِّعَمِ وَالْحُزَنِ وَالْأَسْفِ الشَّدِيدِ .

عَلَى مَا فَرَطْتَ فِي طَاعَتِهِ وَعَلَى رُكُوبِكَ مَعْصِيَتِهِ وَعَلَى أَوْقَاتِ ضَاعَتْ عِنْدَ الْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرَاتِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ حَالِ الْمُجْرِمِينَ الْمُفْرَطِينَ ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فِرَعْوَا فُلًا فُوتَ وَأَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُوشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ الْآيَةَ .

وَكَيْفَ تَثْبُتُ رِجْلَاكَ عِنْدَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَكَيْفَ يَقْدِرُ عَلَى الْكَلَامِ لِسَانُكَ عِنْدَمَا يَسْأَلُكَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ إِلَّا أَنْ يَثْبُتَكَ جَلُّ وَعَلَا وَيَقْدِرَكَ عَلَى ذَلِكَ فَإِذَا تَبَالَعَ فِيكَ الْجُهْدُ مِنَ الْغَمِّ وَالْحُزَنِ وَالْحَيَاءِ وَالخَجَلِ بَدَأَ لَكَ مِنْهُ أَحَدُ أَمْرَيْنِ إِمَّا الْغَضَبَ أَوْ الرِّضَا عَنْكَ .

فَإِذَا أَنْ يَقُولُ يَا عَبْدِي أَنَا سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا اغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ كَبِيرَ جُرْمِكَ وَكَثِيرَ سَيِّئَاتِكَ وَتَقَبَّلْتُ مِنْكَ يَسِيرَ إِحْسَانِكَ فَيَسْتَطِيرُ قَلْبُكَ بِالْبَهْجَةِ وَالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ فَيُشْرِقُ وَيَسْتَنْبِرُ لِذَلِكَ وَجْهَكَ .

فَتَصَوَّرَ نَفْسَكَ حِينَ مَا يَقَالُ لَكَ وَتَهْدَأُ نَفْسُكَ وَيَطْمَئِنُّ قَلْبُكَ وَيُنَوَّرُ وَجْهَكَ بَعْدَ كَأْتِيهِ وَتَكْسِفُهُ مِنَ الْحَيَاءِ مِنَ السُّؤَالِ .

وَتَصَوَّرَ رِضَاهُ عَنْكَ حِينَ مَا تَسْمَعُهُ مِنْهُ فَتَارُ فِي قَلْبِكَ فَامْتَلَأُ سُرُورًا وَكَيْدَتْ أَنْ تَمُوتَ مِنَ الْفَرَحِ فَأَيُّ سُرُورٍ أَعْظَمُ مِنَ السُّرُورِ وَالْفَرَحِ بِرِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَتَصَوَّرُ نَفْسَكَ وَقَدْ بَدَأَ لَكَ مِنَ الرِّضَا وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ فَتَكَادُ رُوحَكَ
أَنْ تَطِيرَ مِنْ بَدَنِكَ فَرِحاً فَكَيْفَ لَوْ سَمِعْتَ مِنَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ الرِّضَا عَنْكَ
وَالْمَغْفِرَةَ لَكَ فَمِنْ خَوْفِكَ وَسَكَنَ حَذْرِكَ وَتَحَقَّقَ أَمْلَكَ وَرَجَاؤُكَ بِخُلُودِ الْأَيْدِ
وَأَيَقُنْتَ بِفُوزِكَ وَنَعِيمِكَ أَبَدًا لَا يَفْنَى وَلَا يُبِيدُ وَطَارَ قَلْبُكَ فَرِحاً وَابْتِضُّ
وَجْهَكَ وَأَشْرَقَ وَأَنَارَ .

ثُمَّ خَرَجْتَ إِلَى الْخَلَائِقِ مُسْتَبِيرَ الْوَجْهِ قَدْ حَلَّ بِكَ أَكْمَلُ الْجَمَالِ
وَالْحُسْنِ كِتَابُكَ يَمِينِكَ وَقَدْ شَخَّصْتَ أَبْصَارَ الْخَلَائِقِ إِلَيْكَ غِبْطَةً لَكَ وَتَأْسُفًا
عَلَى أَنْ يَنَالُوا مِنَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ مِثْلَ مَا نِلْتَ .

وَتَصَوَّرُ نَفْسَكَ إِنْ لَمْ يَعْفُ عَنْكَ رَبُّكَ وَأَيَقُنْتَ بِالْهَلَاكِ وَذَهَبَ بِكَ إِلَى
جَهَنَّمَ مُسَوِّدَ الْوَجْهِ تَتَخَطَّى الْخَلَائِقُ بِسَوَادِ وَجْهِكَ وَكِتَابُكَ فِي شِمَالِكَ أَوْ مِنْ
وَرَاءِ ظَهْرِكَ تُنَادِي بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ وَالْمَلِكِ آخِذٌ بَعْضُكَ ينادي هَذَا فُلَانٌ بُنْ
فُلَانٌ قَدْ شَقِيَّ شَقَاءً لَا يَسْعُدُ بَعْدَهُ أَبَدًا .

وَتَصَوَّرُ الصِّرَاطَ وَهُوَ الْجِسْرُ الْمَنْصُوبُ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ قُدَّامَكَ وَتَصَوَّرُ
مَا يَجُلُّ بِكَ مِنَ الْوَجَلِ وَالْخَوْفِ الشَّدِيدِ حِينَ رَفَعْتَ طَرْفَكَ فَانْظُرْتَ إِلَيْهِ بِدَقَّتِهِ
وَحُوضِيهِ وَجَهَنَّمَ تَضْطَرِبُ وَتَتَغَيَّضُ وَتَحْفِقُ بِأُمُوجِهَا مِنْ تَحْتِهِ .

فَيَأْتِيهِ مِنْ مَنَظَرٍ مَا أَفْظَعُهُ وَأَهْوَلُهُ وَسَمَاعُكَ شَهِيْقَهَا وَتَغْيِضُهَا وَقِصْفَ
أُمُوجِهَا وَجَلْبَةَ ثَوْرَانِهَا مِنْ أَسْفَلِهَا وَقَدْ اضْطَرَّرْتَ عَلَى الْمَشْيِ عَلَيْهِ وَقَدْ مَرَّتْ
عَلَيْكَ صِفَتُهُ .

ثُمَّ قِيلَ لَكَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَى الْجِسْرِ بِفَضَائِلِهِ وَفَضَاعَتِهِ وَقِيلَ لِلْخَلْقِ مَعَكَ
ارْكَبُوا الْجِسْرَ الَّذِي هُوَ الصِّرَاطُ فَتَصَوَّرُ حَالَتَكَ وَخَفَقَانَ قَلْبِكَ وَرَجَفَانَ
جِسْمِكَ مِمَّا عَايَنْتَ مِنَ الْمَزْعَجَاتِ وَالْكُرُوبِ وَالشَّدَائِدِ وَالْأَهْوَالِ وَعِظَائِمِ
الْأُمُورِ وَقِلَّةِ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَالرَّاحَةِ .

وَلَمَّا قِيلَ ارْكَبْ طَارَ عَقْلُكَ رُغْبًا وَخَوْفًا ثُمَّ إِذَا رَفَعْتَ رِجْلَكَ وَأَنْتَ

تَنْتَفِضُ لِتَرْكَبِ الْجَسْرِ فَوَقَعَ قَدَمُكَ عَلَى حِدْتِهِ وَدِقَّتِهِ فَازْدَادَ فَرْعُكَ وَازْدَادَ
رَجْفَانُ قَلْبِكَ وَرَفَعَتْ رِجْلَكَ الْأُخْرَى وَأَنْتَ مَضْطَرِبٌ تَمْرُوجٌ مِنْ شِدَّةِ
الْخَوْفِ الْعَظِيمِ وَقَدْ انْقَلَبَتْ الْأَوْزَارُ وَأَنْتَ حَامِلُهَا عَلَى ظَهْرِكَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَى
النَّاسِ يَتَهَافَتُونَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمِنْ وَرَائِكَ .

فَتَصَوَّرَ مُرُورَكَ عَلَيْهِ بَضْعَفِكَ وَثِقَلِكَ وَأَوْزَارِكَ وَقِلَّةَ حِيلَتِكَ وَأَنْتَ
مُنْدَهَشٌ مِمَّا تَحْتَكُ وَأَمَامَكَ مِمَّنْ يَنْوِنُونَ وَيَزْلُونَ وَقَدْ تَنَكَّسَتْ هَامَاتُهُمْ
وَأَرْتَفَعَتْ أَرْجُلُهُمْ وَآخَرُونَ يُخْتَطِفُونَ بِالْكَلايِبِ وَتَسْمَعُ الْعَوِيلَ وَالْبِكَاءَ
وَالْأَصْوَاتَ الْمَرْعِجَاتِ الْمُنَادِيَاتِ بِالْوَيْلِ وَالشُّورِ .

فِيَالهِ مِنْ مَنَظَرٍ فَطِيعٍ وَمُرْتَمَى مَا أَصْعَبَهُ وَمَجَازٍ مَا أَضِيقَهُ وَمَكَانٍ مَا
أَهْوَلَهُ وَمَوْقِفٍ مَا أَشَقَّهُ وَكَأَنِّي بِكَ مَمْلُوءٌ مِنَ الذُّعْرِ وَالرَّعْبِ وَالْقَلْقِ مُلْتَفِتًا يَمِينًا
وَشِمَالًا إِلَى مَنْ حَوْلِكَ مِنَ الْخَلْقِ وَهُمْ يَتَهَافَتُونَ قُدَّامَكَ فِي جَهَنَّمَ وَأَنْتَ تَخْشَى
أَنْ تَتَّبِعَهُمْ إِلَى قَعْرِ جَهَنَّمَ .

فَتَصَوَّرَ هَذَا بِعَقْلِكَ مَا دُمْتَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ قَبْلَ أَنْ يُحَالَ يَبَيْتِكَ وَيَبِينَهُ فَلَا
يَفِيدُكَ التَّفَكِيرُ لَعَلَّكَ أَنْ تَتَلَفَى تَفْرِيطَكَ وَتُحَاسِبَ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ يَفُوتَ الْأَوَانَ
فَتَبُوءَ بِالْفَشْلِ وَالْحَيْبَةِ وَالْحِرْمَانِ .

وَتَصَوَّرَ حَالَتَكَ إِنْ بُوتَ بِالْخُسْرَانِ وَزَلَّتْ رِجْلُكَ عَنِ الصِّرَاطِ وَوَقَعْتَ
فِيمَا كُنْتَ تُحَاذِرُ وَتَخَافُ وَطَارَ عَقْلُكَ ثُمَّ زَلَّتْ رِجْلُكَ الْأُخْرَى فَانْكَسَتْ عَلَى
هَامَتِكَ وَعَلَتْ رِجْلَاكَ فَلَمْ تَشْعُرْ إِلَّا وَالْكَلْبُوبُ قَدْ دَخَلَ فِي جِلْدِكَ وَلِحْمِكَ .
فَجُذِبْتَ بِهِ وَبَادَرَتْ إِلَيْكَ النَّارُ نَائِرَةً غَضْبَانَةً لِعِضَابِ مَوْلَاهَا وَقَدْ غَلَبَ
عَلَى قَلْبِكَ النَّدَمُ وَالتَّاسُفُ عَلَى أَوْقَاتِ ضَيِّعَتِهَا فِيمَا يُسْخِطُ اللَّهَ .

وَتَصَوَّرَ سَمَاعَكَ لِنِدَاءِ النَّارِ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ هَلْ امْتَلَأْتَ ﴾ وَسَمِعْتَ
إِجَابَتَهَا لَهُ ﴿ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ وَهِيَ تَلْتَهَبُ فِي بَدَنِكَ لَهَا قَصِيفٌ فِي جَسَدِكَ ثُمَّ لَمْ
تَلْبَثْ أَنْ تَفِطَّرَ جِسْمُكَ وَتَسَاقَطَ لِحْمُكَ وَبَقِيَتْ عِظَامُكَ .

ثُمَّ اطَّلَعَتِ النَّارُ عَلَى مَا فِي جَوْفِكَ فَأَكَلَتْ مَا فِيهِ وَأَنْتَ تُنَادِي وَتَسْتَعِينُ
فَلَا تُرْحَمُ حَتَّى إِذَا طَالَ فِيهَا مُكْثُكَ وَاسْتَدَّ بِكَ الْعَطَشُ .

فَذَكَرْتَ الشَّرَابَ فِي الدُّنْيَا فَرِغْتَ إِلَى الْحَمِيمِ فَتَنَاولْتَ الْآنَاءَ مِنْ يَدِ
الْحَازِنِ الْمُوَكَّلِ بَعْدَابِكَ فَلَمَّا تَنَاوَلْتَهُ تَمَزَّعَتْ كُفُوكَ مِنْ تَحْتِهِ وَاحْتَرَقَتْ مِنْ حَرَارَتِهِ
ثُمَّ قَرَبْتَهُ إِلَى فَمِكَ وَالْأَلْمُ بِالْبَلْعِ مِنْكَ كُلُّ مَبْلَغٍ فَشَوَى وَجْهَكَ وَتَسَاقَطَ لَحْمُهُ .
ثُمَّ نَجَّرَعْتُهُ فَسَلَخَ حَلَقَكَ ثُمَّ وَصَلَ إِلَى جَوْفِكَ فَقَطَعَ أَمْعَاءَكَ قَالَ اللَّهُ جَل
وَعَلَا ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿
وَيَسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا
هُوَ بِمَيِّتٍ وَمَنْ وَرِثَهُ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿ .

ثُمَّ ذَكَرْتَ شَرَابَ الدُّنْيَا وَبَرْدَهُ وَلَذَّةَ فَبَادَرْتَ إِلَى الْحَمِيمِ لِتُبْرِدَ بِهِ كَبَدَكَ
كَمَا تَعَوَّدْتَ فِي الدُّنْيَا فَسُقِيَتْ فَقَطَعَ أَمْعَاءَكَ وَالْحَمِيمِ شَرَابِ كَالنَّحَاسِ الْمَذَابِ
يُقَطِّعُ الْأَحْشَاءَ وَالْأَمْعَاءَ ثُمَّ بَادَرْتَ إِلَى النَّارِ رَجَاءً أَنْ تَكُونَ أَهْوَنَ مِنْهُ ثُمَّ اسْتَدَّ
عَلَيْكَ حَرِيْقُ النَّارِ فَرَجَعْتَ إِلَى الْحَمِيمِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ
حَمِيمٍ آتِينَ ﴾ وَقَالَ فِي آيَةِ الْأُخْرَى ﴿ إِذْ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ
يَسْجُبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يَسْجُرُونَ ﴾ .

فَقَدَّرَ نَفْسَكَ مَعَ الضَّائِعِينَ وَالْخَاسِرِينَ لَعَلَّكَ أَنْ تَلْحَقَ بِالْأَبْرَارِ وَالْمُقَرَّبِينَ
وَتَصَوَّرَ حَالَتَكَ لَمَّا اسْتَدَّ بِكَ الْكَرْبُ وَالْعَطَشُ وَبَلَغَ مِنْكَ كُلُّ مَبْلَغٍ وَذَكَرْتَ
الْجَنَانَ وَمَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ الْمَقِيمِ وَالْعَيْشِ السَّلِيمِ .

وَهَاجَتْ الْأَحْزَانُ وَهَاجَتْ غُصَّةٌ فِي فُؤَادِكَ إِلَى حَلَقِكَ أَسْفَا عَلَى مَا فَاتَ
مِنْ رِضَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحُزْنًا عَلَى نَعِيمِ الْجَنَّةِ .

ثُمَّ ذَكَرْتَ شَرَابَهَا وَبَرْدَ مَائِهَا وَذَكَرْتَ أَنَّ فِيهَا بَعْضَ الْقَرَابَةِ مِنْ أَبِي أَوْ أُمِّ
أَوْ ابْنِ أَوْ أُخٍ أَوْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْقَرَابَةِ أَوْ الْأَصْدِقَاءِ فِي الدُّنْيَا فَنَادَيْتَهُمْ بِقَلْبٍ مَحْزُونٍ

مُحْتَرِقٍ تَطْلُبُ مِنْهُمْ مَاءً أَوْ نَحْوَهُ فَأَجَابُوكَ بِالرَّدِّ وَالْحَيِيَّةِ فَتَقَطَعَ قَلْبُكَ حَسْرَةً
وَأَسْفًا .

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿﴾ وناذى أصحاب النار أصحاب الجنة أن
أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين ﴿﴾ فإيا
حَيِيَّةً مَن هَذَا حَالَهُ وَهَذَا مَالَهُ .

لقد تَقَطَّعَ قَلْبُكَ حُزْنًا إِذْ حَيَّبُوا أَمْلَكَ فِيهِمْ وَبِمَا رَأَيْتَ مِنْ غَضَبِهِمْ عَلَيْكَ
لِعُضْبِ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ فَفَزَعَتْ إِلَى اللَّهِ بِالنَّدَاءِ بِطَلْبِ الْخُرُوجِ مِنْهَا فَبَعْدَ مُدَّةٍ اللَّهُ
أَعْلَمَ بِهَا جَاءَ الْجَوَابَ ﴿﴾ إِحْسُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُوا .

فلما سَمِعَتْ النِّدَاءَ بِالتَّحْسِينَةِ لَكَ وَالأَمْثَالَكَ بَقِيَ نَفْسُكَ مِنْ شِدَّةِ الضِّيْقِ
وَالْأَلَمِ وَالْحَسْرَةِ مُتَرَدِّدًا فِي جَوْفِكَ لَا مَخْرَجَ لَهُ فَضَاقَتْ نَفْسُكَ ضَيْقًا شَدِيدًا لَا
يَعْلَمُ مَدَاهُ إِلَّا اللَّهُ .

وَبَقِيَتْ قَلِقًا تَزْفُرُ وَلَا تُطِيقُ الْكَلَامَ ثُمَّ أَتَاكَ زِيَادَةُ حَسْرَةٍ وَنَدَامَةٍ حَيْثُ
أُطِيقَ أَبْوَابُ النَّارِ عَلَيْكَ وَعَلَى أَعْدَائِهِ فِيهَا فَانْقَطَعَ الأَمَلُ كَلِيًّا .

فِيَا إِيَّاسَكَ وَيَا إِيَّاسَ سُكَّانِ جَهَنَّمَ حِينَ سَمِعُوا وَقَعَ أَبْوَابُهَا تَطْبِقُ عَلَيْهِمْ
قال الله جل وعلا وتقدس ﴿﴾ إِنهَا عَلَيْهِمْ مُؤَصَّدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ .

فَعَلِمُوا عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّ لَافْرَجَ أَبَدًا وَلَا مَخْرَجَ وَلَا مَحِيصَ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ
اللَّهِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ وَعَذَابٌ لَا زَوَالَ لَهُ عَنْ أَبْدَانِهِمْ وَدَوَامٌ حَرَقَ قُلُوبَهُمْ .

أَحْزَانٌ لَا تَنْقُضِي وَهُمُومٌ وَغَمُومٌ لَا تَنْفُذُ وَسُقْمٌ لَا يَبْرَأُ وَقِيُودٌ لَا تُحَلُّ
وَأَغْلَالٌ لَا تُفْلَكُ قال تعالى ﴿﴾ إِذْ الأَغْلَالُ فِي أَعْتَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي
الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿﴾ .

وقال تعالى ﴿﴾ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَطَعْنَا لَهُمْ نِيَابًا مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ
رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصَهَّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ كَلِمًا
أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿﴾ .

لا يُرْحَمُ بُكَاءُهُمْ ولا يَجاب دَعَاؤُهُمْ ولا يَغاثون عند تَضَرعِهِمْ ولا تَقبل تَوْبَتَهُمْ ولا تُقال عَثْرَتُهُمْ غَضِبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ فلا يَرْضَى عَنْهُمْ أبداً فَمَثَلُ نَفْسِكَ بِهَذَا الوَصْفِ إنْ لم يَعْفُ عَنْكَ رَبُّكَ لَعَلَّكَ أن تَسْتَيْقِضَ فَتَسْتَدْرِكَ .

فلو رَأَيْتَ المُعَذِّبِينَ وقد أَكَلَتِ النَّارُ لُحُومَهُمْ وَمَحَتْ مَحاسِينَ وَجُوهِهِمْ واندَرَسَ نَحْطِطُهُمْ فَبَقِيَتِ العِظَامُ مُحترَقَةً مُسودَّةً وَقَدْ قَلِقُوا مِن شِدَّةِ تَكَرُّرِ العَذَابِ الأَلِيمِ قال تعالى ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ ﴾ .

وَهُمْ يُنادُونَ بالويل والثبور ويصرخون بالبكاء والوعويل قال اللهُ جلَّ وعلا وتَقَدَّسَ ﴿ وَهُمْ يَصْطَرخُونَ فيها رَبِّنا أخرجنا نَعْمَلُ صالحاً غيرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ وقال ﴿ وَإِذا ألقوا منها مَكاناً ضيقاً مَقْرنينَ دَعُوا هَناكَ ثُبورا لا تَدَعُوا اليَوْمَ ثُبورا واحداً وادْعُوا ثُبورا كثيراً ﴾ .

فلو رَأَيْتَهُمْ لَدَابَ قَلْبِكَ فَرَعاً ورُعباً مِن سُوءِ خَلْقِهِمْ ولَخَرَجَتْ رُوحُكَ مِن نَتْنِ رَائِحَتِهِمْ فكيف لو نَظَرْتَ نَفْسَكَ وَأنتَ فيهِمْ وَقَدْ زالَ مِن قَلْبِكَ الأملُ والرَّجاءُ ولزَمَكَ القنوطُ والإيأسُ فَمَثَلُ نَفْسِكَ لَعَلَّكَ أن تَتَأَثَّرَ فَتَسْتَعِدَّ لِلقاءِ اللهُ .

وَنَظَرْتَ إلى النارِ وهي تَشْتَعِلُ في أَجْزاءِ بَدَنِكَ فتَدْخُلُ أذُنَيْكَ وَعَيْنَيْكَ ولا تَقدرُ على إِبعادِها عَنْكَ لِمِلازِمَتِها لَكَ قال اللهُ تعالى ﴿ إنَّ عَذابَها كانَ غراماً إِنها ساءتْ مَسْتَقراً ومقاماً ﴾ فهناكَ يَغْلِبُ على قَلْبِكَ التَّأسُّفُ والحسراتُ والندامةُ قال اللهُ جلَّ وعلا وتَقَدَّسَ ﴿ وَأَندِرُهُم يَوْمَ الحِسرَةِ ﴾ الآية .

فَتَصَوَّرْ تِلْكَ الأهوالَ والعِظائمَ بعقلِ فارغٍ وعزيمةٍ صادقةٍ وراجعِ نَفْسَكَ ما دُمْتَ في قَيْدِ الحِياةِ وتُتَبَّ إلى اللهُ تَوْبَةً نَصُوحاً عن ما يَكْرَهُهُ مَوْلَاكَ وتَضَرَّعْ إليه وابكُ مِن حَشِيئَتِهِ لَعَلَّهُ يَرْحَمَكَ وَيُقْبِلُ عَثْرَتَكَ فإنَّ الخَطَرَ عَظِيمٌ والبَدَنُ ضَعيفٌ والموتُ مِنْكَ قَرِيبٌ ، انتهى بِتَصَرُّفٍ مِن كَلامِ المحاسبي رَحِمَهُ اللهُ .

مَثَلٌ وَقُوفَكَ يَوْمَ الْحَشْرِ عَرِيَانَا
النَّارُ تَزْفَرُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَاقِ
إِقْرَأْ كِتَابَكَ يَا عَبْدِي عَلَى مَهَلٍ
لَمَّا قَرَأْتُ كِتَابًا لَا يُعَادِرُ لِي
قَالَ الْجَلِيلُ خُذُوهُ يَامَلَايِكْتِي
يَارَبِّ لَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْحِسَابِ وَلَا
مُسْتَعْطِفًا قَلَقَ الْأَحْشَاءِ حَيْرَانَا
عَلَى الْعَصَاةِ وَتَلَقَى الرَّبَّ غَضَبَانَا
وَانظُرْ إِلَيْهِ تَرَى هَلْ كَانَ مَا كَانَا
حَرْفًا وَمَا كَانَ فِي سِرِّ وَإِعْلَانَا
مُرُوا بَعِيدِي إِلَى النَّيِّرَانِ عَطْشَانَا
تَجْعَلْ لِنَارِكَ فِينَا الْيَوْمَ سُلْطَانَا

اللهم ارزقنا أنفساً تقنع بَعْطَائِكَ ، وترضى بقضائك ، وتصبر على
بلائك ، وتؤقن بِلِقَائِكَ وتشكر لنعمائك وتحب أوليائك وتبغض أعداءك واغفر
لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد
وآله وصحبه أجمعين .

(فصل)

في ذكر بعض الفوائد والمواعظ

سنة خصال يرفع الله بها العبد : العلم النافع ، والأدب المستفاد من
الكتاب والسنة ، والأمانة ، والعفة والصدق ، والوفاء .

من علامة المعرفة بالله القيام بحقوق الله والتخلص من حقوق العباد ومن

علامات محبة العبد لله إتباع محمد ﷺ .

سُئِلَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ مَا بَالُ الْإِنْسَانِ يَحْتَمِلُ مِنْ مُعَلِّمِهِ مَا لَا يَحْتَمِلُ مِنْ
أَبُوهِ فَقَالَ لِأَنَّ أَبُوهُ سَبَبُ حَيَاتِهِ الْفَانِيَةِ وَمُعَلِّمُهُ سَبَبُ حَيَاتِهِ الْبَاقِيَةِ .

إِحْتِيَاجُ الْأَخْيَارِ لِلْأَشْرَارِ فِتْنَةٌ لِلطَّائِفَتَيْنِ .

وإحتياج الأشرار للأخيار صلاح للطائفتين .

بِصِحَّةِ الْإِيمَانِ ، وَكَمَالِ التَّقْوَى ، يَفْتَحُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ خَيْرَ الدُّنْيَا

والآخرة قال الله عز وجل ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ .

عِمَارَةُ الْقَلْبِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ فِي الْعِلْمِ ، وَالتَّقْوَى ، وَطَاعَةِ اللَّهِ ، وَذِكْرِ اللَّهِ .

وَخَرَابُ الْقَلْبِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ مِنَ الْجَهْلِ ، وَالمَعْصِيَةِ ، وَالاغْتِرَارِ ، وَالعَفَلَةِ .

الخشوعُ في الصلاة علامةُ فلاحِ المُصَلِّي قال الله جل وعلا ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ .

من علاماتِ مَوْتِ الْقَلْبِ عَدَمُ الْحُزْنِ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنَ الطَّاعَاتِ وَتَرْكُ النَّدَمِ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْكَ مِنَ الزَّلَّاتِ قَالَ ﷺ « مَنْ سَرَّتهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتُهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ .

من نتائج المعصية ، قِلَّةُ التَّوْفِيقِ ، وَفَسَادُ الرَّأْيِ ، وَخَفَاءُ الْحَقِّ ، وَفَسَادُ الْقَلْبِ ، وَخَمُولُ الذِّكْرِ ، وَإِضَاعَةُ الْوَقْتِ ، وَنَفْرَةُ الْخَلْقِ ، وَالْوَحْشَةُ مَعَ الرَّبِّ ، وَمَنْعُ إِجَابَةِ الدَّعَاءِ ، وَقَسْوَةُ الْقَلْبِ ، وَمَحَقُّ بَرَكَةِ الْعَمْرِ وَلباسِ الذِّلِّ ، وَضَيْقُ الصِّدْرِ .

سئل الحسن البصري عن مسألة فأجاب عنها فقال السائل : إنَّ الفُقَهَاءَ يُخَالِفُونَكَ فَقَالَ لِلسَّائِلِ ثَكَلْتِكَ أُمَّكَ وَهَلْ رَأَيْتَ فُقِيهًا بِعَيْنِكَ : إِنَّمَا الفُقِيهُ الزَاهِدُ فِي الدُّنْيَا الرَّاعِبُ فِي الآخِرَةِ .

البصيرُ بِدِينِهِ المَدَاوِمُ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ الْوَرِعُ الْكَافُ نَفْسَهُ عَنْ أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ الْعَفِيفُ عَنْ أُمُوهِمُ النَّاصِحُ لجماعتهم المَجْتَهِدُ فِي الْعِبَادَةِ المَقِيمُ عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي لَا يَتَّبِعُ مَنْ فَوْقَهُ وَلَا يَسْخَرُ مِمَّنْ دُونَهُ وَلَا يَأْخُذُ عَلَى عِلْمِ عِلْمِهِ اللَّهُ لَهُ حُطَامًا مِنَ الدُّنْيَا قُلْتُ هَذَا يَعِزُّ وَجُودُهُ فِي زَمَانِنَا .

وَقُلْتُ هَذَا فِي زَمَنِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَى أَهْلَ زَمَانِنَا وَمَا دَهَاهُمْ مِنْ

أنواع المعاصي والشُرور والتكالب على الدنيا والزهادة في الآخرة .

وعن سفيان بن عيينة قال : جاء ابن سليمان بن عبد الملك فجلس إلى جنب طاووس فلم يلتفت إليه فقبل له جَلَسَ إليك ابنُ أمير المؤمنين فلم تَلْتَفِتْ إليه ، قال أَرَدْتُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عِبَاداً يَزْهَدُونَ فِيمَا فِي يَدَيْهِ .

وعن ميمون بن مهران قال بعث الحجاج بن يوسف إلى الحسن وقد هَمَّ بِهِ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ يَا حَجَّاجُ كَمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ آدَمَ مِنْ أَبِي قَالَ كَثِيرٌ قَالَ فَأَيْنَ هُمْ قَالَ مَاتُوا قَالَ فَتَكَسَّرَ الْحَجَّاجُ رَأْسَهُ وَخَرَجَ الْحَسَنُ .

وعن جعفر بن سليمان قال سمعتُ مالكَ بنَ دينارٍ يقول إنَّ العالمَ إذ لم يَعْمَلْ يَعْلَمُهُ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنِ الْقُلُوبِ كَمَا تَنْزِلُ الْقَطْرَةُ عَنِ الصَّفَاءِ .

وَوَاسَفَاهُ عَلَى وَقْتٍ كَانَ فِيهِ الْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ بَعْلَمَهُمْ أَعَزَّ مِنَ الْمُلُوكِ نَفُوساً وَأَوْطَأَ جَانِباً مِنَ الْفُقَرَاءِ وَأَغْيَرَ النَّاسَ عَلَى الدِّينِ وَأَزْهَدَهُمْ فِي حَطَامِ الدُّنْيَا وَأَشَدَّ أَخْذاً لِأَحْكَامِ اللَّهِ وَرَغْبَةً فِيمَا أَعَدَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

حكى عن بعض المتقدمين أنهم كانوا يَحْتَبِرُونَ الْمُتَعَلِّمَ مُدَّةً فِي أَخْلَاقِهِ فَإِنْ وَجَدُوا فِيهِ خُلُقاً رَدِيئاً مَنَعُوهُ مِنَ الْعِلْمِ وَقَالُوا إِنَّهُ يَسْتَعِينُ بِالْعِلْمِ عَلَى مُقْتَضَى الْخُلُقِ الرَّدِيِّ فَيَصِيرُ الْعِلْمُ آلَةً شَرًّا فِي حَقِّهِ .

وقد قالت الحكماء زيادة العلم في الرجل السوء كزيادة الماء في أصول الحنظل المرُّ كلما ازداد رياً ازداد مرارةً .

وفي قول الله تعالى ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُم ﴾ تَنْبِيْهُ عَلَى أَنْ حِفْظَ الْعِلْمِ عَنِ مَنْ يُفْسِدُهُ وَيَسْتَضِرُّ بِهِ أَوْلَى .

وقال بعضُ العلماء وهذا كله صحيح مُجَرَّبٌ فَيَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَنْتَبِهَ لِهَذَا وَلَا يُهْمَلَهُ بَلْ يُرَاعِيهِ وَيَمْتَثِلُهُ وَلَا عِبْرَةَ بِمَا يَتَوَهَّمُهُ فِي تَعْلِيمِهِمْ مِنْ وُجُودِ مَصَالِحَ عَلَى تَقْدِيرِ حُصُولِ تَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ لِأَنْ يَعْمَلُوا بِبَعْضِ مَا يَتَعَلَّمُونَهُ

من العلم الصحيح إن كانت لهم ولاية حكم أو غير ذلك .
فإن المفايد التي تقع بسبب ذلك لهم في خاصة أنفسهم والمفايد التي
تتعدى إلى غيرهم أكثر .

ومن القواعد المقررة (أن ذرء المفايد أولى من جلب المصالح) .
أما المفايد التي تختص بهم فهي تقوية صفاتهم الذميمة وأخلاقهم
الفايدة اللثيمة بما يطلبونه من العلم لأنهم يتوسلون به إلى مطالبهم الدنيوية على
غاية الكمال والتمام ، فهم بالحقيقة يجعلونه كالشبكة والفتح يصطادون به حطام
الدنيا .

فإذا استشعروا بذلك توجهوا بهمهم إليه وعكفوا بالجد والاجتهاد
عليه ولولا هذا الاستشعار لم يتصور منهم ذلك فإذا حصلوا على شيء من ذلك
وظهر مخايل وصوهم إلى أغراضهم الدنيوية فرحوا بذلك .
وهذا الفرح والاعتباط في غاية الذم منهم لأن ذلك متعلق بأسباب الدنيا
وهي بمنزلة السم القاتل الذي يوجب موت قلوبهم وبعدها عن التأثير بالمواعظ
والحكم كما قيل : إذا قسى القلب لم تنفعه موعظة

كالأرض إن أسبخت لم ينفع المطر
وعند ذلك تنتعش نفوسهم وتتقوى صفاتها الذميمة وتظهر آثار ذلك
على ظواهرهم من التكالب على الدنيا والركون إليها وإلى من هي عنده من
الترفين وليس لهم ما يتوسلون به إليهم سوى علمهم فيحتالون على تحصيل
إقبالهم عليهم وصرف وجوههم إليهم بالتفنن عندهم بأنواع الحيل .
ولا يسلمون في ذلك من الرياء واليفاق والتصنع والدهان والكذب
والغيبية ويجرهم ذلك إلى أنواع من المحرمات وصنوف من العصيان مع ما يحل
بهم من الذل والإهانة ونحو ذلك .

وأما الفساد الذي يتعدى منهم إلى غيرهم فهو وقوع الاغترار للجهلة

والأعمارِ والمُعَفَلين بِمُشَاهِدَةِ حَالِهِمْ فَإِنَّهُمْ يُشَاهِدُونَهُمْ قَدْ حَازُوا مِنْ رُتَبِ الدُّنْيَا مَا أَرَادُوهُ وَيَتَوَهَّمُونَ أَنَّهُمْ نَالُوا شَرَفَ الآخِرَةِ بِمَا أَفَادُوهُ وَاسْتَمَادُوهُ فَيَقْتَدِي بِهِم الْجَهْلَةُ وَالْأَعْمَارُ وَالْمُعَفَلِينَ .

فَيَقْعُوا فِيهَا وَقَعُوا فِيهِ مِنَ الْمَهَالِكِ أَوْ يُؤَدِّبُهُمْ ذَلِكَ إِلَى تَعْظِيمِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ وَمَوَالِيَتِهِمْ وَاتِّخَاذِهِمْ أَرْبَابًا يَسْمَعُونَ مِنْهُمْ وَيَطِيعُونَهُمْ فِي أَوْامِرِهِمْ وَنَوَاهِيهِمْ .
ثُمَّ يَخْرُجُ بِهِمْ اسْتِحْسَانًا حَالِهِمْ إِلَى الدَّاءِ الدَّفِينِ وَهُوَ مُسَارَقَةُ طِبَاعِهِمْ الدَّنِيئَةِ وَأَخْلَاقِهِمُ الرَّدِيئَةِ فَإِنَّ نُفُوسَ الْعَامَّةِ قَابِلَةٌ لِلذَّكَ وَمُهَيَّأَةٌ لَهُ بِمَنْزِلَةِ الصَّبِيِّ الَّذِي تَرَسَّخَ فِيهِ الْأَخْلَاقُ عَنْ قَصْدٍ وَعَنْ غَيْرِ قَصْدٍ .

قال عبد الله بن المبارك :

وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوكُ وَأَجْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا
فَبَاعُوا النُّفُوسَ وَلَمْ يَرْتَبِحُوا وَلَمْ تَغْلُ فِي الْبَيْعِ أَمَانَتُهَا
لَقَدْ رَتَعَ الْقَوْمُ فِي جَيْفَةٍ يَبِينُ لِذِي الْعَقْلِ انْتَانُهَا

(فِصْل)

مَجَامِعُ الْهَوَى خَمْسٌ وَهِيَ فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ .

وَالْأَعْيَانُ الَّتِي تَحْصُلُ مِنْهَا هَذِهِ الْخَمْسَةُ سِتَّةٌ يَجْمَعُهَا قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَتَقْدُسُ ﴿ زِينٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسْمُومَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ .

(فَائِدَةٌ)

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه من هوان الدنيا وحقارتها أن الله

أَخْرَجَ أَطْيَابَهَا مِنْ حَسَائِسِهَا فَالِدُنْيَا سَبْعَةُ أَشْيَاءَ : مَأْكُولٌ وَمَشْرُوبٌ وَمَلْبُوسٌ
وَمَشْمُومٌ وَمَنْكُوحٌ وَمَسْمُوعٌ وَمُبْصَرٌ .

أَمَّا الْمَأْكُولَاتُ فَأَشْرَفُهَا الْعَسَلُ وَهُوَ لَعَابُ ذُبَابٍ وَأَطْيَبُ الْمَشْرُوبَاتِ الْمَاءُ
وَيَسْتَوِي فِي شُرْبِهِ الْأَدْمِيُّ وَالْكَلْبُ وَالخِنْزِيرُ وَالْحِمَارُ .

وَأَفْضَلُ الْمَلْبُوسَاتِ الْحَرِيرُ وَالْإِبْرَيْسِيمُ وَهُوَ لَعَابُ دُوْدَةٍ وَأَشْرَفُ الْمَنَاجِحِ
النِّسَاءُ وَحَقِيقَتُهَا مَبَالٌ فِي مَبَالٍ وَأَشْرَفُ الْمَشْمُومَاتِ الْمِسْكُ وَهُوَ دَمٌ غَزَالٍ
وَالْمَسْمُوعُ وَالْمُبْصَرُ مُشْتَرِكٌ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ الْبَهَائِمِ .

قَدْ أَوْلَعَ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا بَارَبَعَةَ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَمَلْبُوسٍ وَمَنْكُوحٍ
وَعَايَةَ الْكُلِّ إِنْ فَكَّرْتَ فِيهِ إِلَى رَوْثٍ وَبَوْلٍ وَمَطْرُوحٍ وَمَفْضُوحٍ

فَإِنْ قِيلَ مَا السَّبَبُ فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَالتَّعَلُّقِ بِهَا وَالتَّكَالُبِ عَلَيْهَا مَعَ كَثْرَةِ
هُومِهَا وَغَمِّهَا وَأَنْكَادِهَا فَالْجَوَابُ قَلَّةُ الْمَعْرِفَةِ بِعِيوبِهَا فَلَوْ كَشَفَ الْغِطَاءَ لَهَرَبُوا
مِنْهَا فَإِنْ قِيلَ مَا سَبَبُ زَهْدِ الْأَمْرَاءِ فِي أَبْوَابِ الْعُلَمَاءِ وَرَغْبَةِ الْعُلَمَاءِ فِيهَا عِنْدَ
الْأَمْرَاءِ قِيلَ سَبَبُ زَهْدِهِمْ لِقَلَّةِ رَغْبَتِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ بِالْعِلْمِ وَأَمَّا رَغْبَةُ الْعُلَمَاءِ
فَلِمَعْرِفَتِهِمْ بِفَضِيلَةِ الْمَالِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ .

عُمَرَ الْإِنْسَانَ مَيْدَانًا لِأَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ الْمُقَرَّبَةِ لَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْمَوْجِبَةِ لَهُ
الثَّوَابَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَهَذِهِ هِيَ السَّعَادَةُ الَّتِي يَكْدُحُ الْعَبْدُ وَيَسْعَى مِنْ أَجْلِهَا
وَلَيْسَ لَهُ مِنْهَا إِلَّا مَا سَعَى كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ .

فَكُلُّ جُزْءٍ يَفُوتُ مِنَ الْعُمُرِ خَالِيًا مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَفُوتُهُ مِنَ السَّعَادَةِ
بِقَدْرِهِ وَلَا عِوَضَ لَهُ مِنْهُ وَلِهَذَا عَظُمَتْ مِرَاعَاةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ لِأَنْفُسِهِمْ
وَلَحَظَاتِهِمْ وَبَادَرُوا إِلَى اغْتِنَامِ أَوْقَاتِهِمْ وَسَاعَاتِهِمْ وَلَمْ يُضَيِّعُوا أَعْمَارَهُمْ فِي الْبَطَالَةِ
وَالتَّقْصِيرِ وَلَمْ يَقْنَعُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ لِمَوْلَاهُمْ إِلَّا بِالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ وَالتَّشْمِيرِ .

وَلَا يَذْهَبَنَّ الْعُمُرُ مِنْكَ سَهْلًا وَلَا تُغْنِنِ بِالنُّعْمَتَيْنِ بَلْ اجْهَدِ
فَمَنْ هَجَرَ اللَّذَاتِ نَالَ الْمُنَى وَمَنْ أَكَبَّ عَلَى اللَّذَاتِ عَضَّ عَلَى الْيَدِ

وقال رجل لعامر بن قيس وهو يريد الجمعة فف حتى أكلمك فقال لولا
أنبي أبادر لوقفك لك قال وما تُبادر قال أبادرُ خروج رُوحِي وجلسَ آخرُ إلى
رجلٍ ممن عرفوا قيمة الوقت يريد أن يتحدث معه فقال أنا في شغلٍ إذهب إلى
أمثالك ممن لا يعرفون قيمة الوقت فانصرف .

إذا كان رأسُ المالِ عمرك فاحترزْ عليه من الإنفاقِ في غيرِ واجبٍ
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه (بقية عمر المرء ما لها ثمن يدرك

فيها ما فات ويحبي ما أمانت) وفي هذا المعنى قال الناظم :
بِقِيَّةِ العُمُرِ عِنْدِي مَا لَهَا ثَمَنٌ وَإِنْ غَدَا لَيْسَ مَحْسُوبًا مِنَ الزَّمَنِ
يَسْتَدْرِكُ المَرءُ فِيهَا كُلَّ فَائِتَةٍ مِنَ الزَّمَانِ وَيَمْحُو السُّوءَ بِالْحَسَنِ
سَبَّ رَجُلٍ الشَّعْبِي بِقَبَائِحِ نَسَبِهَا إِلَيْهِ فَقَالَ الشَّعْبِي : إِنْ كُنْتُ كاذبًا
فَقَعَّرَ اللهُ لَكَ ، وَإِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَعَقَّرَ اللهُ لِي .

وقال رجل للأحنف بن قيس : إِنْ قُلْتُ لِي كَلِمَةً اسْمَعْتُكَ عَشْرًا فَقَالَ
الأحنف : لَكِنَّكَ لَوْ قُلْتَ لِي عَشْرًا لَمْ تَسْمَعْ مِنِّي وَاحِدَةً .

وقال رجل لأبي بكر لأُسْبِنَكَ سَبًّا يَدْخُلُ مَعَكَ فِي قَبْرِكَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ
يَدْخُلُ مَعَكَ وَلَا يَدْخُلُ مَعِي .

وقال رجل لبعض الصالحين إن فلانا يقع فيك ويذكر فيك أشياء حتى
رحمتك منها فقال : هَلْ سَمِعْتَنِي أَذْكَرُهُ بِشَيْءٍ قَالَ لَا قَالَ فَأَيُّهُ فَارْحَمْ .

وَوَقَعَ فَخْرُ المُلْكِ فِي قِصَّةِ رَجُلٍ سَعَى بِرَجُلٍ : السَّعَايَةُ قَبِيحَةٌ وَلَوْ كَانَتْ
صَحِيحَةً فَلَيْنَ كُنْتُ أَخْرَجْتُهَا بِالنُّصْحِ فَخُسْرَانُكَ فِيهَا أَكْثَرُ مِنَ الرِّيحِ وَإِنَّا لَا
نَدْخُلُ فِي مَحْظُورٍ وَلَا نَسْمَعُ قَوْلَ مَهْتُوكٍ فِي مَسْتَوْرٍ .

ولولا أنك في حفارة شيبك لأفانلناك على جريرتك مُقَابَلَةٌ تُشْبِهُ أفعالَكَ
وتُروغُ أمثالك فاسترْ على نفسك هذا العيب واتقِ مَنْ يَعْلَمُ العَيْبَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى
للصالح والطالح بالمرصاد .

وَكَتَبَ بَعْضُ النَّاسِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ إِنْ فَلَانَا قَدْ تَوَفَّى وَخَلَّفَ خَمْسِينَ
أَلْفَ دِينَارٍ وَعَقَاراً بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَخَلَّفَ طِفْلاً فَإِنْ رَأَى الْوَزِيرُ أَنْ
يَسْتَقْرِضُ هَذَا الْمَالَ إِلَى وَقْتِ بُلُوغِ الصَّبِيِّ وَيَحْفَظُ عَلَيْهِ ضَيَاعَهُ فَعَلَّ فَكَتَبَ عَلَى
ظَهْرِ السَّعَايَةِ «أَمَّا التَّوْفِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَالطِّفْلُ جَبْرَهُ اللَّهُ وَالْمَالُ ثَمَرَةُ اللَّهِ
وَالسَّاعِي لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى مَالِ الْآيَتَامِ» .

وَسَبَّ رَجُلٌ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ فَقَالَ إِيَّاكَ أَعْنِي فَقَالَ وَعَنْكَ أَعْضِي .
وَقَالَ الْفَضِيلُ : الرَّجُلُ يَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَأَخْشَى عَلَيْكَ بِذَلِكَ وَهُوَ
الَّذِي يَسْتَمِدُّ الْغَيْبَةَ إِذَا سَمِعَهَا . قُلْتُ وَلَآئِنَّهُ جَعَلَ اسْمَ اللَّهِ وَتَزْيِيهَهُ آلَةً فِي
تَحْقِيقِ حُبِّهِ وَلَآئِنَّ فِي ذَلِكَ تَنْبِيهًا لِلْغَافِلِ عَنِ الْغَيْبَةِ وَزِيَادَةً لِنَشَاطِ الْمُعْتَابِ .
وَقِيلَ إِذَا رَأَيْتَ الَّذِي يَغْتَابُ النَّاسَ وَيَقَعُ فِي أَعْرَاضِهِمْ فَاحْرُصْ عَلَى أَنَّهُ
لَا يَعْرِفُكَ فَاشْفَى النَّاسَ بِهِ مِنْ عَرَفِهِ وَالسَّالِمُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ الْغَيَْابُ .
جَزَى اللَّهُ عَنَّا الْخَيْرَ مَنْ لَيْسَ بَيْنَنَا وَلَا بَيْنَهُ وَدُّ بِهِ نَتَعَرَّفُ
فَمَا سَامَنَا ضَيْمًا وَلَا شَفَّنَا أَدَى مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَنْ نَوَدُّ وَنَعْرِفُ

(فائدة في معالجة حُبِّ الدنيا المستغرق للوقت)

إِذْ عَلِمَ أَنَّ حُبَّ الدُّنْيَا يَنْدُرُ مَنْ يَسْلَمُ مِنْهُ وَهُوَ يَنْبَغُ مِنْ طَوْلِ الْأَمَلِ لِأَنَّ
الْإِنْسَانَ يَقُولُ الْأَيَّامُ بَيْنَ يَدَيَّ وَأَفْعُلُ غَدًا كَذَا وَبَعْدَ غَدٍ سَأَفْعُلُ وَأَتَمْتَعُ بِالدُّنْيَا
وَالتَّوْبَةُ مَفْتُوحَةٌ بِأَبْهَائِهَا وَتَمَادَى بِهِ الْأَيَّامُ فِي جَمْعِ الْأَمْوَالِ وَبِنَاءِ الْقُصُورِ وَنَحْوِ ذَلِكَ
وَتَشْعَبُ آمَالُهُ إِلَى أَنْ يَنْسَى أَنَّ النَّفْسَ الْوَاحِدَةَ يُبْعِدُهُ مِنَ الدُّنْيَا وَيُذْنِبُهُ مِنَ
الْآخِرَةِ .

وَمَا نَفْسٌ إِلَّا يُبَاعِدُ مَوْلِدًا وَيُذْنِبُ الْمَنَايَا لِلنُّفُوسِ فَتَقْرُبُ
وَلَكِنْ مِنَ الْعِلَاجِ النَّافِعِ أَنْ يَقُولَ الْمَوْتُ لَيْسَ بِيَدِي فَكَيْفَ اعْتَمَدْتُ عَلَى

الحياة فَرُبْنَا قَضَى والموت لا يَتَأخَّرُ بِكَرَاهَتِي قال الله جل وعلا ﴿ فإذا جَاءَ أَجْلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ولا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ وقال عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ ولن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا ﴾ .

ومن ذلك أن يقول هَبْنِي جَمَعْتُ الدنْيا أَلَيْسَ عِنْدَ الموتِ أَتْرُكُ ذَلِكَ وَأَسْأَلُ عَنْهُ وَيَتَمَتَّعُ فِيهِ غَيْرِي فلما لا أَفَكِّرُ فِي ذَلِكَ أَجْمَعُ الدنْيا لغيري وَأَبُوءُ بِحِسَابِهَا واضْطَرَّارِهَا . وأكون كما قال الشاعر :

كَلُودٌ كَلُودُ القَرُ يُنْسَجُ دَائِماً وَيَهْلِكُ غَمًّا وَسَطٌ ما هُوَ ناسِجٌ
آخر : وذِي حِرْصٍ تَرَاهُ يُلْمُ وَفِرا لِوَارِثِهِ وَيَدْفَعُ عَن حِمَاهُ
ككَلْبِ الصَّيْدِ يُمْسِكُ وَهُوَ طاوٍ فَرِيستَهُ لِيَأْكُلْها سِوَاهُ
ومن العلاج أن يَعْلَمَ أن مَنْ كانَتْ دُنْياهُ أَكْثَرَ حَسْرَتُهُ أَشَدَّ وَخَوْفُهُ أَعْظَمَ
بِخِلافِ مَنْ كانَ أَخَفَّ مِنْهُ دُنْياً فَأَمْرُهُ أَسهَلُ فَصاحِبُ الألفين أَشَدُّ حِسَاباً مِنْ
صاحِبِ الألفِ وهَلُمَّ جِراً .

ومن العلاج زِيارَةُ المقابر والنظرُ في مِصْراعِ الآباءِ والأُمَّهاتِ والأخوةِ
والأخواتِ وَسائِرِ القَراباتِ والأقْرابِ والزَملاءِ والأصْدِقاءِ وَيَزُورُ المُسْتَشْفِياتِ
والمرضى والسجونَ والمستوصفاتِ ليشكرَ اللهُ على نِعْمَةِ العَظيمةِ .

تَزوُدُ مِنَ الدُّنْيا فَإِنَّكَ راجِلٌ وَبَإِذْرِ فَإِنَّ الموتَ لا شَكَّ نازِلٌ
آخر : نَحَلْتُ دُورَهُمْ مِنْهُمُ وَأَقَوْتُ عِراضَهُمْ وَساقَهُمُ نَحوِ المَنائِيا المَقادِرُ
وَنَحَلُوا عَنِ الدُّنْيا وما جَمَعُوا لها وَضَمَّهُمْ تَحْتَ التُّرابِ الحَفائِرُ
آخر : وَعَضَّتْكَ أَجْداثٌ وَهَنَّ صُمُوتٌ وَأَصْحابُها تَحْتَ التُّرابِ خُفُوتٌ
أيا جَماعِ الدنْيا ومُهْمِلٌ نَفْسِهِ لِمَنْ تَجَمَّعَ الدُّنْيا وَأَنْتَ تَمُوتُ

ومن العلاج أن يَنْظُرَ الإنسانَ إلى جِسمِهِ وانحلالِ قُوَّاهُ واشتعالِ الشيبِ
الذي هو بَرِيْدُ الموتِ وَضَعِيفِ نَظَرِهِ وَسَمِعِهِ وَتَقارِبِ حُطاهِ وَسُقُوطِ أَسنانِهِ .

تَسَاقَطُ أَسْنَانٌ وَيَضْعَفُ نَاطِرٌ وَتَقْصُرُ خُطُوبَاتٌ وَيَثْقُلُ مَسْمَعٌ
وَمِنَ الْعِلَاجِ أَنْ تَقُولَ الرَّسُلُ أَعْلَمُ مِنِّي فَيَعُوذُوا بِالْقُوَّةِ وَرَضُوا بِالْكَفَافِ
وَمَا طَلَبُوا الدُّنْيَا فَلَمَّا ذَا أَنْهَمَكَ فِيهَا وَأَحْرَقَ نَفْسِي وَأَغْفَلُ عَنِ مَا قُدَّامِي مِنَ
الْأَهْوَالِ وَالْعَظَائِمِ الَّتِي أَنَا مُقْبِلٌ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ .

أَيْنَ الْمَلُوكِ أَيْنَ الْجَبَابِرَةِ أَيْنَ الطُّغَاةِ وَأَعْوَانِهِمْ انظُرِي يَا نَفْسُ هَلْ بَقِيَ
مِنْهُمْ أَحَدٌ قَالَ تَعَالَى ﴿ هَلْ تَحْسَبُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ .

وَمِنَ الْعِلَاجِ أَنْ تَقُولَ تَفَرِّضُ أَنَّكَ مَلَكَتِي الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا وَصَفَا لَكَ
عَذْبُهَا وَلِأَلْهَى وَأَدْرَكْتَ الْأَمَانِي أَلَيْسَ آخِرَ ذَلِكَ الْمَوْتُ وَعَاقِبَتُهُ الْفَوْتُ فَلَمَّا ذَا
تُحْرِقُ نَفْسَكَ فِي طَلَبِ مَا هُوَ عَارِيَّةٌ وَوَدِيعَةٌ وَلَا تَذْهَبُ إِلَّا بِالْكَفَنِ فَقَطْ .

فَقُلْ لِلَّذِي قَدْ غَرَّهُ طَوْلَ عُمُرِهِ وَمَا قَدْ حَوَاهُ مِنْ زَخَارِفِ تَخْدَعُ
أَفْقُ وَانظُرِي الدُّنْيَا بَعَيْنِ بَصِيرَةٍ تَجِدُ كُلَّ مَا فِيهَا وَذَائِعَ تَرْجِعُ
آخِرُ :

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَذَائِعُ وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ

آخِرُ : هَوْنٌ عَلَيْكَ فَمَا الدُّنْيَا بِدَائِمَةٍ وَإِنَّمَا أَنْتَ مِثْلُ النَّاسِ مِفْرُورٌ

وَلَوْ تَصَوَّرَ أَهْلُ الدَّهْرِ صُورَتَهُ لَمْ يُنْسَ مِنْهُمْ لَيْبٌ وَهُوَ مَسْرُورٌ

آخِرُ : لَمَّا تُؤَذِّنُ النَّيَابَ مِنْ صُرُوفِهَا يَكُونُ بَكَاءَ الْوَلَدِ سَاعَةً يُؤَلَّدُ

آخِرُ : نَصِيْبِكَ مِمَّا تَجْمَعُ الدَّهْرُ كُلُّهُ رِدَاً أَنْ تُطْوَى فِيهِمَا وَحْنُوطٌ

(فصل)

عَنِ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيِّ قَالَ يَنْبَغِي لِمَنْ لَا يَحْزَنُ أَنْ يَخَافَ أَنْ يَكُونَ مِنَ أَهْلِ
النَّارِ لِأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ قَالُوا « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ » وَيَنْبَغِي لِمَنْ لَمْ
يُشْفِقْ أَنْ يَخَافَ أَنْ لَا يَكُونَ مِنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِأَنَّهُمْ قَالُوا « إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا
مُشْفِقِينَ » .

وعن الفضيل بن عياض قال قيل لسليمان التيمي أنت وأنت أي يثنون
عليه قال لا تقولوا هكذا فإني لا أدري ما يبئروني من ربي عز وجل سمعت
الله عز وجل يقول ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ وإني أخشى أن
يبدؤ لي من الله ما لم أكن احتسب .

وعن عكرمة عن محمد بن المنكدر أنه جزع عند الموت فقيل له لم
تجزع فقال أخشى آية من كتاب الله عز وجل قال الله تعالى ﴿وبدا لهم من
الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ وإني أخشى أن يبئروني من الله ما لم أكن
أحتسب .

قلت وفيه آيات أخرى ينبغي أن تكون نصب عيني العاقل اللبيب
وذلك قوله تعالى ﴿وأندرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا
يؤمنون﴾ وقوله تعالى ﴿يوم تَبْلُؤا كل نفس ما أسلفت﴾ وقوله ﴿أن تقول
نفس يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين﴾ وقوله
جل وعلا وتقدس ﴿لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من
الصالحين﴾ .

وقال عبد الأعلى التيمي شيئان قطعاً عنى لذة الدنيا ذكر الموت
والوقوف بين يدي الله عز وجل .

وعن أبي إسحاق قال أرى أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل إلى فراشه فقال
يأليت أُمِّي لم تَلِدني فقالت له امرأته أبا ميسرة أليس الله قد أحسن إليك هَذَا
للإسلام وفعل بك كذا قال بلى ولكن الله أخبرنا أنا واردون على النار ولم يُبين
لنا أننا صادرون عنها .

وقال الحسن إن المؤمن يُصْبِحُ حزيناً ويُمسي حزيناً وينقلب باليقين في
الحزن ويكفيه ما يكفي العنيزة الكف من التمر والشربة من الماء .

وقال حبيبُ ابنِ أبي ثابتٍ ما استقرضتُ من أحدٍ شيئاً أحبُّ إلى من نفسي أقولُ لها أمهلي حتى يجيء من حيث أحبُّ .

شعراً :

إذا رُمْتَ أن تُستقرِضَ المالَ مُنفقاً على شهواتِ النفسِ في زمنِ العسرِ
فَسَلْ نَفْسَكَ الْإِنْفَاقَ مِنْ كَنْزِ صَبْرِهَا عَلَيْكَ وَإِنْضَاراً إِلَى زَمَنِ الْيُسْرِ
فَإِنْ فَعَلْتَ كُنْتَ الْغَنِيِّ وَإِنْ أَبْتَ فَكُلَّ مَنْوَعٍ بَعْدَهَا وَاسْبِغِ الْعُذْرَ

وقال الثوري ما ضرهم ما أصابهم في الدنيا جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة . وسأل رجل سفيان الثوري فلم يكن معه ما يعطيه فبكى سفيان فقال له مسرُّ بن كدام ما يبكيك قال وأي مصيبة أعظم من أن يؤمّل فيك رجلٌ خيراً فلا يصيبه عندك .

وبكى ثابتٌ حتى كادت عينه تذهب فجاءوا برجلٍ يعالجها فقال الرجلُ
أعالجها على أن تطيعني قال وأي شيء قال على أن لا تبكي قال فما خيرهما
إن لم تبكيا وأبى أن يعالجها .

وكان شقيقُ بن سلمة إذا صلى في بيته ينشج - أي يخشع ويبكي - ولو
جعلت له الدنيا على أن يفعلها وأحد يسمعه أو يراه ما فعله - أي يخشى من
الرياء . روى شدادُ بن أوس أن النبي ﷺ قال «أخوف ما أخاف على أمتي الرياء» .

وكان عمرو بن عتبة بن فرقد يخرج على فرسه ليلاً إلى المقبرة فيقف
على القبور فيقول يا أهل القبور قد طويت الصحف وقد رفعت الأعمال ثم
يبكي ويصنف قدميه حتى يصبح فيرجع فيشهد صلاة الصبح .

وقالت امرأة حسان بن سنان كان يجيء فيدخل معي في فراشي ثم
يخادعني كما تخادع المرأة صبيها فإذا علم أني نمت سل نفسه فخرج ثم يقوم
فيصلي قالت فقلت له يا أبا عبد الله كم تعذب نفسك أرقوق بنفسك فقال
اسكتي ويحك فيوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها زماناً .

عن عبد الله بن المبارك قال حدثنا وهيب قال ما اجتمع قومٌ في مجلسٍ أو ملاً إلا كان أولاهم بالله الذي يفتتحُ بذكر الله حتى يفيضوا في ذكره وما اجتمع قومٌ في مجلسٍ أو ملاً إلا كان أبعدهم من الله الذي يفتتحُ بالشر حتى يخوضوا فيه وفي الحديث طوبى لمن كان مفتاحاً للخير مغلقاً للشر وويل لمن كان مفتاحاً للشر مغلقاً للخير .

« فصل »

كتب عمرُ بنُ عبدالعزيز إلى سالم بن عبدالله أن اكتب إلى بشيء من رسائل عمر بن الخطاب فكتب أن يا عمر اذكر الملوك الذين تفقات أعينهم الذين كانت لا تنقضي لذاتهم وانفقات بطونهم التي كانوا لا يشبعون بها وصاروا جيفاً في الأرض وتحت أكنافها أن لو كانت إلى جنب مسكين لتأذى بريحهم .

وقال بلال بن سعد رب مسرور مغبون ورب مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل ولا يشعر يأكل ويشرب ويضحك ويلعب وقد حق عليه في قضاء الله أنه من أهل النار .

عن عون بن عبد الله بن عتبة أنه كان يقول يا ويح نفسي كيف أغفل ولا يُغفل عني أم كيف تهينني معيشتي واليوم الثقيل ورائي أم كيف يشتد عجبني بدارٍ في غيرها قراري .

وكان داود الطائي في دارٍ واسعة خربة ليس فيها إلا بيتٌ وليس على بيته بابٌ فقال بعضُ القوم أنت في دارٍ وحشة فلو اتخذت لبيتك هذا باباً أما تستوحش فقال حالت وحشة القبر بيني وبين وحشة الدنيا .

وقال محمد بن كعب : الدنيا دارُ فناء منزلٌ بلغة رغبَت عنها السعداء وأسرعَت من أيدي الأشقياء فأشقى الناس بها أرغبتُ الناس فيها وأسعدتُ الناس فيها أرهدتُ الناس بها هي المعذبة لمن أطاعها المهلكة لمن اتبعها الخائنة لمن

انقادَ لَهَا عِلْمُهَا جَهْلٌ وَغِنَاؤُهَا فَقْرٌ وَزِيَادَتُهَا نُقْصَانٌ وَأَيَّامُهَا دُؤْلٌ .
وعن بكر بن محمد قال : قُلْتُ لِداود الطائي أوصني قال : عَسْكَرُ الموقِ
يَنْتَظِرُونَكَ .

وقال أبو حازم : مَنْ عَرَفَ الدنِيا لَمْ يَفْرَحْ فِيها بِرِخَاءِ وَلَمْ يَحْزَنْ عَلى
بَلْوَى .

وقال ابن المبارك : أَهْلُ الدنِيا خَرَجُوا مِنَ الدنِيا قَبْلَ أَنْ يَتَطَعَمُوا أَطيبَ
ما فِيها قِيلَ لَهُ وَمَا أَطيبُ ما فِيها قال المَعرِفَةُ بالله عَزَّ وَجَلَّ .

وقال شدادُ بْنُ أوسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إِنَّكُمْ لَمْ تَرَوْا مِنَ الخَيْرِ إِلا سَبابَهُ
وَلَمْ تَرَوْا مِنَ الشَّرِّ إِلا سَبابَهُ الخَيْرُ كُلُّهُ بِحِذافيرِهِ فِي الجَنَّةِ وَالشَّرُّ كُلُّهُ بِحِذافيرِهِ فِي
النَّارِ وَإِنَّ الدنِيا عَرَضٌ حاضِرٌ يَأْكُلُ مِنْهُ البَرُّ وَالفاجرُ وَالآخِرَةُ وَغَدٌّ صَادِقٌ بِحِكمِ
فِيها مَلِكٌ قاهِرٌ وَلِكُلِّ بَنُوْنَ فَكُونُوا مِنَ ابْناءِ الآخِرَةِ وَلا تَكُونُوا مِنَ ابْناءِ الدنِيا .

وقال عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ اعْمَلُوا لِأَنْفُسِكُمْ رَحِمَكُمُ اللهُ فِي هَذا اللَّيْلِ وَسِوَاهِ فَإِنَّ
المَقبُورَ مِنَ غَيبِ نَحيرِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَالْمَحْرُومَ مِنَ حُرْمِ خَيرِها وَإِنَّمَا جُعِلَ سَيِّئاً
لِلْمُؤْمِنينَ إِلى طاعَةِ رَبِّهِمْ وَوَبالاً عَلى الآخِرِينَ لِلعَفْلةِ عَن أَنْفُسِهِم فَأَحْيُوا لَهِ
أَنْفُسَكُم بِذِكرِهِ .

فإِذا نَحِيَ القلوبَ بِذِكرِ اللهِ كَمَ مِنْ قائِمٍ فِي هَذا اللَّيْلِ قَدَ اغْتَبَطَ بِقيامِهِ فِي
حُفْرَتِهِ وَكَمَ مِنْ نائِمٍ فِي هَذا اللَّيْلِ قَدَ نَدِمَ عَلى طُولِ نَومِهِ عَندَ ما يَرى مِنَ كِرامَةِ
اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلعابِدِينَ غَداً فَاعْتَنِمُوا مَمَرَّ الساعاتِ وَالليالي وَالأيامِ .

وقال رَجُلٌ لِداودِ الطائي أوصني فَدَمَعَتْ عَيناهُ ثُمَّ قالَ لَهُ يا أَخي إِنا
اللَّيْلُ وَالنَّهارُ مَراحِلُ تُنْزَلُ بِالناسِ مَرحَلَةٌ مَرحَلَةٌ حَتى يَنْتَهِى بِهِم ذَلكَ إِلى آخِرِ
سَفرِهِم فَإِنَّ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُقَدِّمَ فِي كُلِّ يَومٍ مَرحَلَةً زاداً لِمَا بَينَ يَدَيْكَ فَافْعَلْ .
فإِنَّ انْقِطاعَ السَّفَرِ عَن قَريبِ وَالأمرِ أَعْجَلَ مِنَ ذَلكَ فَتَزَوَّدْ لِسَفرِكَ
واقضِ ما أَنْتَ قاضٍ مِنَ أَمْرِكَ فَكَأَنَّكَ بِالأمرِ قَدَ بَعَثَكَ إِني لأقولُ هَذا وَمَا أَعْلَمُ
أَحداً أَشَدَّ تَضَيُّعاً مِنِّي لِذَلكَ ثُمَّ قامَ .

وجاء داود الطائي أحد أصحابه بالفى درهم وقال هذا شىء جاء الله به
لم تطلبه ولم تشره له نفسك قال داود إنه لمن أمثل ما يأخذون قال فما يمنعك
منه قال لعل تركه أن يكون أنجى .

وقال محمد بن واسع : لقد أدركت رجلاً كان الرجل يكون رأسه مع
رأس امرأته على وسادة واحدة قد بل ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته
ولقد أدركت رجلاً يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعه على خده
ولا يشعر به الذي إلى جنبه .

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث
ضحكت من مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل لا يُغفل عنه وضاحك ملاء فيه
لا يدري أمسحط ربه أم مرضيه .

وأبكاني ثلاث فرقة الأجيّة محمد وحزبه وهول المطلع عند غمرات
الموت والوقوف بين يدي رب العالمين حين لا أدري إلى النار انصرافي أم إلى
الجنة .

وقال أحد السلف لأن أعلم أن الله تقبل مني مثقال حبة من خردل
أحب إلي من الدنيا وما فيها لأن الله تعالى يقول ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ .

وقال إبراهيم التيمي مثلت نفسي في النار أعالج أغلالها وسعيرها وآكل
من زقومها وأشرب من حميمها فقلت يا نفس أي شىء تشتهين قالت أرجع
إلى الدنيا أعمل عملاً أنجو به من هذا العذاب .

ومثلت نفسي في الجنة مع حورها ألبس من سندسها واستبرقها وحريرها
فقلت يا نفس أي شىء تشتهين قالت أرجع إلى الدنيا فأعمل عملاً أزداد به من
هذا الثواب فقلت الآن أنت في الدنيا وفي الأمانة . والله أعلم وصلى الله على
محمد وآله وسلم .

(فصل)

كان الفقهاء يتواصون بينهم بثلاث ويكتب بذلك بعضهم إلى بعض من
عَمِلْ لِآخِرَتِهِ كَفَاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ وَمَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللهُ عِلَانِيَتَهُ وَمَنْ
أَصْلَحَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ أَصْلَحَ اللهُ تَعَالَى فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ .

وقال محمد بن كعب القرظي إذا أراد الله تعالى بعبد خيراً جعل فيه
ثلاث خلال : ففیه في الدين وزهاده في الدنيا وبُصر بعُيوبه .

وقال الحسن بن صالح : العمل بالحسنة قوة في البدن ونور في القلب
وضوء في البصر والعمل بالسيئة وهن في البدن وظلمة في القلب وعمى في
البصر .

وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبدالعزيز يعظه : احتمال المونة
المنقطعة التي تعقبها الراحة الطويلة خير من تعجل راحة منقطعة تعقبها مونة
باقية وندامة طويلة .

واعلم أن الهول الأعظم أمامك ومن وراء ذلك داران إن أخطأتك هذه
صرت إلى هذه وكأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تنزل .

وكتب أحد عمال عمر بن عبدالعزيز إليه « إن مدينتنا قد تهدمت فإن
رأى أمير المؤمنين ، أن يقطع لنا مالاً نرُمها به فعل فكتب عمر إليه إذا قرأت
كتابي هذا فحصنها بالعدل وتب طرقها من الظلم فإنه عمارتها .

وقيل الدين والملك أخوان توأمان لا قوام لأحدهما إلا بصاحبه لأن
الدين أساس الملك ثم صار الملك بعد حارساً للدين فلا بد للملك من أساس
ولا بد للدين من حارس وما لا حارس له فهو ضائع وما لا أساس له فهو
مهتوم .

كان جماعة من الملوك يوعظون فيؤثر الوعظ في قلوبهم فيخرجون من

مُلْكِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ وَيَزْهَلُونَ وَكَانَ فِيهِمْ مَنْ يَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ وَيَعْلَمُ انْقِطَاعَ الدُّنْيَا عَنْهُ وَقَرَبَ رَحِيلَهُ مِنْهَا وَيَخَافُ شِدَّةَ الْحِسَابِ وَأَهْوَالَ الْقِيَامَةِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ فَيَنْفِرُ مِنَ الدُّنْيَا وَيَزْهَدُ فِي الْوَالِيَةِ وَكُلِّ مَنْ تَدْبِرُ الْقُرْآنَ وَتَأْمَلُ أَحْوَالَ مَنْ مَضَى لِابْدُ أَنْ يَتَأَثَّرَ وَيَتَجَافَى عَنِ الدُّنْيَا وَلَكِنْ مُقَلٌّ وَمُكَثِّرٌ إِلَّا مَنْ عَمِيَتْ بَصِيرَتُهُ .

شعراً :

يَا خَدُّ إِنَّكَ إِنْ تَوَسَّدَ لَيْلِيَا وَسَدَّتْ بَعْدَ الْمَوْتِ صُمُّ الْجِنْدَلِ
فَامْهَدْ لِنَفْسِكَ صَالِحاً تَسْعُدُ بِهِ فَلَتَنْدَمَنَّ غَداً إِذَا لَمْ تَفْعَلِ
قَالَ تَعَالَى ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ وَقَالَ ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾ .
قَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً ﴾ وَقَالَ ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ .

رَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنْكُمْ فِي مَمْلَكَتِهِ تَفَكَّرَ فَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ مَنْقُوعٌ عَنْهُ وَأَنَّ الَّذِي هُوَ فِيهِ قَدْ شَغَلَهُ عَنِ عِبَادَةِ رَبِّهِ تَعَالَى فَخَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنْ قَصْرِهِ فَأَصْبَحَ فِي مَمْلَكَةٍ غَيْرِهِ فَأَتَى سَاحِلَ الْبَحْرِ وَكَانَ يَضْرِبُ اللَّبَنَ بِالْأَجْرَةِ فَيَأْكُلُ وَيَتَصَدَّقُ بِالْفَضْلِ مِنْ قُوَّتِهِ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى رُفِعَ أَمْرُهُ إِلَى مَلِكٍ تِلْكَ النَّاجِيَةِ .

فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهُ فَأَتَى فَأَعَادَ إِلَيْهِ الرَّسُولَ فَأَتَى وَقَالَ مَالَهُ وَإِيَّايَ فَرَكِبَ الْمَلِكُ فَلَمَّا رَأَاهُ الرَّجُلُ وَلِيَ هَارِباً فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْمَلِكُ جَدُّ فِي أَثَرِهِ فَلَمْ يَدْرِكْهُ فَنَادَاهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ مِنِّي بَأْسٌ فَأَقَامَ حَتَّى أُدْرِكَهُ .
فَقَالَ لَهُ مَنْ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ قَالَ فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ صَاحِبُ كَذَا وَكَذَا
فَقَالَ وَمَا شَأْنُكَ فَقَالَ تَفَكَّرْتُ فِي أَمْرِي فَعَلِمْتُ أَنَّ مَا أَنَا فِيهِ مَنْقَطِعٌ عَنِّي لَا مَحَالَةَ وَأَنَّهُ قَدْ شَغَلَنِي عَنِ عِبَادَةِ رَبِّي فَتَرَكْتُهُ وَجِئْتُ هُنَا أَعْبُدُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ .

فَقَالَ مَا أَنْتَ بِأَحْوَجَ إِلَى مَا صَنَعْتَ مِنِّي فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ فَسَبَّهَا وَإِلَى رِثَابِهِ
فَأَلْقَى بِهَا ثُمَّ أَتْبَعَهُ فَكَانَا جَمِيعاً فَدَعَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُمَيِّتَهُمَا جَمِيعاً فَمَا نَا قَالَ بُنْ
مَسْعُودٌ وَلَوْ كُنْتُ بِرِمْلِيَّةٍ مِصْرَ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَيْهِمَا بِالنَّعْتِ الَّذِي نَعَتْنَا لَنَا رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى بِنَحْوِهِ .

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَوْ مَن نَفْسٍ شَجِيحَةٍ عَلَى الْخَيْرِ قَدْ أَضْنَى فَوَادِي عِلَاجِهَا
إِذَا سَأَلْتَنِي شَهْوَةً قَدْ مَنَعْتَهَا أَذَامَتْ سُؤَالِي وَاسْتَمَرَّ لَجَاجُهَا
وَإِنْ سُمْتُهَا حَئِيراً تَفُوزُ بِنَفْعِهِ غَدَاً نَفَرْتُ مِنِّي وَدَامَ انْزِعَاجُهَا
فَقَدْ ضَيَّقْتُ يَا مَوْلَايَ ذَرْعاً وَأَظْلَمْتُ عَلَيَّ الْأَرْضِي الْوَاسِعَاتِ فَجَاجُهَا
فَهَبْ لِي يَا نُورَ السَّمَاوَاتِ فِطْرَةَ يُضِيءُ لِعَيْنِي فِي السُّلُوكِ سِرَاجُهَا
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

فصل : ثم أعلم أن الدنيا بأسرها وبجميع لذاتها لا تُساوي في باب
السعادة واللذة الروحية شيئاً قال الإمام علي رضي الله عنه : أصاب الدنيا من
حذرهما وأصابت من أمنها وقال الدنيا لا تصفو لِشَارِبٍ وَلَا تَبْقَى لِصَاحِبٍ وَلَا
تُخْلُوا مِنْ فِتْنَةٍ وَلَا تَنْكِشُ إِلَّا عَنْ مِخْنَةٍ .

فَأَعْرِضْ بِقَلْبِكَ عَنْهَا قَبْلَ أَنْ تُعْرِضَ عَنْكَ وَاسْتَبْدِلْ بِهَا خَيْراً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ
تَسْتَبْدِلَ بِكَ فَإِنَّ نَعِيمَهَا مَتَحَوَّلٌ وَأَحْوَالُهَا مُتَنَقِّلَةٌ وَلذَاتُهَا فَانِيَةٌ وَتَبْعَاتُهَا بَاقِيَةٌ .
وَاعْلَمْ أَنَّ مَثَلَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا قَاتِلٌ سُمُّهَا فَاقْتَصِدْ فِيمَا
يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا وَكُنْ أَحْذَرُ مَا تَكُونُ لَهَا وَأَنْتَ آئِسٌ بِهَا
فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا اطمأنَّ مِنْهَا إِلَى سُرُورِ اشْتِخَصَّهِ ذَلِكَ إِلَى مَكْرُوهٍ أَوْ غُرُورٍ .
وَقَالَ آخِرُ : وَجُمَلْتُ الْأَمْرَ أَنْكَ إِذَا نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ فَعَلِمْتَ
أَنَّ الدُّنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا وَأَنَّ نَفْعَهَا لَا يَفِي بِضُرِّهَا وَتَبْعَاتِهَا مِنْ كَدِّ الْبَدَنِ وَشُغْلِ
الْقَلْبِ فِي الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَالْحِسَابِ الطَّوِيلِ فِي الْآخِرَةِ الَّذِي لَا طَاقَةَ لَكَ

بِهِ .

فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ جَدًّا زَهَدْتَ فِي فَضُولِ الدُّنْيَا فَلَا تَأْخُذُ مِنْهَا إِلَّا مَا لَا بَدَأَ
لَكَ مِنْهُ فِي عِبَادَةِ رَبِّكَ وَتَدْعُ التَّعَمُّمَ وَالتَّلَذُّدَ إِلَى الْجَنَّةِ دَارِ النِّعَمِ الْمَقِيمِ فِي جَوَارِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ الْمَلِكِ الْقَادِرِ الْغَنِيِّ الْكَرِيمِ وَعَلِمْتَ أَنَّ الْخَلْقَ لَا وِفَاءَ لَهُمْ . قَالَ
الْوَاصِفُ لِحَالِ أَهْلِ وَقْتِهِ :

غَاضَ الْوَفَاءَ فَمَا تَلْقَاهُ فِي عِدَّةٍ وَأَعْوَزَ الصِّدْقَ فِي الْأَخْبَارِ وَالْقِسْمَ

وَعَلِمْتَ أَنَّ مَوْنَةَ الْخَلْقِ أَكْثَرُ مِنْ مَعُونَتِهِمْ فِيمَا يَغْنِيكَ وَتَرَكْتَ
مُخَالَطَتَهُمْ إِلَّا فِيمَا لَا بَدَأَ لَكَ مِنْهُ تَنْتَفِعُ بِخَيْرِهِمْ وَتَحْتَبُ مِنْ ضَرِّهِمْ وَتَجْعَلُ
صُحْبَتَكَ لِمَنْ تَرْبُحُ فِي صُحْبَتِهِ وَلَا تَخْسِرُ وَلَا تَنْدَمُ عَلَى خِدْمَتِهِ وَأَنْسِكَ بِكِتَابِهِ
وَمُلَازِمَتِكَ إِيَّاهُ .

فَشَمَّرَ وَلَذَّ بِاللَّهِ وَاحْفَظَ كِتَابَهُ فِيهِ الْهُدَى حَقًّا وَاللَّخِيرَ جَامِعًا
هُوَ الدُّخْرُ لِلْمَلْهُوفِ وَالكَنْزُ وَالرَّجَاءُ وَمِنْهُ بِلَا شَكِّ تُنَالُ الْمَنَافِعُ
بِهِ يَهْتَدِي مَنْ تَاهَ فِي مَهْمِهِ الْهَوَى بِهِ يَتَسَلَّى مَنْ ذَهَبَتْهُ الْفَجَائِعُ

فَقَرَى مِنْهُ كُلَّ جَمِيلٍ وَإِفْضَالٍ وَتَجَدُّهُ عِنْدَ كُلِّ نَائِبَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَا
فِي الْحَدِيثِ : (أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تَجَاهَكَ وَفِي رِوَايَةٍ تَجِدْهُ
أَمَامَكَ تَعْرِفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ) الْحَدِيثُ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ خَبِيثٌ قَدْ تَجَرَّدَ لِمُعَادَاتِكَ فَاسْتَعِذْ بِرَبِّكَ الْقَادِرِ
الْقَاهِرِ مِنْ هَذَا الْكَلْبِ اللَّعِينِ وَلَا تَغْفُلْ عَنْ مَكَائِدِهِ فَتَطْرُدَهُ بِذِكْرِ اللَّهِ
وَالِاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّهِ .

فَإِنَّهُ يَسِيرٌ إِذَا ظَهَرَتْ مِنْكَ عَزِيمَةٌ صَادِقَةٌ وَأَنَّهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّهُ
لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ .

وقال آخر ما الدنيا وما إبليس ، أما الدنيا فما مضى منها فحلّم وما بقى فأما إبليس وأما الشيطان فوالله لقد أطيعَ فما نفعَ بل ضرٌّ ولقد عصيَ فما ضرٌّ .
وعلمتَ جهالةَ هذه النفس وجماعها إلى ما يضرُّها ويهلكها فنظرت إليها رحمةً لها نظرةَ العقلاء والعلماء الذين ينظرون في العواقب .

لانظر الجهال والصبيان الذين ينظرون في الحال ولا يفطنون لغائلة الأذى وينفرون من مرارة الدواء فألجمها بلجام التقوى بأن تمنعها عما لا تحتاج إليه بالحقيقة من فضول الكلام والنظر والتلبس بخصلة فاسدة من طول أمل أو حسد أو كبر أو نحو ذلك .

ثم أعلم أن الشيطانَ قاسمَ أبائك وأمكَ حواءَ إنه لهما ليمن الناصحين وقد علمتَ كذبه وغشه ورأيتَ فعله بهما وأما أنتَ فقد أقسمَ أن يُغويك قال ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين ﴾ فاخذره وشمر عن ساق الجد في الفرار عن مكائده والعجب ممن يُصدق في عداوته ويتبع غوايته .

والنفس كالطفل إن تهملته شبَّ على حُبِّ الرضاع وإن تَفطِنه ينفطِم
وراعها وهي في الأعمال سائمةً وإن هي استحلَّت المرعى فلا تَسِم
كم حسنتَ لذةَ للمرءِ قاتلةً من حيث لم يدر أن السُّمَّ في الدَّسَم
وخالف النفسَ والشيطانَ وأعصيهما وإن هما محضاك التَّصَحُّ فأتهم
واستفْرِغ الدَّمْعَ من عينٍ قد امتلأتْ من المحارم والزَّمَّ حِمِيَةَ التَّدَم

قال في الفنون من عجيب ما نقُدت من أحوال الناس كثرة ما ناحوا على خراب الديار وموت الأقراب والأسلاف والتَّحسُّر على الأرزاق بدم الزمان وأهله وذكر نكد العيش فيه .

وقد رأوا من انهدام الإسلام وشعث الأديان وموت السنن وظهور البدع وارتكاب المعاصي وتفضي العمر في الفراغ الذي لا يُجدي والقبيح الذي يُوبق ويؤذي فلا أجد منهم من ناح على دينه ولا بكى على فارطِ عمره ولا آسى على فائتِ دهره .

وما أرى لذلك سبباً إلا قلة مُبالاتهم بالأديان وعِظَم الدنيا في عُيونهم ضد ما كان عليه السلف الصالح يرضون بالبلاغ ويتوحدون على الدين ، قلت فكيف لو رأى أهل هذا الزمن الذي كثر فيه المعاصي والملاهي وانفتحت فيه الدنيا على كثير من الناس فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ومن عجيب ما رأيتُ أنا أن أجدنا إذا ناداهُ أمير أو وزير أو مساعد أو مدير يبادر ويقوم بسرعة لداعي الدنيا ولا يتأخر ويسمعُ داعي الله يدعوهُ إلى الصلاة التي هي الصلة بينه وبين ربه جل وعلا وتقدس فيتشاكل ولا يهتم لها وإن قام بعد التريث فكانه مُكره يُدفعُ إليها دفعا عكس ما عليه السلف الصالح من المبادرة والمرابطة وترك الأعمال فوراً عند ما يسمعون « حي على الصلاة حي على الفلاح » وكثير من المساجد عندهم تجد الصف الأول يتم قبل الأذان وقد ازداد الطينُ بله بما حدث عندنا من المنكرات قتالة الأوقات ، مُفرقة النفوس والأبدان ، ومُشيتة القلوب ، وذلك كالتلفزيون والمذياع والفيديو والجرائد والمجلات ومخالطة المنحرفين والفاسقين والمنافقين والكافرين والمجرمين أبعدهم الله .

سير المنايا إلى أعمارنا حَبُّ
كيف النجاء وأيديها مُصممت
وهل يؤمل نيل الشمل مُلتعماً
وما إقامتنا في منزل هتفت
وآذنتنا وقد تمت عمارته
أزرت بنا هذه الدنيا فما أمل
هذا وليست سهام الموت طائشة
ونحن أغراض أنواع البلاء بها
أين الذين تناهوا في ابتائهموا
فما تيين ولا يعتاقها نصب
بذبحنا بمدى ليست لها نصب
سفر لهم كل يوم رحلة عجب
فيه بنا منذ سكنا رنعه نوب
بأنه عن قريب دائر حرب
إلا لرب المنايا عنده أرب
وهل تطيش سهام كلها نصب
قبل الممات فمرمي ومُرتقب
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا

قال ابن القيم رحمه الله كُلُّ آفَةٍ تَدْخُلُ عَلَى الْعَبْدِ فَسَبَّبَهَا ضَيَاعُ الْقَلْبِ وَفَسَادُ الْقَلْبِ يُعَوِّدُ بِضِيَاعِ حَقِّهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَنَقْصَانِ دَرَجَتِهِ وَمَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُ .

ولهذا أوصى بعضُ الشيوخ فقال احذروا مخالطةً من تُضَيِّعُ مُخَالَطَتُهُ الْوَقْتَ وَتُفْسِدُ الْقَلْبَ فَإِنَّ ضَيَاعَ الْوَقْتِ وَفَسَادَ الْقَلْبِ انْفَرَطَتْ عَلَى الْعَبْدِ أُمُورُهُ كُلُّهَا وَكَانَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِ ﴿ وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ .

ومن تأمل حالَ هذا الخلقِ وجدَّهم كُلُّهم إلا أقلَّ القليلِ ممَّنْ غَفَلَتْ قُلُوبُهُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي بِهِ نَحْيَا الْقُلُوبَ وَتَطْمِئِنُّ وَاتَّبَعُوا أَمْوَاءَهُمْ وَصَارَتْ أُمُورُهُمْ وَمَصَالِحُهُمْ فُرُطًا ، أَي فَرُطُوا فِيمَا يَنْفَعُهُمْ وَيَعَوِّدُ عَلَيْهِمْ بِمَصَالِحِهِمْ ، وَاشْتَغَلُوا بِمَا لَا يَنْفَعُهُمْ بَلْ بِمَا يُعَوِّدُ بِضَرَرِهِمْ عَاجِلًا وَآجِلًا .

وهؤلاء قد أمر الله سبحانه رسوله ألا يُطِيعَهُمْ فَطَاعَةَ الرَّسُولِ ﷺ لَا تَمَّ إِلَّا بِعَدَمِ طَاعَةِ هَؤُلَاءِ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَدْعُونَ إِلَى مَا يُشَاكِلُهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ الْهَوَى وَالْغَفْلَةِ عَن ذِكْرِ اللَّهِ .

والغفلة عن ذكر الله والدار الآخرة متى تَزَوَّجَتْ بِاتِّبَاعِ الْهَوَى تُولَدُ بَيْنَهُمَا كُلُّ شَرٍّ وَكَثِيرًا مَا يَقْتَرِنُ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ وَلَا يَفَارِقُهُ .

وَمَنْ تَأَمَّلَ فِسَادَ أَحْوَالِ الْعَالَمِ عُمُومًا وَخُصُوصًا وَجَدَهُ نَاشِئًا عَن هَادِئِينَ الْأَصْلِيِّينَ فَالْغَفْلَةُ تَحْوِلُ بَيْنَ الْعَبِيدِ وَبَيْنَ تَصَوُّرِ الْحَقِّ وَمَعْرِفَتِهِ وَالْعِلْمَ بِهِ فَيَكُونُ بِذَلِكَ مِنَ الضَّالِّينَ ، وَاتِّبَاعِ الْهَوَى يَصُدُّهُ عَن قَصْدِ الْحَقِّ وَإِرَادَتِهِ وَاتِّبَاعِهِ ، فَيَكُونُ مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ .

وأما المنعم عليهم فهم الذين منَّ الله تعالى عليهم بمعرفة الحق علما وبالانقياد إليه وإيثاره عما سواه عملاً وهؤلاء هم الذين على سبيل النجاة ومن سواهم على سبيل الهلاك .

ولهذا أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نقول كل يوم وليلة عِدَّة مرات ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ .

فإن العبد مضطر كل الاضطرار إلى أن يكون عارفا بما ينفعه في معاشه ومَعَادِهِ وأن يكون مؤثراً مريداً لما ينفعه مُجْتَنِباً لما يضرُّه فبمجموع هذين قد هدى إلى الصراط المستقيم فإن فاته معرفة ذلك سلك سبيل الضالين .

وإن فاته قَصْدُهُ واتباعه سلك سبيل المغضوب عليهم وبهذا تُعرف قدر هذا الدُعاء العَظِيم وشَدَّت الحاجة إليه وتوقف سعادة الدنيا والآخرة عليه .

وقال آخر حافظ على الأوقات فإن الوقت رأس المال ولا تضيعها بالفراغ واملأها بالإفادة أو الاستفادة أو بهما جميعا واعرف ما يذهب به ليلتك ونهارك وجَدِّد تَوْبَتَكَ في كل وقت .

وَقَسِّمْ وَقْتَكَ ثلاثة أقسام قِسِّمْ لطلب العلم وقِسِّمْ للعمل الذي تَسْتَعِينُ به على مَصَالِح دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ وقسم لحقوقِ نَفْسِكَ وما يَلْزَمُكَ واعتبر بمن مضى وتفكر في مُنْصَرَفِ الفريقيين بين يدي الله جل وعلا وتقدس فريق في الجنة وفريق في السعير .

واستحضر قرب الله منك كما في الحديث فإن لم تكن تراه فإنه يراك وأكرم الكتبة الحافظين فقد أوصى رسول الله ﷺ بالجار من الناس الذي بينك وبينه جدار وأحجار فكيف بالجار الكريم الذين قال الله فيهم ﴿ وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ﴾ وقال جل وعلا وتقدس ﴿ عن اليمين وعن الشمال قعيد ﴾ .

فرعاية جواره أحق وإكرامُ قربه أوجبُ لأنه أسبق و الصق وليس بينك وبينه جدار ولا أحجار ولا حائل ومع الأسف الشديد أن الأذية لهما لا تفتر على مر الساعات ولكن مُقل ومُكثر .

شعرا :

كُنْ لِينًا لِلجَارِ وَاحْفَظْ حَقَّهُ كَرَمًا وَلَا تَكُ لِلْمُجَاوِرِ عَقْرِيًا
وَاحْفَظْ أَمَانَتَهُ وَكُنْ عِزًّا لَهُ أبدأ وَعَمَّا سَاءَهُ فَتَجَنَّبَا

علامة صِحَّة الإرادة أن يكون هم المرید رضاء ربه واستعداده للقاءه وحُزْنه على وقت في غير مرضاة ربه وأسفه على قربه والأنس به وجماع ذلك أن يُصْبِحَ ويمسي وليس له هم غيره .

وقال : أعظم الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة إضاعة القلب وإضاعة الوقت ، وإضاعة القلب من إثارة الدنيا على الآخرة وإضاعة الوقت من طول الأمل .

فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل والصلاح كله في اتباع الهدى والاستعداد للقاء الله والله المستعان .

الناسُ منذ خُلِقُوا لم يَزَالُوا مُسَافِرِينَ وليس لهم حطٌّ عن رحالهم إلا في الجنة أو النار والعاقِلُ يَعْلَمُ أن السفر مبني على المشقة ورُكوبِ الأخطار .

ومن الحال عادة أن يُطَلَّبَ فيها نعيم ولذَّة وراحة إنما ذلك بعد انتهاء السفر ومن المعلوم أن كلَّ وطأة قدم أو كلَّ آتٍ من آتات السفر غير واقفة ولا المكلف واقف . وقد ثبت أنه مُسَافِرٌ على الحال التي يجب أن يكون المُسَافِرُ عليها من تهيئة الزاد المُوصِلِ وإذا نزل أو نام أو استراح فعلى قدم الاستعداد للسير .

قال بعض العلماء يا إخواني اجتهدوا في العمل فإن يكن الأمر كما نرجوا من رحمة الله وعفوه كانت لنا درجات في الجنة وإن يكن الأمر شديداً كما نخاف ونحاذر لم نقل ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ ﴾ نقول قد عمِلنا فلم يَنْفَعْنَا .

وقال رجلٌ لمحمد بن المنكدر الجَدُّ الجَدُّ و الحَدْرُ الحَدْرُ فإن يكن الأمر على ما ترجون كان ما قدّمتم فضلاً وإن يكن الأمر على غير ذلك لم تلوموا أنفسكم .

يَارَبِّ صَفْحَكَ يَرْجُو كُلُّ مُقْتَرِفٍ فَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ يَغْفُو وَمَنْ صَفَحَا
يَارَبِّ لَا سَبَبَ أَرْجُو الْخَلَاصَ بِهِ إِلَّا رَجَاءً وَلُطْفًا مِنْكَ إِنْ تَفَحَا
فَمَا لَجَأْتُ إِلَى رَبِّ بِمَعْضِلَةٍ إِلَّا وَجَدْتُ جَنَابَ اللَّطِيفِ مُنْقَسِحَا
وَلَا تَضَاقِقُ أَمْرٌ فَاسْتَجَرْتُ بِهِ إِلَّا تَفَرَّجَ بَابَ الضِّيقِ وَانْفَتَحَا
وقال بعضهم لبعض الفقراء مرة وقد رأى عليه أثر الجوع والضر : لِمَ لَا
تَسْأَلُ النَّاسَ لِيُعْطُوكَ ، قَالَ أَخَافُ أَنْ أَسْأَلَهُمْ فَيَمْنَعُونِي فَلَا يُفْلِحُوا ، وَقَدْ بَلَغَنِي
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ «لَوْ صَدَقَ السَّائِلُ مَا أَفْلَحَ مَنْ مَنَعَهُ» .

المراحل التي يمرُّ بها الخلق ستة :

- السَّفَرُ الْأَوَّلُ سَفَرُ السُّلَالَةِ مِنَ الطِّينِ .
- السَّفَرُ الثَّانِي سَفَرُ النُّطْفَةِ مِنَ الظَّهْرِ إِلَى الْبَطْنِ .
- السَّفَرُ الثَّلَاثُ مِنَ الْبَطْنِ إِلَى الدُّنْيَا .
- السَّفَرُ الرَّابِعُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْقُبُورِ .
- السَّفَرُ الْخَامِسُ مِنَ الْقُبُورِ إِلَى الْعَرْضِ لِلْحِسَابِ .
- السَّفَرُ السَّادِسُ مِنَ الْعَرْضِ إِلَى مَنْزِلِ الْإِقَامَةِ .

وقد قطعنا نصف السَّفَرِ نَسْأَلُ اللَّهَ الْإِعَانَةَ وَالسَّدَادَ عَلَى الْبَاقِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فصل)

اخْتَارَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ مِنْ أَرْبَعِ كُتُبٍ مِنَ التَّوْرَةِ : مَنْ رَضِيَ بِمَا أَعْطَاهُ
اللَّهُ اسْتِرَاحَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنِ الْإِنْجِيلِ : مَنْ هَدَمَ الشَّهَوَاتَ عَزَّ فِي الدُّنْيَا

والآخرة ، ومن الزبور : مَنْ تَفَرَّدَ عَنِ النَّاسِ نَجَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنِ الْفِرْقَانِ :
مَنْ حَفِظَ اللِّسَانَ سَلِمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وعن عبد الله بن المبارك قال إن رجلاً حكيمًا جمع الأحاديث فاختار منها
أربعين ألفاً ثم اختار منها أربعة آلاف ثم اختار منها أربعمئة ثم اختار منها أربعين ،
ثم اختار منها أربع كلمات إحداهن لا تثقن بامرأة على كل حال ، والثانية لا تغتر
بالمال على كل حال ، والثالثة لا تحمّل معدتك ما لا تطيقه ، والرابعة لا تجمع
من العلم ما لا ينفعك .

وروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال أربعة من ظلمة القلب ،
بطن شعبان من غير مُبالاة وصحبة الظالمين ، ونسيان الذنوب الماضية وطول
الأمل .

وأربعة من نور القلب ، «بطن جائع من حذر» أي خشية أن يكون مما لا
يجل له «وصحبة الصالحين ، وحفظ الذنوب الماضية ، وقصر الأمل .

وروى أن رجلاً خرج من بني إسرائيل إلى طلب العلم فبلغ ذلك نبيهم
فبعث إليه فقال له يا فتى ، أعظك بثلاث خصال ، فيها علم الأولين
والآخرين ، خيف الله في السر والعلانية ، وأمسك لسانك عن الخلق لا تذكرهم إلا
بخير ، وانظر خبزك الذي تأكله حتى يكون من الحلال فامتنع الفتى عن
الخروج ، كان من قبلنا يتواصون بثلاث خصال من عمل لآخرته كفاه الله أمر دينه
ودنياه ، ومن أحسن سريره أحسن الله علانيته ، ومن أصلح ما بينه وبين الله
أصلح الله ما بينه وبين الناس .

روى عن النبي ﷺ أنه خرج ذات يوم على أصحابه فقال كيف
أصبحتم ، فقالوا أصبحنا مؤمنين بالله فقال وما علامة إيمانكم ، قالوا نصبر على
البلاء ونشكر على الرخاء ونرضى بالقضاء فقال عليه الصلاة والسلام أنتم مؤمنون
حقاً ورب الكعبة .

شعرا :

قَوْمٌ هُمُومُهُمْ بِاللَّهِ قَدْ عَلِقَتْ فَمَا لَهُمْ هِمٌّ تَسْمُوا إِلَى أَحَدٍ
فَمَطْلَبُ الْقَوْمِ مَوْلَاهُمْ وَسَيِّدُهُمْ يَا حُسْنَ مَطْلَبِهِمْ لِلوَاحِدِ الصَّمَدِ
مَا إِنْ تَنَازَعَهُمْ دُنْيَا وَلَا شَرَفٌ مِنْ الْمُطَامِعِ وَاللَّذَّةِ وَالْوَلَدِ
وَلَا لِلْبِئْسِ نَفِيسٍ فَاتَتْهُ أَنْقَى وَلَا لِرُوحِ سُورٍ حَلٌّ فِي بَلَدِ
إِلَّا مُسَارَعَةً فِي نَيْلِ مَنْزِلَةٍ يَخْطِي بِهَا مُخْلِصٌ لِلوَاحِدِ الْأَحَدِ

قيل لإبراهيم بن أدهم بما وجدت الرُّهْدَ ، قال بثلاثة أشياء ، رأيتُ القبرَ
مُوحِشاً وليس معي مُؤنِسٌ ورأيتُ طريقاً طويلاً وليس معي زاد ورأيتُ الجبارَ
قاضيّاً وليس معي حُجَّةٌ .

حُصُونُ الْمُؤْمِنِينَ ثَلَاثَةٌ ، الْمَسْجِدُ حِصْنٌ ، وَذَكَرَ اللَّهُ حِصْنٌ ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ
حِصْنٌ .

وسئل ابن عباس ما خير الأيام ، فقال يوم الجمعة ، قيل وما خير الشهور
قال شهر رمضان ، قيل وما خير الأعمال ، قال الصلوات الخمس لوقتها .

وقال علي رضي الله عنه خير الأعمال ما يقبل الله منك ، وخير الشهور ما
تتوب فيه إلى الله توبة نصوحا ، وخير الأيام ما تخرج فيه من الدنيا إلى الله تعالى
مؤمناً بالله وكان رضي الله عنه يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ أَلْسِنَةِ تَصِفُ وَقُلُوبِ تَعْرِفُ وَأَعْمَالِ
تَخَالَفُ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ الطَّيِّبُ وَالنِّسَاءُ ،
وَجَعَلْتُ قَرْتَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ وَكَانَ مَعَهُ أَصْحَابُهُ جُلُوساً .

فقال أبو بكر صدقت يا رسول الله وَحُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا ثَلَاثَ النَّظَرِ إِلَى
وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ وَإِنْفَاقِ مَالِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَأَنْ تَكُونَ ابْنَتِي تَحْتَ رَسُولِ اللَّهِ .
فقال عمر صدقت يا أبا بكر وَحُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا ثَلَاثَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالثَّوْبِ الْحَلَقِ .

فقال عثمان صدقت يا عمر وحببت إلي من الدنيا ثلاث إشباع الجيعان
وكسوة العريان ، وتلاوة القرآن .

فقال علي صدقت يا عثمان وحببت إلي من الدنيا ثلاث الخدمة للضيف ،
والصوم في الصيف ، والضرب بالسيف .

فبينما هم كذلك إذ جاء جبرئيل وقال أرسلني الله تبارك وتعالى لما سمع
مقاتلكم وأمرك أن تسألني عما أحب إن كنت من أهل الدنيا فقال إرشاد
الضالين ، وموانسة الغرباء القانتين ، ومعاونة أهل العيال المعسرين .

وقال جبرئيل رب العزة جل جلاله يحب من عباده ثلاث خصال ، بذل
الاستطاعة والبكاء عند الندامة ، والصبر عند الفاقة .

وعن علي أن أصعب الأعمال أربع خصال العفو عند الغضب والجود في
السيرة ، والعفة في الخلوة ، وقول الحق لمن يخافه ، أو يرجوه .

وفي الزبور أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام أن العاقل الحكيم لا يخلو
من أربع ساعات ، ساعة فيها يناجي ربه ، وساعة فيها يحاسب نفسه ، وساعة
يمشي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ، وساعة يحلّي بين نفسه وبين لذاتها
الحلال .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال لأبي ذر الغفاري «يا أبا ذر جدد
السفينة فإن البحر عميق ، وخذ الزاد كاملاً فإن السفر بعيد ، وخفف الحمل
فإن العقبة كئود ، وأخلص العمل فإن الناقد بصير . شعراً :

وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَةٌ وَلَمْ تَدْرِ فِي أَيِّ الْمَكَاتِينِ تَنْزِلُ
آخِرُ : أَمَامَكَ يَا نَوْمَانُ دَارُ سَعَادَةٍ يَطُولُ الثَّوَى فِيهَا وَذَارُ شَقَاءِ
خُلِقْتَ لِأَحَدِي الْغَايَتَيْنِ فَلَا تَنَمِ وَكُنْ بَيْنَ خَوْفٍ مِنْهَا وَرَجَاءِ
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه عليكم بخصص كلمات لا يرجون

أحدكم إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه ولا يستحي إذا لم يعلم شيئا أن يتعلمه ولا يستحي إذا سئل عما لم يعلم أن يقول الله أعلم وعليكم بالصبر فإنه من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد .

إعلم أنه يُقدّم الأهم فالأهم أمر الدين فليقدمه على أمر الدنيا والمقدم من أمر الدين صحة العقيدة بتوحيد الله وتحميده وتنزيهه وتقديسه واعتقاده انفراده واختصاصه بصفات الكمال .

وتجرده عن النقايس والعيوب كلها المتصلات والمنفصلات وتنزيهه عنها وأنه ليس كمثل شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وأنه له الأسماء الحسنى والصفات العُلا والكمال المطلق من كل الوجوه .

وعن بعض الحكماء ، أربعة حسنٌ ولكن أربعة أحسنٌ منها الحياء من الرجال حسنٌ ولكنه من النساء أحسن ، والعدل من كل أحد حسن ولكنه من القضاة والأمرأ أحسن .

والتوبة من الشيخ حسنٌ ولكنها من الشاب أحسن ، والجود من الأغنياء حسنٌ ولكنه من الفقير أحسن .

وعند أحد الحكماء أربعة قبيح ، لكن أربعة منها أقبح ، الذنب من الشاب قبيح ، وهو من الشيخ أقبح ، والاشتغال بالدنيا من الجاهل قبيح .
ومن العالم أقبح ، والتكاسل في الطاعة من جميع الناس قبيح ومن العلماء وطلبة العلم أقبح ، والتكبر من الأغنياء قبيح ومن العلماء أقبح .

وعن علي رضي الله عنه من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ، ومن تيقن الموت انهدمت عليه اللذات ، ومن عرف الدنيا هانت عليه المصيبات .
ومن أشفق من النار انتهى عن الشهوات .

وقال عمر رضي الله عنه الهوى بحر الذنوب ، والنفس بحر

الشهوات ، والموتُ بحرُ الأعمار ، والقبر بحر الندامات .

نُرَاعُ إِذَا الْجَنَائِزُ قَابَلَتْنَا وَنَسْكُنُ حِينَ تَحْفَى ذَاهِبَاتِ
كَرْوَعَةِ نُؤْلَةٍ لِظُهُورِ ذَنْبٍ فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتِ

وعن عثمان رضي الله عنه : وجدتُ حلاوة العبادة في أربعة أشياء أولها
في أداء فرائض الله ، والثاني في اجتناب محارم الله ، والثالث في الأمر بالمعروف
ابتغاءً ثواب الله ، والرابع في النهي عن المنكر إتقاءً غضب الله .

وقال أيضاً أربعة ظاهرهن فضيلة وباطنهن فريضة ، مخالطة الصالحين فضيلة
والاقتداء بهم فريضة ، وتلاوة القرآن فضيلة والعمل به فريضة ، وزيارة القبور فضيلة
والاستعداد للموت فريضة ، وعبادة المريض فضيلة واتخاذ الوصية منه فريضة .

وعن علي رضي الله عنه لا يزال الدُّيْنُ والدنيا قائِمَيْنِ مادام أربعة أشياء ،
مادام الأغنياء لا يَبْخُلُونَ بما خُوِّلُوا ، ومادام العلماء يعملون بما عَلِّمُوا ، ومادام
الجهلاء لا يستكبرون عما لم يعلموا ، ومادام الفقراء لا يبيعون آخِرَتَهُمْ
بُدُنِيَاهُمْ .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه الظلمات خمس والسراج لها
خمس ، حُبُّ الدنيا ظلمة والسراج له التقوى والذنب ظلمة والسراج له التوبة
والقبر ظلمة والسراج لها لا إله إلا الله محمد رسول الله ، والآخرة ظلمة
والسراج لها العملُ الصالح ، والصراط ظلمة والسراج له اليقين .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما خَمْسٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ سَعَدٌ
في الدنيا والآخرة ، أولها أن يذكر لا إله إلا الله محمداً رسول الله وقتاً بعد وقت .
وإذا ابتلى ببليّة قال إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم ، وإذا أعطي نعمة قال الحمد لله رب العالمين شكراً للنعمة .

وإذا ابتدأ في شيء قال بسم الله الرحمن الرحيم .

وإذا أفرط منه ذنبا قال استغفر الله العظيم وأتوب إليه .

وعن سفیان الثوري أنه قال اختار الفقراء خمساً واختار الاغنياء خمساً ،
اختار الفقراء راحة النفس ، وفراغ القلب ، وعبودية الرب ، وخفة الحساب ،
والدرجة العليا ،

واختار الأغنياء تَعَبَ النفس وشُغْلَ القلب وِعُبُودِيَّةَ الدنيا وشِدَّةَ الحساب
والدرجة السفلى .

وقال بعضهم العَجَلَةَ تَحْسُنُ في تجهيز الميت ، وتزويج البنت إذا
بلغت ، وقطف الثمرة إذا استوت ، وقضاء الدين إذا وجب ، والتوبة من الذنب
إذا فرط ، وإطعام الضيف إذا نزل .

وقال عثمان رضي الله عنه إن المؤمن في ستة أنواع من الخوف ، أحدها من
قبل الله تعالى أن يأخذ منه الإيمان ، والثاني من قبل الحفظة أن يكتبوا عليه ما
يفتضح به يوم القيامة .

والثالث من قبل الشيطان أن يبطل عمله ، والرابع من قبل ملك الموت أن
يأخذه في غفلة بغتة ، والخامس من قبل الدنيا أن يغتر بها وتُشغله عن الآخرة ،
والسادس من قبل الأهل والعيال أن يشتغل بهم فيشغلونه عن ذكر الله تعالى .
وقال أيضا أضيع الأشياء عشرة عالم لا يُسأل عنه ، وعِلْمٌ لا يُعْمَلُ به ،
ورأي صواب لا يُقْبَلُ ، وسلاح لا يُسْتَعْمَلُ ومسجد لا يُصَلِّي فيه ، ومُصْحَفٌ
لا يُقْرَأُ فيه ، ومال لا يَنْفَقُ منه ، وخيَلٌ لا تُرْكَبُ ، وعِلْمُ الزُّهْدِ في بطنٍ من يُرِيدُ
الدنيا ، وعُمُرٌ طويل لا يَتَزَوَّدُ صَاحِبُهُ فيه لِسَفَرِهِ .

وقال ابراهيم بن أدهم حين سألوه عن قول الله تعالى ﴿ اذْعُونِي اَسْتَجِبْ
لَكُمْ ﴾ وإنا ندعوه فلم يستجب لنا فقال ما تَتَّ قلوبكم من عشرة أشياء ، أولها
أنكم عرفتم الله ولم تؤدوه حقه ، وقرأتم كتاب الله ولم تعملوا به ، وادعيتم عداوة
إبليس وواليتموه .

وَادْعَيْتُمْ حُبَّ الرَّسُولِ ﷺ وَتَرَكْتُمْ أَثْرَهُ وَسُنَّتَهُ ، وَادْعَيْتُمْ حُبَّ الْجَنَّةِ وَلَمْ تَعْمَلُوا لَهَا ، وَادْعَيْتُمْ خَوْفَ النَّارِ وَلَمْ تَنْتَهُوا عَنِ الذُّنُوبِ ، وَادْعَيْتُمْ أَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ وَلَمْ تَسْتَعِدُّوا لَهُ ، وَاشْتَعَلْتُمْ بَعُيُوبَ غَيْرِكُمْ وَتَرَكْتُمْ عُيُوبَ أَنْفُسِكُمْ وَتَأْكُلُونَ رِزْقَ اللَّهِ وَلَا تَشْكُرُونَهُ . إِنَّهُيَ بِتَصْرِفِ يَسِيرٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(موعظة)

قال بعضهم : يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغفروا بالأمل ونسيان الأجل ولا تركنوا إلى الدنيا فإنها غدارة خداعة ، قد تزخرفت لكم بغرورها ، وفتنتكم بأمانيتها ، وتزيئت لخطأها فأصبحت كالعروس المجلية ، العيون إليها ناظرة ، والقلوب عليها عاكفة ، والنفوس لها عاشقة ، فكم من عاشق لها قتلت .

ولو كانت الدنيا من الإنس لم تكن سوى موسى أفنت بما ساء عمرها آخر: ولو كانت الدنيا عروساً وجدتها بما قتلت أولادها لا تزوجنكم مطمئن إليها خذلت فانظر إليها بعين الحقيقة فإنها دارٌ كثيرٌ بوائقها وذمها خالقها دارٌ نقاد لا دارٌ إخلاد ودارٌ عبور لا دارٌ حُبور ودارٌ فناء لا بقاء ودارٌ انصرام لا دارٌ دوام جديدها يبلى ومملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل ودُّها يموت وخيرها يفوت .

وقد تطابق على ما ذكر دلالات قواطع النقول وصحاح العقول والطعام وقضى به الجس والعيان حتى لم يقبل لوضوحه إلى زيادة في العرفان .
وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل
ولما كانت الدنيا بهاذِهِ الحال التي ذكرت العظة التي تقدمت جاء في القرآن الكريم من التحذير عن الاغترار بها والركون إليها والاعتماد عليها ما هو أعرف من أن يذكر وأشهر من أن يُشهر .

وكذلك جاءت الأحاديث النبوية والآثار الحكيمة فلهذا كان الأيقاظ من أهلها هم العلماء العقلاء الزهاد .

العاملون بعلمهم الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم لم يركنوا إلى الدنيا بل اتخذوها مَطِيَّةً إلى الآخرة .

لا علماء الألسن الذين يلبسون للناس جلود الظان من اللين وقلوبهم قلوب الذئاب الذين يتخللون بألسنتهم كما تتخلل البقرة بلسانها . قال بعضهم وأجاد في وصف الدنيا .

ألا إنما الدنيا كحيفة ميته وطلابها مثل الكلاب الهوامس وأعظمهم ذماً لها وأشدهم بها شغفا قوم طوال القلائس

وختاماً فاستيقظوا رجمكم الله من غفلتكم وانتهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان مريض أو مُدْنِفٌ ثقيل فهل من دليل يدل على الدواء لهذا العليل أو هل إلى الطبيب من سبيل .

فتنقل إلى المستشفى وتُدعى لك الأطباء ولا يرجي لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى ولما له أوصى ثم يقال قد ثقل لسانه وما يقدر على أن يكلم إخوانه .

وها هو في سكرات الموت لا يعرف من عنده من أولاده وإخوانه وجيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتنازع أنينك وثبت يقينك وارتفعت جفونك وصدق ظنونك .

وتلجج وتحير لسانك وبكى أولادك وإخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا أخوك فلان وهذه أمك وهذا أبوك وبصرك شاخص وعيونك غرق من الدمع ولا تقدر على الكلام .

فَتَصَوِّرْ نَفْسَكَ يَا مِسْكِينَ وَأَنْتَ مُلْقَى عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي خُلِقْتَ مِنْهَا جُثَّةً
تَتَصَاعَدُ رُوحَكَ وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِكَ يَبْكُونَ وَلَكِنْ دُونَ جَلْوَى لِأَنَّ قَضَاءَ اللَّهِ وَقَدْرَهُ
لَا بُدَّ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ .

ثُمَّ حُتِمَ عَلَى لِسَانِكَ فَلَا يَنْطِقُ ثُمَّ حَلَّ بِكَ الْقَضَاءُ وَانْتَرَعْتَ نَفْسَكَ مِنَ
الْأَعْضَاءِ ثُمَّ عُرِجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَاجْتَمَعَ عِنْدَ ذَلِكَ أَوْلَادُكَ وَإِخْوَانُكَ وَأَحْضِرْتُ
أَكْفَانُكَ وَجِيءَ بِالنُّعْشِ وَالْمُعْسَلِ .

فَجَرَّدَكَ مِنَ الثِّيَابِ وَغَسَّلَكَ وَجِيءَ بِالْكَفْنِ فَكَفَّنُوكَ وَخَطُّوكَ فَانْقَطَعَ
عَوَاذُكَ وَاسْتَرَاحَ حُسَادُكَ وَانصَرَفَ أَهْلُكَ إِلَى مَالِكٍ وَبَقِيَتْ مُرْتَهَبًا بِأَعْمَالِكَ فِيهَا
مِنْ رَحَلَةٍ وَبِأَلِهِ مِنْ قُلُومٍ .

نَصِيْبِكَ مِمَّا تَجْمَعُ الدُّهْرَ كُلَّهُ رِدَاآنَ تُلَوَى فِيهِمَا وَخُنُوظَ
آخِرٍ : تَجَرَّدَ مِنَ الدُّنْيَا فَأَنْتَ إِثْمًا خَرَجْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُجَرَّدٌ
آخِرٍ : فَمَا تَزُوْدُ مِمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ سَوَى خُنُوظِ غَدَاةِ الْبَيْنِ فِي خِرْقٍ
وغيرِ نَفْحَةِ أَعْوَادٍ تُشَبُّ لَهُ وَقَلَّ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لِمُنْطَلِقِ
اللَّهِمْ وَفَقْنَا لِلْإِسْتِعْدَادِ لِمَا أَمَانَا وَاهْدَنَا سَبِيلَ الرِّشَادِ وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ لِيَوْمِ
الْمَعَادِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فصل)

اعلم أنَّ المقصودَ بالصلاة إنما هو تعظيمُ المعبودِ وهو الله جل جلاله ،
وتعظيمه لا يكون إلا بحضور قلب .
وقد كان السلف رحمهم الله فيهم من يتغيَّرُ لونه إذا حضرت الصلاة ويقول
أترونَ بينَ يدي من أريدُ أن أقف .

فَإِذَا أَرَدْتَ اسْتِجْلَابَ حُضُورِ قَلْبِكَ الْغَائِبِ فِي أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا فَفَرِّغْهُ مِنَ الشَّوَاغِلِ كُلِّهَا مَهْمَا اسْتَطَعْتَ .

وَعَلِمَ أَنَّ إِضَاعَتَهَا أَعْظَمَ مِنْ إِضَاعَةِ خَزَائِنِ الْأَمْوَالِ وَالضَّيْعَاتِ وَجَمِيعِ أَمْتَعَةِ الدُّنْيَا ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ :

(وَكُلُّ كَسْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِيهِ وَمَا لِكَسْرِ قِنَاةِ الْإِيمَانِ جُبْرَانُ)

وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ أَرْبَابُ التَّفَكُّرِ يُشَاهِدُونَ فِي كُلِّ شَيْءٍ عِبْرَةً فَيَذْكُرُونَ بِالْأَذَانِ نِدَاءَ الْعَرْضِ عَلَى الْجَبَّارِ ، وَبَطْهَارَةَ الْبَدَنِ تَطْهِيرَ الْقَلْبِ مِنَ الْكِبْرِ وَالْحَسَدِ وَالغِلِّ وَالْحَقْدِ وَ الرِيَاءِ وَالظَّنِّ السَّيِّئِ .

وَيَذْكُرُونَ بِسُتْرِ الْعَوْرَةِ سِتْرَ الْقَبَائِحِ مِنْ عُيُوبِ الْبَاطِنِ مِمَّا تَقْدَمُ وَنَحْوَهُ وَبِاسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ صَرْفَ الْقَلْبِ إِلَى مُقَلَّبِ الْقُلُوبِ ، فَمَنْ لَمْ تَكُنْ صَلَاتُهُ كَذَلِكَ فَهُوَ غَافِلٌ .

وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي الْإِعْتِنَاءَ بِالصَّلَاةِ لِأَنَّهَا الصَّلَاةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ فَيَقْدَمُ الْقِبْلُولَةُ لِيَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى الْإِسْتِعْدَادِ لِلصَّلَاةِ وَإِنْ كَانَ لَهُ قِيَامٌ فِي اللَّيْلِ أَوْ سَهْرٌ فِي أَعْمَالِ الْخَيْرِ فَإِنَّ فِيهَا مَعُونَةً عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ .

وَيَحْرَصُ عَلَى أَنْ يَسْتَيْقِظَ قَبْلَ دُخُولِ وَقْتِ صَلَاةِ الظُّهْرِ وَيَتَوَضَّأُ وَيَحْضُرُ لِلْمَسْجِدِ وَيُصَلِّي تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ وَيَنْتَظِرُ الْمُؤَذِّنَ فَيَجِيبُهُ ثُمَّ يَصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بِتَسْلِيمَتَيْنِ الرَّوَاتِبِ الَّتِي قَبْلَ الصَّلَاةِ .

ثُمَّ يُصَلِّي الْفَرَضَ مَعَ الْإِمَامِ ثُمَّ يُصَلِّي بَعْدَ الْفَرِيضَةِ رَكَعَتَيْنِ فَهَذَا مِنَ الرَّوَاتِبِ لِثَابِتَةٍ .

وَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَشْتَغَلَ إِلَى الْعَصْرِ إِلَّا بِتَعْلِيمِ عِلْمٍ أَوْ إِعَانَةِ مُسْلِمٍ أَوْ قِرَاءَةِ قُرْآنٍ أَوْ مُطَالَعَةٍ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ تَفْسِيرٍ أَوْ تَوْحِيدٍ أَوْ حَدِيثٍ أَوْ فِقْهِ أَوْ سَعْيٍ فِي مَعَاشٍ يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى دِينِهِ .

ثم يصلي أربع ركعات قبل العصر وهي سنة مؤكدة فقد قال صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأً صلى قبل العصر أربعاً » فاجتهد واحرص أن يتالك دُعَاؤُهُ ﷺ .

ولا تشتغل بعد صلاة العصر إلا بمثل ما سبق من قراءة قرآن أو تعليم علم نافع وهو ما جاء عن النبي ﷺ أو سعي فيما تستعين به على دينك .
ولا ينبغي أن تكون أوقاتك مُهْمَلَةً بل احرص كل الحرص على أن تكون مَمْلُوءَةً بالأعمال الصالحة وحاسب نفسك ورتب أعمالك وأوزادك في ليلك ونهارك .

وعين لكل وقت شغلاً لا تتعداه ولا تؤثر فيه سواه مما تقدم ذكره من أعمال الآخرة فبذلك تظهر بركة أوقاتك وتصون عمرك من الضياع .

وإما إذا أهملت نفسك سدى إهمال البهائم لا تدري بماذا تشتغل كل وقت فينقضي أكثر أوقاتك ضائعا وأوقات عمرك هي رأس مالك ولقد أجاد القائل شعرا :

إذا كنت أعلمَ علماً يقيناً بأن حياتي تكون كساعة
فلم لا أكون بها ظنينا واجعلها في صلاح وطاعة
آخر :

إذا كان رأس المال عمرك فاحترز عليه من الإنفاق في غير واجب
وعليه تجارتك وبه وصولك إلى نعيم دار الأبد في جوار الله تعالى فكل نفس
من أنفسك جوهرة لا قيمة لها لأن نفسك لا بدل لها فإذا فات فلا يعود أبدا .

ولكن لا ينتبه لهذا إلا من وفقه الله ليحفظ عمره عن الضياع فلا تكن
كالحمقى الجهلة المغرورين الذين تذهب أعمارهم فرطاً الذين يفرحون كل يوم
بزيادة أموالهم مع نقصان أعمارهم .

فأُيِّ خَيْرٍ فِي مَالٍ يَزِيدُ وَعُمُرٌ يَنْقُصُ فِي غَيْرِ طَاعَةٍ فَلَا تَفْرَحْ إِلَّا بِزِيَادَةِ عِلْمٍ
أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ
الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًا ﴾ .

فَإِنَّهُمَا رَفِيقَاكَ يَصْحَبَانِكَ فِي الْقَبْرِ حَيْثُ يَتَخَلَّفُ عَنْكَ أَهْلُكَ وَمَالُكَ
وَوَلَدُكَ وَأَقَارِبُكَ وَأَصْدِقَاؤُكَ ثُمَّ إِذَا بَقِيَ عَلَى الْغُرُوبِ مَقْدَارُ نِصْفِ سَاعَةٍ أَوْ ثَلَاثٍ أَوْ
رُبْعٍ تَقَدَّمْ إِلَى الْمَسْجِدِ وَاشْتَغَلْ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّاسْتِغْفَارِ .

قَالَ جَلَّ وَعَلَا ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾
وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾
وَاحْرَصْ عَلَى أَنْ تَغْرُبَ وَأَنْتَ تَلْهَجُ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّاسْتِغْفَارِ .

وَإِذَا سَمِعْتَ الْمُؤَذِّنَ فَاجِبُهُ وَقُلْ بَعْدَهُ : اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ
وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَالدرَجَةَ الرَّفِيعَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا
الَّذِي وَعَدْتَهُ .

(فَصْل)

ثُمَّ إِذَا أَقَامَ الصَّلَاةَ قُمْ عِنْدَ قَوْلِهِ قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ ثُمَّ صَلِّ الْفَرَضَ مَعَ الْإِمَامِ
وَصَلِّ بَعْدَهُ رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا رَاتِبَةُ الْمَغْرَبِ .

وَإِنْ أَحْيَيْتَ مَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ بِصَلَاةٍ فَحَسَنٌ فَقَدْ وَرَدَ أَنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ
مَا بَيْنَ الْمَغْرَبِ وَالْعِشَاءِ لِأَنَّ مَعْنَى نَشَأَ ابْتَدَأَ .

وَكَانَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَصَلِّي بَيْنَ الْمَغْرَبِ
وَالْعِشَاءِ وَيَقُولُ هَذِهِ نَاشِئَةُ اللَّيْلِ وَقَالَ عَطَاءٌ وَعَكْرَمَةُ هِيَ بَدَأُ اللَّيْلِ .

وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ إِنَّهُ التَّنْفُلُ مَا بَيْنَ
الْمَغْرَبِ وَالْعِشَاءِ قَالَهُ قَتَادَةُ وَعَكْرَمَةُ .

فإذا دَخَلَ وقت صلاة العِشاء فصلَّها مَعَ الإمام وصلَّ بعدها الراتبة ركعتين .

ثم ركعتين تقرأ في الأولى ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ وفي الثانية ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ ثم أوتر وقرأ بعد الفاتحة سورة الإخلاص ﴿قل هو الله أحد﴾ فإن كُنْتَ مِمَّن يَقُومُ وَيُصَلِّي بالليل فأخِّر الوترَ ليكونَ آخِرُ صَلَاتِكَ بالليل وُتْرًا .
ثم اشتغل بعد ذلك بقراءة القرآن أو مطالعة في كتب توحيد أو تفسير أو فقه أو تجويد أو أصول تفسير أو أصول فقه أو قواعد .

واحذر أن تشتغل بعلوم تعود عليك بالضرر أو تجلس عندما يُلْهِي فيكون ذلك خاتمة أعمالك قبل نومك فإن الأعمال بخواتيمها وربما قبضت رُوحَكَ .
وإذا أردت النوم فانفض الفراش وابسطه مُستقبِل القبلة ونم على يمينك على هيئة وضع الميت في القبر .

واعلم أن النوم أخو الموت مثله واليقظة مثل البعث ولعل الله تعالى يقبض رُوحَكَ في ليلتك فكن مُستعداً لِقَائِهِ وإن حَصَلَ أن تكونَ على طهارةٍ وَوَصِيَّتِكَ مكتوبة عند رأسِكَ فافضل .

وتنام تائباً توبةً نصوحاً من الذنوب تلهج بالاستغفار عازماً جازماً على أن لا تعود إلى معصية واعزم على الخير ومحبة لجميع المسلمين إن بعثك الله تعالى .
وتذكّر عند اضطجاعِكَ في فراشِكَ أنك ستُضجَعُ في اللحد كذلك وحيداً فريداً ليس معكَ إلا عملك ولا تُجزى إلا بسعيك ولا تستجلب النوم تكلفاً بتمهيد الفراش الوطيئة فإن النوم تعطيل الحياة إلا إن كانت يقظتك وبالأعلى عليك فنومك بلا شك أحسن لأنه سلامة لدينك .

واعلم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فلا يكن نومك بالليل والنهار أكثر من

ثمان ساعات فيكفيك إن عشت ستين سنة مثلاً أن تُضيع منها الثلث وهو
عشرون سنة .

وأعدّ عند النوم سواكك وطهورك واثو العزم على قيام الليل إن الله أحيك
وركعتان في جوف الليل كنز من كنوز البر فاستكثر من كنوزك ليوم فقرك .
فلن تغني عنك كنوز الدنيا إذا مت فالرصيد الصحيح الباقي النافع
رصيد الآخرة ، الباقيات الصالحات .

وقل عند النوم باسمك ربي وضعت جنبي وباسمك أرفعه فاغفر لي اللهم
قني عذابك يوم تبعث عبادك اللهم باسمك أحيا وأموت .
أعوذ بك اللهم من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها
إن ربي على صراط مستقيم اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس
بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء .
اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفاها لك مماتها ومحياها إن أمتها فاغفر
لها وإن أحييتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين اللهم إني أسألك العفو
والعافية .

اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك واستعملني في أحب الأعمال
إليك .

ثم اقرأ آية الكرسي .

وآخر سورة البقرة «آمن الرسول» إلى آخر السورة .

واقرا سورة الإخلاص .

والمعوذتين .

وسورة تبارك .

والواقعة .

واحرص كل الحرص أن يأخذك النوم وأنت تلهج بذكر الله وعلى طهارة
فكم من إنسان انتهت حياته بعد ما نام وجدوه قد مات .

فإذا استيقظت فداوم على هذا الترتيب بقية عمرك فإن شئت عليك
المداومة فاصبر صبر المريض على ألم العلاج ومرارة الدواء انتظاراً للشفاء .

وتفكر في قصر عمرك وإن عشت مائة سنة أو أزيد فهي قصيرة بالاضافة إلى
مقامك في الدار الآخرة وهي أبد الآباد .

وتصور تحملك للمشقة والهوان والذل في طلب متاع الحياة الدنيا أشهر
أو سنين رجاء أن تستريح بقية عمرك فكيف لا تتحمل أياماً قلائل رجاء
الاستراحة الأبدية .

ولا تطول أملك فينقل عليك عملك وقد قرب الموت في كل ساعة وقل
لنفسك إني أحمل المشقة اليوم فلعلي أموت بالليل وأصبر الليلة فلعلي أموت
غدا .

فإن الموت لا يهجم في وقت مخصوص أو حال مخصوص أو سن مخصوص
ولا بُد من هجومه فالاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا .

وأنت تعلم أنك لا تبقى في الدنيا إلا مدة قليلة ولعله لم يبق من أجلك إلا
يوم واحد أو نفس واحد لا سيما في زمننا الذي كثرت فيه الحوادث بأسباب
السيارات والقزوز والطائرات ونحو ذلك

وكم من إنسان خرج من عند أهله صحيحاً ولم يشعر أهله بعد قليل إلا
وخر موته يفجوهم فقدّر هذا في قلبك كل يوم لعله يدفعك إلى الاستعداد
للموت .

وكلف نفسك الصبر على الطاعة يوماً يوماً فإنك لو قدّرت بقاءك خمسين
سنةً وألزمت نفسك الصبر على طاعة الله تعالى نفرت نفسك واستصعبت عليك
وربما استعصت عليك .

وتصوّر سرورك وفرحك عند الموت إن فعلت ما تقدم وإن سوفت
وتساهلت جاء الموت في وقت لا تحتسبه وتدتم وتحسرت تحسراً لا آخر له وعند
الصباح يحمد القوم السرى وعند الموت يأتيك الخبر اليقين . انتهى قال الناظم :

خذوا أهبةً في الزادِ فالموتُ كائنٌ
وما داركم هذي بدارِ إقامةٍ
أما جاءكم من ربكم وتزودوا
وما هذه الأيامُ إلا مراحِلُ
ومن سارَ نحو الدارِ ستينَ حِجَّةً
وما الناسُ إلا مثل سَفَرٍ تتابعوا
وفي السُّقْمِ والآفاتِ أعظمَ حكمةٍ
يُنَادِي لِسَانَ الْحَالِ جُدُّوا لِتَرْحَلُوا
أَتَاكَ نَذِيرُ الشَّيْبِ وَالسُّقْمِ مُخْبِراً
ومن كانَ عِزْرَائِيلَ كَافِلَ رُوحِهِ
ومن رُوحُهُ فِي الْجِسْمِ مِنْهُ وَدِيعَةٌ
فما حقُّ ذِي لُبٍ يَبِيْتُ بَلِيلَةَ
فبادر هُجُومَ الْمَوْتِ فِي كَسْبِ مَا بِهِ
وَنَفْسِكَ فَاجْعَلْهَا وَصِيكَ مُكْتَبِراً
وَمَثَلُ وُرُودِ الْقَبْرِ مَهْمَا رَأَيْتَهُ
فَمَا نَفَعَ الْإِنْسَانَ مِثْلَ اكْتِسَابِهِ

اللهم ارحم ذلنا يوم الأشهاد وأمن خوفنا من فزع المعاد ووقفنا لما تُنجينا
به من الأعمال في ظلم الإلحاد ولا نخزننا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد واغفر
لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(موعظة)

قال الله جل ذكره ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال جل وعلا ﴿فَذَكَرْ إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى﴾ وقال عزّ من قائل ﴿فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مِنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ .

وقال تعالى ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ وقال جل وعلا ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ وقال جل وعلا وتقدس ﴿يَعْظُمُكَ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾ .

وكان النبي ﷺ يَتَخَوَّلُ أَصْحَابَهُ بِالْمَوْعِظَةِ فَالْوَعِظُ وَالتَّذْكِيرُ فَرِيضَتَانِ وَاجِبَتَانِ مَاضِيَتَانِ عَلَى أَهْلَهُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ .
وقد أمر الله الْمُؤَعَّظِينَ بِالِاسْتِمَاعِ وَالِإِصْغَاءِ لِلْمَوْعِظَةِ لِمَا فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ الْعَظِيمَةِ .

فعلى كل إنسان مهما جل قدره وعظم خطره أن يحرص ويجتهد على استماع الموعظة وقبول النصيحة لأنه إذا فعل ذلك فاز بقسطه الأوفر وحظه الأجل واستحق من الله البشري في العاجل والثواب في الآجل ومن عُقِلَاءِ خَلْقِهِ الشَّاءِ الْحَسَنَ وَالْمَدْحَ وَالْإِكْرَامَ وَالِدَعَاءَ .

فإنَّ الله جل ذكره يقول ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ ثم قال ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ .

وقد شبه الله الكفرة المعرضين عن القرآن الذي هو مشتمل على التذكرة الكبرى والموعظة العظمى بِالْحُمْرِ قَالَ تَعَالَى ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ فليحذر المسلم أن يتشبه بهم ويُعْرِضَ عَنِ الْمَوْعِظَةِ .

وقد جعل الله جل ذكره الْحَيْرَ فِي الْإِعْتِبَارِ وَالِإِعْتِبَارِ بِالتَّفَكِيرِ وَحَثَّ عَلَيْهِ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ قَالَ تَعَالَى ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ وَقَالَ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ .

وقال جلا وعلا ﴿ أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى ﴾ وقال جل وعلا وتقدس ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ .

وقال عز من قائل ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار ﴾ وقال جل وعلا ﴿ إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ .

فمن قريب ما يجب أن يُفكر فيه اللبيب ويتدبره أن يتذكر أحوال الأمم والقرون الماضية والملوك الأولين الذين كانوا من أشد خلق الله قوة وأكثر جمعا وأبين آثاراً وأطول أعماراً الذين بنوا المدائن وجمعوا الخزائن وحفروا الأنهار وعمروا الديار وشيدوا القصور .

ودبروا الأمور وجمعوا الجُموع وقادوا الجيوش وساقوا الخيول ودوخوا البلاد وأذلوا العباد ومشوا في الأرض مَرَحاً واختالوا بما أوتوا فرحاً فأخذهم الله بما كانوا يكسبون .

فأصبحوا بعد العز والمنعة والملك والرفعة والصيت والسطوة والذكر والصولة عظاماً رميماتاً ورفاتاً هشيماتاً وأصبحت منازلهم خاوية وقصورهم خالية وأجسادهم بالية وأصواتهم هادئة .

تُخريك آثارهم مُعابنة وتقرع سمعك أخبارهم مجاهرة فلم يصحبه من الدنيا ما جمَعوا ولم يدفع عنهم الردى ما كسبوا ولعلهم ندموا حيث لم تنفعهم الندامة وتلهفوا حيث لا يغني عنهم التلهف شيئاً .

وإن الباقي عمًا قليل كالفاني والغابر عمًا قليل كالماضي وما بينهما إلا أنفاس معلومة وأيام معدودة سريعة الانقضاء قريبة الانتهاء .

فليحذر المغتر بملكه والمتمتع بعزه هذه الصرعة وليستعد لهذه الوجبة وليتته لهذه الموعدة فإن الله جعلها في أوائل مواعظه .

وكررها في مواضع من كتابه حيث جل وعلا وتقدس يقول ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وآثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ .

وقال تعالى ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ .

وقال جل وعلا وتقدس ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾ .

وعد جل وعلا كثيراً منهم في كتابه ووصفهم وسماهم في خطابه حيث يقول ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك بالمرصاد﴾ .

وقال ﴿وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً﴾ هذا خبر أصدق القائلين وهذا قول حق وقد جعل الله بكل ما شوهد في أيامه وعوين في زمانه ممن رُفِعوا ثم وُضِعوا وعلوا ثم صرَعوا ودارت عليهم الدوائر ونابتهم النوائب ما في بعضه مَقْنَعٌ لمُعتَبِرٍ وِبلاغٌ للمذكر .

قالوا وأشرف أبو الدرداء صاحب رسول الله ﷺ على أهل حمص فقال يا أهل حمص أتبنون ما لا تسكنون وتأملون ما لا تدركون وتجمعون ما لا تأكلون . إن من كان قبلكم بنواً شديداً وأملوا بعيداً وجمَعوا كثيراً فأصبحت اليوم مساكنهم قبوراً وأملهم غروراً وجمعهم بورا .

وقد قال أحد فصحاء الملوك في خطبته : ألم تروا مصارع من كان قبلكم

كيف استدرجتهم الدنيا بزخارفها وفتنهم ثم تركتهم وقد تحلّت عنهم فهم في حيرة وظلمة مُدلهمّة تركوا الأهلين والأولاد والعيال والأموال .

مَسَاكِنُهُمُ الْقُبُورُ وَقَدْ خَلَّتْ مِنْهُمْ الدُّورُ وَتَقَطَّعَتْ مِنْهُمْ الْأَوْصَالُ
وَالصُّدُورُ وَصَارُوا تَرَاباً بَالِياً وَكَانَ اللَّهُ لَهُمْ نَاهِياً قَالَ تَعَالَى ﴿فَلَا تَفْرَنكُمْ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَنَكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو
حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ .

شعرا :

نَبِكِي عَلَى الدُّنْيَا وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ
أَيْنَ الْأَكْسِيرَةِ الْجَبَابِرَةِ الْأُولَى
مِنْ كُلِّ مَنْ ضَاقَ الْفِضَاءُ بِجَيْشِهِ
خُرْسٌ إِذَا نُودُوا كَأَنْ لَمْ يَفْهَمُوا
فَالْمَوْتُ آتٍ وَالنَّفُوسُ نَفَائِسٌ
وَالْمُسْتَفْرُ بِمَا لَدَيْهِ الْأَحْمَقُ
جَمَعَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا
كَتَبُوا الْكِنُوزَ فَمَا بَقِيْنَ وَلَا بَقُوا
حَتَّى تَوَى فِجْوَاهُ لَخَدِّ ضَيْقٍ
أَنَّ الْكَلَامَ لَهُمْ حَلَالٌ مُطْلَقٌ
وَالْمُسْتَفْرُ بِمَا لَدَيْهِ الْأَحْمَقُ

آخر :

أَجْدُكَ مَا الدُّنْيَا وَمَاذَا نَعِيمُهَا
لَعَمْرِي لَقَدْ شَاهَدْتُ فِيهَا عَجَائِبَا
رَأَيْتُ بِهَا أَهْلَ الْمَوَاهِبِ مَرَّةً
فَمَا رَاعَهُمْ إِلَّا الرَّزَادِيَا ثَوَابِتُ
وَأُسْفَتْهُمْوَا كَأَسَا مِنْ الدَّلِيلِ مُتْرَعَاً
وَدَانَتْ لِمَنْ نَاوَاهُمْ بَعْضَ بُرْهَةِ
وَهَلْ هِيَ إِلَّا جَمْرَةٌ تَتَوَقَّدُ
وَصَاحِبَتِي فِيهَا مَسْوَدٌ وَسَيِّدُ
وَقَدْ طَابَ عَيْشٌ وَالسُّرُورُ يُجَدِّدُ
عَلَيْهِمْ وَقَامَتْ فِي أَذَاهِمُ تُحَشِّدُ
وَكَانَ لَهُمْ فَوْقَ السَّمَاكِينِ مَقْعَدُ
عَلَى نَكِيدٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ يُجَدِّدُ

اللهم ثبت قلوبنا على الإيمان ووقفنا لصالح الأعمال ، اللهم تفضل علينا
بالقبول والإجابة وارزقنا صدق التوبة وحسن الإنابة ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع
المسلمين الأحياء والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله
وأصحابه أجمعين .

كتب بعضهم إلى أخ له فقال له : أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله سبحانه والعمل بما عَلَّمَكَ اللهُ تعالى والمراقبة حَيْثُ لا يَرَاكَ إلا اللهُ عز وجل والاستعداد لما لَيْسَ لأَحَدٍ فيه حِيَلَةٌ ولا يُنْتَفَعُ بالندم عند نُزُولِهِ .

فأحسِرُ عن رَأْسِكَ قِنَاعَ العَافِلِينَ واثْبِتْهُ مِن رَقْدَةِ المَوْتَى وشِمْرَ اللَّسْبَاقِ غَدًا فَإِنَّ الدُّنْيَا مَيْدَانُ المُتَسَابِقِينَ ولا تُعْتَرَّ بِمَنْ أَظْهَرَ النُّسْكَ وتَشَاغَلَ بِالوَصْفِ وَتَرَكَ العَمَلَ بالمَوْصُوفِ .

واعلم يا أخي أنه لا بُدَّ لِي وَلَكَ مِنَ المَقَامِ بَيْنَ يَدَيِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَسْأَلُنَا عن الدقيق الخفي والجليل الخافي وَلَسْتُ آمِنٌ أَنْ يَسْأَلَنِي وَإِيَّاكَ عن وَسْوَسةِ الصُّدُورِ وَلَحْظَاتِ العُيُونِ والإصْغَاءِ لِلإسْتِمَاعِ .

واعلم أنه لا يُجْزِي مِنَ العَمَلِ القَوْلُ ولا مِنَ البَدَلِ العِدَّةُ ولا مِنَ التَّوَقُّي القِلاوْمُ .

قال نافع خَرَجْتُ مَعَ ابنِ عمرَ في بعضِ نواحي المدينةِ ومعه أصحابه فَوَضَعُوا سَفْرَةَ لَهُمْ فَمَرَّ بِهِم رَاعِيٌّ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ يَا رَاعِي هَلَمْ فَأَصِيبَ مِنْ هَذِهِ السُّفْرَةِ .

فَقَالَ لِي صَائِمٌ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ فِي مِثْلِ هَذَا اليَوْمِ الشَّدِيدِ حَرُّهُ وَأَنْتَ بَيْنَ هَذِهِ الشِّعَابِ فِي آثَارِ هَذِهِ العَنَمِ وَبَيْنَ هَذِهِ الجِبَالِ تَرَعَى هَذِهِ العَنَمِ وَأَنْتَ صَائِمٌ .
فقال الراعي أَبَادِرُ أَيَّامِي الخَالِيَةَ فَعَجِبَ ابْنُ عُمَرَ وَقَالَ هَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنَا شاةً مِنْ غَنَمِكَ نَجْتَرِرُهَا نَطْعِمُكَ مِنْ لَحْمِهَا ما تُفِطِرُ عَلَيْهِ وَنُعْطِيكَ ثَمَنَهَا .
قال إنها لَيْسَتْ لِي إِنَّهَا لِمَوْلَايَ قال فما عَسَيْتَ أَنْ يَقُولَ مَوْلَاكَ إِنْ قُلْتَ أَكَلَهَا الذُّبُّ .

فَمَضَى الرَّاعِي وَهُوَ رَافِعٌ إِصْبِعَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ يَقُولُ فَأَيْنَ اللهُ قال فلم يَزَلْ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ قال الرَّاعِي فَأَيْنَ اللهُ فما عَدَا أَنْ قَدِمَ المَدِينَةَ فَبَعَثَ إِلَى سَيِّدِ الرَّاعِي فَاشْتَرَى مِنْهُ الرَّاعِيَّ وَالغَنَمَ فَأَعْتَقَ الرَّاعِيَّ وَوَهَبَ لَهُ العَنَمَ .

وَدَعَا قَوْمٌ رَجُلًا إِلَى طَعَامٍ فِي يَوْمٍ قَائِظٍ شَدِيدٍ حَرَهُ فَقَالَ إِنِّي صَائِمٌ فَقَالُوا
أَفِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ قَالَ أَفَأَغْبِنُ أَيَّامِي .

وَنَزَلَ رَوْحُ بْنُ زُرْبَاعٍ مَنزِلًا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ وَقَرَّبَ
غَدَاءَهُ فَانْحَطَّ رَاعٍ مِنْ جَبَلٍ فَقَالَ يَا رَاعٍ هَلُمَّ إِلَى الْعَدَاءِ قَالَ إِنِّي صَائِمٌ .

قَالَ لَهُ رَوْحُ بْنُ زُرْبَاعٍ أَوْ تَصُومُ فِي هَذَا الْحَرِّ الشَّدِيدِ قَالَ الرَّاعِي أَفَادَعُ
أَيَّامِي تَذَهَبُ بَاطِلًا فَأَنْشَأَ رَوْحٌ يَقُولُ :

لَقَدْ ضَنَنْتَ بِأَيَّامِكَ يَا رَاعِي
إِذْ جَادَ بِهَا رَوْحُ بْنُ زُرْبَاعٍ

وَدَعَا قَوْمٌ رَجُلًا إِلَى طَعَامٍ فَقَالَ إِنِّي صَائِمٌ فَقَالُوا أَفَطِرٌ وَصُمُّ غَدَاً قَالَ
وَمَنْ لِي بِأَنْ أَعِيشَ إِلَى غَدٍ .

رُوِيَ أَنَّ الْحَسَنَ رَأَى رَجُلًا مُتَعَبِدًا فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا يَمْنَعُكَ مِنْ
مُجَالَسَةِ النَّاسِ قَالَ مَا شَغَلَنِي عَنِ النَّاسِ قَالَ فَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ الْحَسَنَ فَقَالَ مَا
أَشْغَلَنِي عَنِ الْحَسَنِ قَالَ فَمَا الَّذِي أَشْغَلَكَ عَنِ الْحَسَنِ .

قَالَ إِنِّي أُمْسِي وَأَصْبِحُ بَيْنَ ذَنْبٍ وَنِعْمَةٍ فَرَأَيْتُ أَنْ أَشْغِلَ نَفْسِي
بِالاسْتِغْفَارِ لِلذَّنْبِ وَالشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى النُّعْمَةِ فَقَالَ أَنْتَ عِنْدِي أَفْقَهُ مِنْ
الْحَسَنِ .

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ حَاتًّا عَلَى شُكْرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فَقَالَ إِخْوَانِي اشْكُرُوا اللَّهَ
عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِهِ مِنَ الْأَلْسِنِ بِكَثْرَةِ التَّلَاوَةِ لِكِتَابِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ .

فَإِنْ فَرَّطْتُمْ فِي ذَلِكَ فَاسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ أَنْ تَخَوْضُوا بِاللُّسُنِ فِي فُنُونِ الْآثَامِ
فَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ « وَهَلْ يَكِبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاجِرِهِمْ إِلَّا
حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » .

فَالرَّجُلُ الْعَاقِلُ الْمُسْتَقِيمُ لَا يَسْتَعْمِدُ لِسَانَهُ إِلَّا فِي الْحَقِّ وَالْخَيْرِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ
وَالشَّاءِ عَلَيْهِ وَتِلَاوَةِ كِتَابَةِ الْكَرِيمِ وَالنَّصْحِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْإِمَّةِ

المسلمين وعامتهم ومجتنب الكذب والإفراء والغيبة والنميمة ومجتنب القبيح
وتقيح الحسن والتملق والنفاق والرياء قال ﷺ « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ
مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ كُلُّ هَذِهِ مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ » .

ألا واشكروا الله على ما أنعم به عليكم من الأبصار بالنظر إلى الحق
بالاعتبار شكراً له فإن رغبتم عن ذلك فراقبوا الله أن تنظروا بالأبصار إلى الحرام
فَتُغْضِبُوا الله بنعمه كفعل الكثير من الناس فاتقوا الله عباد الله .

ألا فراقبوه واشكروه على ما أنعم به عليكم من السمع بالاستماع إلى
القرآن الكريم وكلام سيد المرسلين والمواعظ الحسنة .

فإن ضيعتم ذلك وفرطتم فيه فاستحيوا من الله أن تُنصِتُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَى
الهُوَى والملاهي والأغاني وجميع المنكرات فإنكم عن جميع ذلك مسؤؤون .

واشكروا الله على ما أنعم به عليكم من الأيدي ببسطها إلى الخيرات فإن
قصرتم عن ذلك فاستحيوا أن تبسطوها إلى الظلم والأذى كفعل كثير من
الناس فإن الظلم ظلمات يوم القيامة قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ ولا تحسبن
الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين
مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ﴾ ألا فاتقوا الله عباد الله
واشكروه على ما أنعم به عليكم من الأرجل بالسعي بها إلى الطاعات فإن
قصرتم في ذلك فراقبوا الله ولا تسعوا بها إلى الآثام .

فالرجل المستقيم لا يستخدم سمعه وبصره وجميع حواسه ومشاعره إلا
فيما أحل الله له وقد جمع الله كثيراً من صفات المؤمنين المستقيمين وعدهم
مفلحين مستحقين للخلود في جنات النعيم في قوله عز وجل ﴿ قد أفلح
المؤمنون ﴾ إلى قوله ﴿ هم فيها خالدون ﴾ قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ يوم
نشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ فكيف بك
والأكبال في الأقدام والأغلال في الأعناق ، قال الله جل وعلا ﴿ إذ الأغلال في

أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ﴿

ألا فاتقوا الله عباد الله واشكروه على ما أنعم به عليكم من الأقوات فلا تَتَقَوُّوا بها على مَعَاصِي اللَّهِ أَلَا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ اللِّبَاسِ وَذَلِكَ بِأَنْ تُبْلَوْهُ فِي رِضَى اللَّهِ فَإِنْ قَصَرْتُمْ عَنْ ذَلِكَ فَاسْتَحْيُوا أَنْ تُبْلَوْا لِبَاسِكُمْ فِي مَا يَكْرَهُ اللَّهُ .

ألا فاتقوا الله عباد الله واشكروه على ما وهبكم من الأموال وذلك بأن تُبْلَوْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ بَخَلْتُمْ عَنْ ذَلِكَ فَاسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ أَنْ تُنْفِقُوا مَا وَهَبَكُمْ مِنَ الْمَالِ فِي مَعَاصِيهِ .

واشكروا الله على نعمته العظمى وهو ما أنعم به عليكم من الإيمان به وبكتبه وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

وأشكروه على ما أنعم به عليكم من العقل بالتفكير والتدبير واعتقاد حُسنِ النية والاعتبار وشِدَّةِ الخوف والحُزن وسلامة الصِّدْرِ لِلْعَامَّةِ .

وأشكروا الله على ما أنعم به عليكم من العقل بأن تُعْظَمُوا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَتُجْلَوْهُ وَتَسْتَحْيُوا مِنْهُ وَتَهَابُوهُ وَتَتَّقُوهُ وَتُطِيعُوهُ عَلَى حَسَبِ مَا عَقَلْتُمْ مِنْ عَظَمَتِهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ وَعَظِيمِ قَدْرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

فإن قَصَرْتُمْ فِي ذَلِكَ فَرَاقِبُوا اللَّهَ تَعَالَى وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ لَا يُعْظَمُونَهُ وَلَا يُجْلَوْنَهُ وَلَا يَهَابُونَهُ وَلَا يَسْتَحْيُونَ مِنْهُ وَلَا يَتَّقُونَهُ وَلَا يُطِيعُونَهُ وَلَا يُقَدِّرُونَهُ حَقَّ قَدْرِهِ بَلْ يَسْتَهِنُونَ بِكَثِيرٍ مِنْ أَمْرِهِ .

فاتقوا الله عباد الله أن تُعُودُوا بَعْدَ الْعِلْمِ جُهَالًا وَبَعْدَ الْمَعْرِفَةِ وَالْفَهْمِ ظَلَالًا وَيُعُودُ الْعَقْلُ وَالْعِلْمُ عَلَيْكُمْ وَبِالْأَلَا .

وَهَبَ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ الْقِيَامَ بِطَاعَتِهِ وَوَفَّقَنَا وَإِيَّاكُمْ شُكْرَ نِعْمِهِ وَحُسْنَ عِبَادَتِهِ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(موعظة)

إن العجب كُلُّ العَجَبِ من إنسان عاقل أُخْبِرَ أَنَّهُ سَيَسْأَلُكَ طَرِيقاً شَائِكاً وَغَراً
مَلِيئاً بِالْمَخَاوِفِ وَالْمُزْعِجَاتِ وَالْمَهَالِكِ وَأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّصِرَ هَذِهِ الْمَخَاوِفِ
وَالْمَخَاطِرِ وَالْمَهَالِكِ وَيَتَّصِرَ آثَارَهَا عَلَى مُسْتَقْبَلِهِ الْأَيْدِيِّ وَالَّذِي أُخْبِرَهُ أَصْدَقُ
الْقَائِلِينَ وَأَوْفَى الْوَاعِدِينَ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً .

وَمَعَ ذَلِكَ تَرَاهُ غَافِلاً لَا اِهْتِمَامَ لَهُ بِذَلِكَ مُنْصَرِفاً عَنِ الْاِبْتِعَادِ عَنِ هَذِهِ
الْمَهَالِكِ وَالْمَزَلَاتِ الْفَظِيعَةِ وَمُسْتَعْتِلاً بِالْذَّنَائِبِ وَالْأُمُورِ التَّافِهَةِ مِنْ شُؤُونِ الدُّنْيَا
الْمَلْعُونَةِ الْمَلْعُونِ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ .

وَمَا أَصِيبَ الْإِنْسَانَ بِمَرَضٍ أَشَدَّ مِنَ الْغَفْلَةِ الَّذِي رُبَّمَا تَحَوَّلَ إِلَى جُمُودٍ
وَقَسْوَةٍ ثُمَّ إِلَى لُجَاجٍ وَعِنَادٍ ثُمَّ إِلَى كُفْرٍ وَجُحُودٍ نَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَافِيَةَ .
وَمِنْ أَكْبَرِ الْأَدْلَةِ عَلَى حُمُقِ الْإِنْسَانِ وَعَبَاوَتِهِ وَجَهْلِهِ أَنَّهُ يَكْذُبُ وَيَشْقَى مِنْ
أَجْلِ مُسْتَقْبَلٍ مَهْمًا طَالَ فَلَنْ يُجَاوِزَ الثَّانِينَ غَالِباً وَإِنْ تَجَاوَزَهَا فَهُوَ كَالْمَعْدُومِ .
وَمَعَ هَذَا فَيَهْمِلُ إِهْمَالاً كَلِيئاً أَوْ جُزْئِيئاً الْعَمَلَ مِنْ أَجْلِ مُسْتَقْبَلٍ لَا نِهَآيَةَ
لَهُ مُسْتَقْبَلِ الْأَيْدِ مُسْتَقْبَلِ الْخُلُودِ فَيَالِهَا مِنْ خَسَارَةٍ لَا عِوَضَ لَهَا وَلَا جَبْرَ مِنْهَا
وَلَا أَمَلَ فِي تَلَافِهَا .

فِيهَا الْغَافِلُ انْتَبِهْ وَاسْتَعِدَّ لِمَا أَمَامَكَ وَتَصَوَّرْهُ تَصَوُّراً صَاحِحاً يَظْهَرُ أَثَرُهُ
فِي جِدِّكَ وَاجْتِهَادِكَ فِيمَا يُقْرَبُكَ إِلَى اللَّهِ لَا يَفَاجِئُكَ الْأَمْرُ وَأَنْتَ غَافِلٌ فَيَفُوتُكَ زَمَنُ
الْأَمْكَانِ وَتَنْدَمُ وَتَحْسَرُ قَالَ تَعَالَى وَتَقْدَسُ ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ .

وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ اقْتَرِبْ لِلنَّاسِ حِسَابِهِمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ
مَعْرُضُونَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي
غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾
وَقَالَ تَعَالَى ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ
لِمَنِ السَّخَرِينَ ﴾ الْآيَاتُ .

إن الذين غمَر الإِيمانَ قُلُوبَهُم واستَحَوَذَتْ مَعْرِفَتُهُم على مشاعرِهِم
ووجدانِهِم هُمُ الَّذِينَ أَيْقَنُوا بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ وَسَمَّاعِ الْحُكْمِ مِنْهُ فِي مَصَائِرِهِمْ ، هَؤُلاءِ
هُمُ الَّذِينَ تَتَجافى جَنُوبُهُم عَنِ الْمَضالِجِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقَهُم
اللَّهُ يُنْفِقُونَ .

الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مَخبراً عَنْهُمْ ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِهِمْ بِهِ
يُؤْمِنُونَ وَإِذا يَتلى عَلَيْهِمْ قالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنا إنا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ
أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بما صَبَرُوا وَيَدْرِؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ ﴾ الَّذِينَ هُمُ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مَشْفِقُونَ إِلى قولِهِ ﴿ أُولَئِكَ يَسارِعُونَ فِي
الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سابِقُونَ ﴾ .

الَّذِينَ إِذا سَمِعُوا ما أَنزَلَ إِلى الرِّسُولِ تَرى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا
عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ الْآيَةِ ﴿ الَّذِينَ إِذا ذَكَرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ إِذا تُليَتْ عَلَيْهِمْ
آيائِهِ زادَتْهم إِيماناً وَعلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الْآيَتِينَ .

﴿ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجُداً وَقِياماً ﴾ الْآيَاتِ . هَؤُلاءِ هُمُ الَّذِينَ رَعَوْا
لِلَّذِينَ حُرِّمَتْ واحْتَرَمُوا آدَمِيَّتَهُمْ وَكَرامَتَهُمْ وَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلا فَبَنَوْا لأنفُسِهِمْ
صُرُوحَ المِجْدِ الحالِدِ والعِزِّ الباقِي والسَّعادَةِ الأَبديَّةِ .

ولا يَبْتَغِدُ أَنْ يَكُونَ مِنْ هَؤُلاءِ المَذكورِينَ الموصُوفِينَ بِالصِّفاتِ الحَمِيدَةِ
القائِلُ لو عَلِمَ الملوِكُ وَأَبناءَ الملوِكِ ما نَحْنُ فِيهِ لَجَّالِدونا عَلَيْهِ بِالسِّوْفِ وَمِنْهُمْ
الباكِي حِينَ حَضَرَتْهُ الوفاةُ القائِلُ إِنِّي لَمْ أَبُكْ جِزَعاً مِنَ المَوْتِ حِرْصاً على
الدُّنْيا وَلَكِن أَبْكَى على عَدَمِ قَضائِ وَطَرِيٍّ مِنْ طاعَةِ رَبِّي وَقِيامِ اللَّيْلِ أَيامَ الشِّتاءِ .
وَمِنْهُمْ الباكِي عِنْدَ ما تَفَوَّثَهُ تَكْبيرَةُ الإِحرامِ مَعَ الجَماعَةِ وَمِنْهُمْ الَّذِي
يُمرَضُ إِذا فَاتَتْهُ الصَّلاةُ مَعَ الجَماعَةِ .

وَمِنْهُمْ القائِلُ لَمْ أَصَلِّ الفَرِيضَةَ مُنْفَرِداً إِلا مَرَّتَيْنِ وَكأني لَمْ أَصِلِها مَعَ أَنَّهُ
قارَبَ التَّسْعِينَ سَنَةً .

ومنهم من لم تفتته صلاة الجماعة أربعين سنة إلا مرة واحدة حين ماتت والدته اشتغل بتجهيزها .

والقائل حين ما قال له رجل أراك تكثير من حمد الله وشكره مع أنه ابتلاك ببلاء ما ابتلى أحداً بمثله الجذام في أطرافك وتمزقت الثياب على جسديك ولا زوجة لك ولا ولد ولا دار ولا أهل فما شأنك فقال المبتلى :
شعراً :

حمدتُ الله ربي إذ هداني إلى الإسلام والدين الحنيفي
فذكره لساني كل وقت ويعرفه فوادي باللطيف

وكان بعضُ الموقنين المحاسبين لأنفسهم يكتبُ الصلوات الخمس في قرطاس ويدع بين كل صلاتين بياضاً .

وكلما ارتكب خطيئة من كلمة غيبية أو استهزاء أو كذب كذبة أو تكلم فيما لا يعنيه أو نظر إلى ما لا يحل نظره إليه أو استمع إلى ما لا يحل الاستماع إليه أو أكل مشتبهاً أو مشى إلى ما لا يحل أو مد يده إلى ما لا يجوز مدّها إليه .

ذكره في هذا البياض ليعتبر ذنوبه ويخصمها حسب قدرته لتضييق المحاسبة مجاري الشيطان والنفس الأمارة بالسوء .

ومقامُ محاسبة النفس يقلل الكلام فيما لا يعنى ويحمل الإنسان على تقليل الذنوب وعلى الإكثار من الطاعات لمقابلة ما صدر منه ولكن هذا الطراز يعزُّ وجوده في زماننا هذا .

نقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزئوها قبل أن تؤزئوها وتزئوها للعرض الأكبر على الله ﴿يَوْمئذٍ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾ .

فالمحاسبة تكون بِضَبْطِ الحَوَاسِ ورِعايَةِ الأوقاتِ وإِثَارِ المِهْمَاتِ وحفظِ
الأنفاسِ والحِرصِ على أداءِ العباداتِ كاملةً وبالأخصِ الصلاةَ فيكملها بشروطها
المذكورةِ وأركانها وواجباتها وسننها بِخُشُوعٍ وَخُضُوعٍ وَطُمَأَينَةٍ وَسُكُونٍ .
والعبدُ يَحْتَاجُ إلى السُّنَنِ الرَّوَاتِبِ لِتَكْمِيلِ الفرائضِ وَيَحْتَاجُ إلى النوافلِ
لِتَكْمِيلِ السُّنَنِ وَيَحْتَاجُ إلى الآدابِ لِتَكْمِيلِ النوافلِ ومن الآدابِ تَرْكُ ما يشغل
عن الآخرةِ .

قال بعضهم إن الرجلَ لَيَشِينُ عَارِضَاهُ في الإسلامِ وما أكْمَلَ اللهُ صلاةَ
قِيلَ وَكَيْفَ ذاكَ ، قال لا يُتَمُّ حُشُوعُها وَتَوَاضُعُها وإقباله على الله فيها .

رُوي عن بعضِ أهلِ العلمِ في قولِ الله جل جلاله ﴿وقوموا لله قانتين﴾
قال القنوتُ الخشوعُ في الركوعِ والسجودِ وَغَضُّ البصرِ وخفضُ الجناحِ من
رَهْبَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .
وكان العلماءُ إذا قامَ أَحَدُهُمُ للصلاةِ هَابَ أن يَلْتَفِتَ أو يَغْبَثَ أو يحدث
نفسه بشيءٍ من شئونِ الدنيا إلا ناسياً .

وبلغنا عن بعضِ أهلِ العلمِ أنه قال : ركعتانِ خفيفتانِ مُقْتَصِدَتانِ في
تفكيرٍ وتدبيرٍ وتفهمٍ لما يقوله ويفعله خَيْرٌ من قيامِ لَيْلَةٍ والقلبُ سَاهٍ في أودِيَةِ
الدُّنيا .

فالواجبُ على الإنسانِ إذا كان في الصلاةِ أن يجعلها هَمَّهُ وَيُقْبَلُ عليها
مُفَرَّغاً قَلْبَهُ وفكرَهُ من كل ما يُشْتَتِه لِيُؤَدِّيها كاملةً مُكَمَّلةً .

فإنه لَيْسَ له منها إلا ما عَقَلَ منها من مَعانِي الفاتحةِ وما يَقْرَأُ مِنَ القرآنِ
ومَعانِي الرُّكُوعِ والسُّجُودِ والقِيامِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ ومَعانِي العبوديةِ والمناجاةِ
ومَعانِي التَّحِيَّاتِ والتكبيراتِ .

فكم بين رَجُلَيْنِ أحدهما قد أشعَرَ قَلْبَهُ عَظَمَةَ خالِقِهِ الذي هُوَ واقِفٌ بَيْنَ
يَدَيْهِ فامتلاً قَلْبَهُ من هَيْبَتِهِ وذَلَّتْ لَهُ عُنُقُهُ واستَحَى من رَبِّهِ أن يُقْبَلَ على غيره أو
يَلْتَفِتَ عنه .

وَأَخْرَجَ قَدْ انصَرَفَ قَلْبُهُ إِلَى الدُّنْيَا يُفَكِّرُ فِيهَا مُلْتَفِتًا يَمِينًا وَشِمَالًا وَلَا يَفْهَمُ
مَا يَخَاطَبُ بِهِ لِأَنَّ قَلْبَهُ لَيْسَ حَاضِرًا مَعَهُ فَمِنَ صَلَاتَيْهِمَا كَمَا قَالَ بَعْضُ
أَهْلِ الْعِلْمِ .

إِنَّ الرَّجُلَيْنِ لَيَكُونَانِ فِي الصَّلَاةِ الْوَاحِدَةِ وَإِنْ مَا بَيْنَهُمَا فِي الْفَضْلِ كَمَا بَيَّنَّ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمَا مُقْبِلٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِقَلْبِهِ وَالْآخَرُ سَاهٍ
غَافِلٌ يَفَكِّرُ فِي الْبُيُوعِ وَالْخُصُومَاتِ وَالْأَمَانِيِّ وَالْخُسَارَاتِ قَدْ ذَهَبَ قَلْبُهُ كُلُّ
مَذْهَبٍ فِي أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا .

وَرَوَى أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانَ يَصَلِّي فِي نَخْلٍ لَهُ فَشُغِلَ
بِالنَّظَرِ إِلَى النَّخْلِ فَسَهَا فِي صَلَاتِهِ فَاسْتَعْظَمَ ذَلِكَ وَقَالَ أَصَابَنِي فِي مَالِي فَتَنَةٌ
فَجَعَلَ النَّخِيلَ فِي الْأَرْضِ صَدَقَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَلَغَ ثَمَنُ النَّخِيلِ خَمْسِينَ أَلْفًا .
فَلَوْ أَنَّ الْوَاحِدَ مِنَّا إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ مَعَ الْجَمَاعَةِ تَصَدَّقَ فِي عَشْرَةِ فَقَطْ لَمَا
فَاتَتْنَا الصَّلَاةُ مَعَ الْجَمَاعَةِ إِلَّا نَادِرًا وَرَأَيْتَ مَا يَسْرُكُ مِنَ الْحَافِظَةِ عَلَى الصَّلَاةِ
وَكَثْرَةِ الْجَمَاعَةِ وَهَذَا عِلَاجٌ مِنْ أَحْسَنِ الْعِلَاجَاتِ .

وَيَنْبَغِي اسْتِعْمَالَهُ عِنْدَ مَا يَصْدُرُ كَذِبٌ أَوْ غِيْبَةٌ أَوْ نَظَرٌ مُحْرَمٌ أَوْ سَمَاعٌ مُحْرَمٌ
أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا يَقُولُهُ الْإِنْسَانُ أَوْ يَفْعَلُهُ عَمْدًا أَوْ سَهْوًا لِيَتَأَدَّبَ وَيَسْتَقِيمَ وَيُقْتَدَى
بِهِ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

(نَصِيحَةٌ)

يَسْمُو قَدْرُ الْإِنْسَانِ وَتَعْلُو دَرَجَتُهُ وَمَنْزِلَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ جَلٌّ وَعَلَا وَعِنْدَ خَلْقِهِ
بِقَدْرِ مَا يَكُونُ لَهُ مِنْ إِسْتِقَامَةٍ وَطَهَارَةِ قَلْبٍ وَسَلَامَةِ صَدْرٍ وَحُبِّ الْخَيْرِ لِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ وَبُعْدٍ عَنِ الشَّرِّ وَالْأَذَى وَتَضَحُّجِيَّةٍ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا يُقَرِّبُ

إلى الله، وقد امتدح الله إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام على ما وهبه له من سلامة قلب وعزّة نفس وصدق عزيمة وقوّة إيمان .

قال تعالى لما ذكر نوحاً عليه السلام وأثنى عليه أعقبه بذكر الخليل فقال « وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ » .

ومن دعاء إبراهيم عليه السلام ﴿ وَلَا تُحْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ .

وسلامة القلب خلوصه من الشرك وقيل هو القلب الصحيح وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض وقيل هو القلب السالم من البدعة المظمنة إلى السنة إنتهى .

قلت والذي أرى أن السلامة الكاملة للقلب هي خلوصه من الشرك والشك والنفاق والرياء وخلوه من الكبر والحقد والحسد والعجب والمكر السيء والغل والخيلاء .

ونقاؤه من الأمراض التي تُكِدِّرُ الصَّفْوَ وتُشْتِتُ الشَّمْلَ وتخل بالأمن وتقطع الروابط والصلوات بين المسلمين وتورث الضغائن والأحقاد وتولد العداوة والبغضاء بين المؤمنين .

وكان صلواته يقول في دعائه « اللهم إني أسألك قلباً سليماً » فالقلب السليم هو السالم من الآفات والمكروهات كلها وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله وخشيته وخشية ما يباعد عنه .

وقد اكتفى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بذكر سلامة القلب لأن القلب إذا صلح صلح الجسد كله كما في الحديث وإذا فسد فسد الجسد كله .

ولأن القلوب إذا سلّمت سلّمت الجوارح اليد واللسان من الأذى والشُرور وسلّمت أموال الناس وأرواحهم وأعراضهم وقلّت الشرور والجرائم

والآثام. وقيل إن لقمان كان عبداً حبشياً فدفع إليه سيده شاةً وقال إذبحها وائتني بأطيب مضغتين منها فاتاه بالقلب واللسان ثم بعد أيام أتاه بشاةٍ أخرى . وقال له إذبحها وأتني بأحب مضغتين منها فاتاه بالقلب واللسان فسأله سيده عن ذلك فقال هما أطيب شئٍ إذا طبأ وأحب شئٍ إذا خبأ .
 وذكر العلماء أن صلاح القلب :

- (١) في قراءة القرآن بالتدبر والتفكير فيه وفيما صح عن النبي ﷺ .
- (٢) في تقليل الأكل .
- (٣) قيام الليل وإحيائه بالعبادة .
- (٤) التضرع عند السحر .
- (٥) مجالسة الصالحين .
- (٦) الصمت عما لا يعني .
- (٧) العزلة عن أهل الجهل والسفه ومن فرطت أعمارهم .
- (٨) ترك الخوض مع الناس فيما لا يعني .
- (٩) أكل الحلال وهو رأسها فإنه ينور القلب ويصلحه فتزكوا بذلك الجوارح وتُدْرَأُ الْمَفَاسِدُ وَتَكْثُرُ الْمَصَالِحُ فَأَكُلِ الْحَرَامَ وَالْمَشْتَبِهَ يُصَدِّي الْقَلْبَ وَيُظْلِمُهُ وَيُقْسِيهِ وَهُوَ مِنْ مَوَانِعِ قَبُولِ الدُّعَاءِ .
- وقد قيل يخاف على آكل الحرام والشبهة أن لا يُقْبَلَ له عَمَلٌ ولا يُرْفَعَ لَهُ دُعَاءٌ لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ وآكل الحرام والمسترسل مع المشتبهات ليس بمُتَّقٍ على الإطلاق .

روى عن بعض أهل العلم أن الشيطان يقول خصلة من ابن آدم أريدها ثم أَخْلَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُرِيدُ مِنَ الْعِبَادَةِ أَجْعَلُ كَسْبَهُ مِنْ غَيْرِ حَلٍّ إِنْ تَزَوَّجَ تَزَوَّجَ مِنْ حَرَامٍ وَإِنْ أَفْطَرَ أَفْطَرَ عَلَى حَرَامٍ ، وَإِنْ حَجَّ حَجَّ مِنْ حَرَامٍ أ هـ .

فالحذر الحذر من الحرام في طلب القوت ، فقد ورد عن أبي هريرة رضي

الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وأعملوا صالحاً ﴾ وقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ .
ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء ويقول :
يا رب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذّي بالحرام فأنّي
يُستجابُ لذلك .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تليت هذه الآية عند رسول
الله ﷺ ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ﴾ .
فقام سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه فقال يا رسول الله أدع الله أن
يجعلني مستجاب الدعوة فقال له النبي ﷺ « يا سعد أظنّ مطعمك تكن
مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده إن العبد ليقدف اللقمة الحرام في
جوفه ما يقبل منه عمل أربعين يوماً وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار
أولى به » رواه الطبراني في الصغير .

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال من اشترى ثوباً بعشرة دراهم
وفيه درهم من حرام لم يقبل الله عز وجل له صلاة ما دام عليه قال ثم أدخل
أصبعيه في أذنيه ثم قال صمّتا إن لم يكن النبي ﷺ سمعته يقوله رواه أحمد .

وروي أبو داود في المراسيل عن القاسم بن مخيمرة قال قال رسول الله
ﷺ « من اكتسب مالا من إثم فوصل به رحمه أو تصدق به أو أنفقه في
سبيل الله جمع ذلك كله جميعاً فقدف به في جهنم » .

وروي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « من اشترى سرقة وهو يعلم
أنها سرقة فقد اشترك في عارها وإثمها » رواه البيهقي .

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك والله أعلم
وصلّى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

(فصل)

قال الله جل وعلا وتقدس ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ .
وقال عز من قائل ﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ﴾ .

وقال جل وعلا ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ﴾ .
وقال جل وعلا ﴿ واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه جل وعلا أنه قال : ﴿ وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين إذا خافني في الدنيا أمنتُهُ يوم القيامة وإذا أمنتني في الدنيا أخفتُهُ في الآخرة ﴾ رواه ابن حبان في صحيحه .

وقال إذا أفسعَرَّ جلدُ العبدِ من خشيةِ الله تحاثت عنه خطاياهُ كما يتحات عن الشجرة البالية ورقها .
وقال الحسن رضي الله عنه إن الرجل ليذنبُ فما ينسأهُ ولا يزال مُتخوفاً حتى يدخل الجنة وقال ابن جبير الخشية هي أن تخشى الله حتى تحول خشيتُهُ بينك وبين معاصيه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته » رواه مسلم .

وعنه قال قرأ رسول الله ﷺ ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ ثم قال « أتدرون ما أخبارها » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول : عمل كذا وكذا في يوم

كذا وكذا فهذه أخبارها » رواه الترمذي وقال حديث حسن .

عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصَّبُ في النار صبغة ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط هل مرَّ بك نعيم قط فيقول لا والله يارب .

ويؤتى بأشدُّ الناس بُوساً في الدنيا من أهل الجنة فيصَّبُ صبغة في الجنة فيقال يا ابن آدم هل رأيت بُوساً قط هل مرَّ بك شدة قط فيقول والله يا رب ما مرَّ بي بُوس قط ولا رأيت شدة قط .

وعنه رضي الله عنه قال خطب رسول الله ﷺ حُطبة ما سمعت مثلها قط فقال : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » فقط أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم خنين ، رواه البخاري ومسلم .

وعن أنس قال « إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات ، رواه البخاري .
وعن أبي يعلى شَدَّاد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ألكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » رواه الترمذي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « قاربوا وسددوا واعلموا أنه لن ينجوا أحد منكم بعمله » قالوا ولا أنت يا رسول الله قال « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته وفضل » رواه مسلم .

فيا عباد الله من خاف الله جلَّ وعلا في دُنياه أَمَنَهُ اللهُ في آخره ولو آمنَ الإنسان حقاً بالله الواحد الأحد الفرد الصمد وجزم يقيناً بما بعد الحياة من الجنة والنار وما أعد الله لأهلها إجمالاً وتفصيلاً .

ولو خاف وعيد الله كما يخاف وعيد أحد الأشرار لما اجترأ يوماً أن يتخطى شريعة الله أو ينتهك محارم الله التي حذرته من تخطيها بقوله عز وجل

﴿ ومن يعصِ اللهَ ورسوله ويَعُدِّي حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين ﴾

وقوله تعالى ﴿ تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعدى حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾ .

فاتق الله أيها المسلم وعظ نفسك في كل وقت بما بعده من الشدائد والكروب والعقبات وحاسب نفسك على كل ما تفترفه وتفعله من السيئات واتخذ من تقوى الله سترأ يقيك من غضب الله وعذابه .
فما أسعد من جعل التقوى رأس ماله وما أرشد من راقب الله في جميع أحواله فيا وَيْحَ مَنْ نسي الآخرة وأجهد نفسه في طلب الدنيا وكان بها جُلُّ اشتغاله .

أما وعظه من رَحَلَ مِنْ أَعْمَامِهِ وَأُخْوَالِهِ فَالْعَجَبُ مِمَّنْ أَفْصَحَتْ لَهُ الْعِبْرُ
وَلَيْسَ عِنْدَهُ سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ أَيُّكُنِي فَاقْدُ الْإِلْفَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ ، أَيْنَ مَضَى
رُقَقَاؤُنَا أَيْنَ ذَهَبَ مَعَارِفُنَا وَأَصْدِقَاؤُنَا ، هَذِهِ دُورُهُمْ فِيهَا سِوَاهُمْ ، وَهَذَا مُحِبُّهُمْ
قَدْ نَسِيَهُمْ وَجَفَاهُمْ .

فتفكرو إخواني في الراحلين واعتبروا بالسالفين وتأملوا في البصائر حال
الدفين وتأهبوا فأنتم في أثر الماضيين .

فبإمطلقاً إذ ذكر قيودهم ويا متحرراً قد عرفت همودهم فخلص نفسك
من أسر الذنوب وتأهب لإخلاصك فإنك مَطْلُوبٌ وتذكر بقلبك يوم تَقَلَّبُ
القلوب .

واخذر حسرات الموت عند انقضاء المدة واخذر تسويف الذين ذهبوا
وما تأهبوا .

فكأنني بك أيها الغافل في لهوه ولعبه الرافل في أثواب غييه وطربه الساعبي
في معصية ربه وغضبه فلم يشعر إلا وقد نزل به من الموت أسباب عطبه .

فَدَبَّتْ الْأَمْرَاضُ فِي جَسَدِهِ وَأَيْدِلَ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ بِمَرِّ السَّقْمِ وَتَكَدِيهِ
وَأَتَنَزَعَتْهُ الْمُنُونُ مِنْ مَالِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ .

فُرُودَ مِنْ مَالِهِ كَفَنَّا وَاعْتَاطَظَ عَنِ الْقُصُورِ مَحَلَّةَ الْأَمْوَاتِ وَطَنَا يَتَمَنَّى
الرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا لِيَجْتَهِدَ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ فَيُقَالَ لَهُ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ حَيْلُ
بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْأَعْمَالِ النَّافِعَاتِ .

أَلَمْ يَأْتِكَ خَيْرُ هَذَا الْمَصِيرِ أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ أَصْدَقِ الْقَائِلِينَ ﴿ أَوْ لَمْ
تُعْمِرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ﴾ فَاحْذَرُ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ
يَتَمَنَّوْنَ الرَّجْعَةَ فَلَا يَقْدِرُونَ وَلَا يُجَابُونَ .

قال بعضهم :

صَرَفْتُ إِلَى رَبِّ الْأَنَامِ مَطَالِبِي وَوَجَّهْتُ وَجْهِي نَحْوَهُ وَمَارِي
إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ مَلِيكَ يُرْجَى سَيِّئُهُ فِي الْمَتَاعِ
إِلَى الصَّمِدِ الْبَرِّ الَّذِي فَاضَ جُودُهُ وَعَمَّ الْوَرَى طُرّاً بِجَزْلِ الْمَوَاهِبِ
مُقِيلِي إِذَا زَلْتُ بِبِي التَّعَلُّ عَائِراً وَأَسْمَحَ غَفَّارِ وَأَكْرَامِ وَاهِبِ
فَمَا زَالَ يُؤَلِّينِي الْجَمِيلَ تَلْطُفَاً وَيَدْفَعُ عَنِّي فِي صُورِ التَّوَائِبِ
وَيَرْزُقُنِي طِفْلاً وَكَهْلاً وَقَبْلَهَا جَنِيناً وَيَحْمِينِي وَيِيَّ الْمَكَاسِبِ
إِذَا أَعْلَقَ الْأَمْلَاكُ دُونِي قُصُورَهُمْ وَنَهَنَهُ عَنِ غَيْشَانِهِمْ زَجْرُ حَاجِبِ
فَزَعْتُ إِلَى بَابِ الْمُهَيِّمِينَ طَارِقاً مُدِلاً أَنَادِي بِإِسْمِهِ غَيْرَ هَائِبِ
فَلَمْ أَلِفْ حُجَّاباً وَلَمْ أَحْشَ مِنْعَةً وَلَوْ كَانَ سُؤْلِي فَوْقَ هَامِ الْكَوَاكِبِ
كَرِيمٍ يَلْبِي عِنْدَهُ كُلَّمَا دَنَا نَهَاراً وَلَيْلاً فِي الدُّجَى وَالْعِيَاهِبِ

سَأْأَلُهُ مَا شِئْتُ إِنْ يَمِينُهُ نَسِحُ دِفَاقاً بِاللَّهِىِ وَالرُّغَائِبِ
فَحَسْبِي رَبِّي فِي الْهَزَاهِزِ مَلْجَأٌ وَحِرْزاً إِذَا خِيفْتُ سِيَهَامُ النُّوَائِبِ
اللهم هب لنا ما وهبته لعبادك الأختيار وأنظمننا في سلك المقربين
والأبرار وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار واغفر لنا
ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله
وصحبه أجمعين .

(فصل)

قال الله عزّ من قائل ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ
الموتُ فيقولُ ربي لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين
ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ﴾ وقال تعالى ﴿ حتى إذا جاء أحدهم
الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا ﴾ الآية .
فالعاقل من يأخذ أهبته للمستقبل ويتهيأ للأمر قبل وقوعه قال الله جل
وعلا ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لعقد ﴾ .
فلا بُدَّ لِلإنسانِ من نظر إلى الماضي بعين الإعتبار والاستفادة والمحاسبة ،
ولابدَّ له من نظر إلى المُستقبل لإعدادِ العُدَّةِ وتهيئة الزاد ولابد من توجيه
إهتمامه إلى الحاضر إلى الساعة التي هو فيها ليغتنيها قبل أن تُفكَّت وتضيع مع ما
فرط وضاع .

دَقَاتِ قَلْبِ المرءِ قَائِلَةٌ لَهُ إِنَّ الحَيَاةَ دَقَائِقُ وَثَوَانِي

فساعات العمر ثلاث ساعة مَضَتْ ، وساعة مُسْتَقْبَلَة ، لا يدري أيعيش إليها أم لا ولا يدري ما يقضي الله فيها ، وساعة راهنة ينبغي أن يجاهد نفسه في تعبئتها في الطاعة في الباقيات الصالحات سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

فإن لم تأته الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة وإن أتته الساعة استوفى حقه منها وليحذر طول الأمل بل يجعل نفسه ابن وقته كأنه في آخِرِ أَنْفَاسِهِ .
ويحرص جُهدَهُ على أن يكون على حالة لا يكره أن يدركه الموت وهو عليها وليجعل ما رواه أبو ذر نصب عينيه من قول النبي ﷺ « لا يكون المؤمن ضاعنا إلا في ثلاث : تَزَوُّدٌ لِمَعَادٍ أَوْ مَرَمَةٌ لِمِعَاشٍ أَوْ لَذَّةٌ فِي غَيْرِ حَرَامٍ »
وَلِيَحْذَرَ الْآفَاتِ الْقَاتِلَةَ لِلْوَقْتِ وَمَنْ أَعْظَمَ الْآفَاتِ الْغَفْلَةُ وَهِيَ مَرَضٌ يَصِيبُ عَقْلَ الْإِنْسَانِ بَحِيثٌ . يَفْقَدُ الْحَسَّ الْوَاعِي بِالْأَحْدَاثِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَيَفْقِدُ الْإِنْتِبَاهَ الْيَقِظُ إِلَى مَعَانِي الْأَشْيَاءِ وَعَوَاقِبِ الْأُمُورِ .

وقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من الغفلة أشد التحذير وبين عاقبة الذين غفلوا عن الله وآياته فقال لرسوله ﷺ ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ .
وقال تبارك وتعالى ﴿ وَلَا تَطْعَمَنْ أَعْفَلًا قَلْبُهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴾ .

وقوله تبارك وتعالى ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس هم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ .

وقال جل وعلا وتقدس ﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ وقال ﴿ فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ .

وقال تعالى ﴿ إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون ﴾ الآيات فعلى اللبيب العاقل أن يحذر كل الحذر عن مُقَارَبَةِ الْغَافِلِينَ لِئَلَّا يُصِيبَهُ هَذَا الْمَرَضُ الْفَتَّاكُ .

والآفة الثانية وهي أيضاً من أعظم الآفات ومن أشدها خطراً على قتل الوقت وهي آفة التَّسْوِيفِ والتأخير حتى رُبَّمَا صَارَتْ كَلِمَةً سَوْفَ شِعَاراً له وطابعاً لِسُلُوكِهِ .

وقيل لبعض العقلاء أَوْصَانَا فَقَالَ أَحْذَرُوا سَوْءَهُ ، فَمَنْ حَقَّ يَوْمِكَ عَلَيْكَ أَنْ تَعْمُرَهُ بَطَاعَةَ اللَّهِ وَذَلِكَ بِالنَّافِعِ مِنَ الْعِلْمِ وَالصَّالِحِ مِنَ الْعَمَلِ .

وقال الحسن البصري إِيَّاكَ وَالتَّسْوِيفَ فَإِنَّكَ بِيَوْمِكَ وَلَسْتَ بِعَدِكَ ، فَإِنْ يَكُنْ غَدُّ لَكَ فَكُنْ فِي غَدٍ كَمَا كُنْتَ فِي الْيَوْمِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ لَمْ تَنْدَمْ عَلَى مَا فَرَطْتَ فِي الْيَوْمِ .

وَكَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَخٍ لَهُ يُبَايِعُهُ وَتَأْمِيرِ التَّسْوِيفِ عَلَى نَفْسِكَ وَإِمْكَانِيهِ مِنْ قَلْبِكَ ، فَإِنَّ مَحَلَّ الْكَلَالِ وَمَوْزِلَ التَّلْفِ وَبِهِ تَنْقَطِعُ الْأَمَالُ وَفِيهِ تَنْقَطِعُ الْأَجَالُ وَبَادِرُ يَا أَخِي فَإِنَّهُ مُبَادِرٌ بِكَ وَأَسْرِعُ فَإِنَّهُ مُسْرِعٌ بِكَ وَجِدُّ فَإِنَّ الْأَمْرَ جِدُّ وَيَقْظُ مِنْ رَقَدَتِكَ وَانْتَبَهُ مِنْ غَفْلَتِكَ .

وَتَذَكَّرْ مَا أَسْلَفْتَ وَقَصَّرْتَ وَقَرَّطْتَ وَجَنَيْتَ وَعَمِلْتَ فَإِنَّهُ مُثَبَّتٌ مُحْصَى فَكَأَنَّكَ بِالْأَمْرِ قَدْ بَعَثْتَ فَاغْتَبِطُ بِمَا قَدَّمْتَ أَوْ نَدِمْتَ عَلَى مَا فَرَّطْتَ .
ثم أعلم أن في التسويف وتأخير الواجب آفات منها أنك لا تضمن أن تعيش إلى الغد ولا سيما في هذا العصر الذي كثرت فيه الحوادث برغم تقدم الطب وتوفر النعم وتقدم العلم .

ولكن لا يمنع ذلك الموت بسبب الحوادث التي لا تُحصى كل يوم من أسباب أدوات الحضارة : السيارات والطائرات والآلات والأجهزة الميكانيكية والكهربائية والقرص والتلف وغيرها بل العلم هو الذي نشأت عنه هذه الأسباب بإذن الله حيث كان الإنسان قبل حصول هذه في أمان منها .

ثانياً : إنك إن بقيت إلى الغد لا تأمن من المصروفات من مرض طارئ أو شغل عارض أو بلاء نازل به فلماذا ينبغي للعاقل الحازم أن يُبادر إلى اغتنام الفرص وفعل الخيرات وأداء الواجبات وكان العجز أن تؤخر وتؤجل حتى تفوتك الفرصة وتشكو من القصة وقد قيل :
وَلَا تُؤَخِّرْ إِذَا مَا حَاجَةً عَرَضَتْ فَهُمْ يَقُولُونَ لِلتَّأخِيرِ آفَاتُ
أخـر :

عَلَيْكَ بِأَمْرِ الْيَوْمِ لَا تَنْتَظِرْ غَدًا فَمَنْ لَعِدَ مِنْ حَادِثٍ بِكَفَيْلٍ
أخـر :

وَلَا الْاِخْرُ شُغْلُ الْيَوْمِ عَنْ كَسَلٍ إِلَى غَدٍ إِنْ يَوْمَ الْعَاجِزِينَ غَدٌ

وقال النبي ﷺ لِرَجُلٍ « اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسِ حَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ ،
وصحبتك قبل سفيمك ، وفراعك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك وغناك قبل
فقرك .

وقال أحد العلماء لبعض الشباب إعمل قبل أن لا تستطيع أن تعمل فأننا
أبغى أن أعمل اليوم فلا أستطيع وكانت حفصة بنت سيرين تقول : يا معشر
الشباب اعملوا فإما العمل في الشباب .

ثالثاً : أن لكل يوم عمله ولكل وقت واجباته فليس وقت فارغ من
العمل ولما قيل لعمر بن عبدالعزيز رحمه الله وقد بدا عليه الإرهاق والتعب من
كثرة العمل أخر هذا إلى الغد فقال أعياني عمل يوم واحد فكيف إذا اجتمع
علي عمل يومين .

وقال آخر : حقوق في الأوقات يمكن قضاؤها وحقوق الأوقات لا
يمكن قضاؤها إذ ما من وقت إلا والله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد فكيف
تقضي حق غيره وأنت لم تقض حق الله .

رابعاً : تأخير الطاعات والتسويف في فعل الخيرات يجعل النفس تعتاد
تركها والعادة إذا رسخت أصبحت طبيعياً يصعب قلعها .

حتى إن الإنسان يقنع بوجوب المبادرة إلى الطاعات وعمل الصالحات
لكنه لا تساعده الإرادة بل يجد كسلاً وثقلاً عن العمل وإعراضاً عنه ومثلاً
هذا يوجد في التسويف في التوبة من المعاصي .

فإن النفس إذا اعتادت ارتكاب المعاصي يعسر منعها منها ففي كل يوم
تزداد حباها وترداد ضحامة المعصية ويكثر أثرها في القلب حتى يعمه ظلامها
فلا ينفذ إليه الهدى وانظر إلى الغيبة والكذب والرياء ونحوها كيف يعجز المرء
عن قهر نفسه عنها .

وفي الحديث الذي رواه الترمذي : إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكته

سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صُقِلَ قلبه فإن زادَ زادَتْ حتى تعلَى قلبه وذلك الرآن الذي ذكره الله في القرآن الكريم ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

اللهم اغفر لنا وارحمنا ووفقنا للعمل بطاعتك وأصلح لنا شأننا كله وتقبل منا وأدخلنا الجنة ونجنا من النار وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فوائد متنوعة)

إعلم أن الدين شطران أحدهما ترك المناهي والآخر فعل الطاعات ، وترك المناهي هو الأشدُّ فإن الطاعات يُقَدِّرُ عليها كلُّ أحدٍ وترك الشهوات لا يُقَدِّرُ عليها إلا الصَّديقون ولذلك المهاجرُ من هجر ما نهى الله عنه والمجاهدُ من جاهد نفسه وهواه .

واعلم أنك إنما تعصي الله بجوارحك وإنما هي نعمة من الله عليك وأمانة عندك فاستعانتك بنعمة الله على معصيته كفر للنعمة وخيانة في أمانة أودعك الله إياها .

فأعضاؤك تحت رعايتك فانظر كيف ترعاها فقد قال رسول الله ﷺ كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته وأعضاؤك ستشهد عليك يوم القيامة .

ثم اعلم أن من أمهات المعاملة ما يلي :

الأولى : معاملة الله تبارك وتعالى وهي بالالتجاء إليه ورؤية أن لا سواه وأن يكون العمل كله خالصاً له ولا طريق سوى الاعتراف بالعجز عن بلوغ أداء ما يستحقه جل وعلا وتقدس .

وليحذر العبد أن يفقده الله حيث أمره أو يراه حيث نهاه وليثق به غاية الثقة لا بغيره فمن عامله جلَّ وعلا ربح وأفلح ورشد وأصلح .

الثانية : مُعَامَلَةُ النَفْسِ الأَمَارَةِ بِالسُّوءِ وَذَلِكَ بِمَنْعِهَا عَنِ هَوَاهَا ، قَالَ اللَّهُ
جَلَّ وَعَلَا ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ
الْمَأْوَىٰ ﴾ .

وَإِذْلَالِهَا وَرَدُّ جِمَاحِهَا بِالطَّاعَةِ وَكَسْرِهَا فَإِنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ أَكْبَرُ الأَعْدَاءِ وَذَلِكَ
بِأَنَّ يَنْظُرُ فِي الْقَلْبِ فَيَطْهِّرُهُ مِنَ الأَخْلَاقِ المَذْمُومَةِ كَالرِّيَاءِ وَالكِبْرِ وَالحَسَدِ
وَالعُجْبِ .

والبخل والحرص والطمع والمكر والخديعة والغش وحب الثناء والولوع
بالشهوات ومحبة الدنيا والغفلة عن الآخرة وغير ذلك مِنَ العَرَائِزِ المَذْمُومَةِ .
وَبِأَنَّ يَغْرِسَ فِيهِ الأَخْلَاصَ وَالتَّوَاضِعَ وَالنَّصِيحَةَ وَالشَّفِيقَةَ وَحُسْنَ الخَلْقِ
وَالتَّهَافُونَ بِالدِّمِّ لِأَنَّ الذِّمَّةَ يُدْمِكُ يُهْدِي لَكَ الحَسَنَاتِ .

فَلَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَأْتِيَ مِنَ المَذْمَةِ بَلْ أَفْرَحْ بِهَا إِنَّهَا يَأْتِي مِنْهَا الرَّجُلُ
الْمُتَكَبِّرُ الْمُتَعَاطِمُ فِي نَفْسِهِ الجَاهِلُ بِأَسْوَأِهَا وَإِنَّمَا مَثَلُهُ كَمَثَلِ الكِنَاسِ لِلْقَاذُورَاتِ
إِذَا قِيلَ إِنَّكَ مُتَلَطِّخٌ بِالنَّجَاسَةِ فَاعْسِلْهَا فَاسْتَعْظِمَ مَا قِيلَ لَهُ وَاشْمَازَ وَأَنِفَ مِنْهُ
وَغَضِبَ عَلَى القَائِلِ .

وَالْمُتَلَوِّثُ بِالدُّنُوبِ وَالأَخْلَاقِ الفَاسِدَةِ أَقْدَرُ وَأَسْوَأُ حَالاً مِنَ الكِنَاسِ
الْمُتَلَطِّخِ بِالنَّجَاسَةِ فَلَمَّاذَا يَغْضِبُ وَقَدْ اسْتَوْجِبَ الدِّمَّ سَرّاً وَجَهراً وَهُوَ أَخْسَرُ مِنْهُ
لَوْ تَفَكَّرَ وَأَبْصَرَ وَعَقَلَ وَفَهَمَ .

وَمَا يَنْبَغِي الأَعْتَاءُ بِهِ اعْتِمَادَ الشُّكْرِ وَالسُّخَاءِ وَمحبة الآخرة وما يقرب
إِلَيْهَا مِنَ الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ وَالإِعْرَاضِ عَنِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا المَحْرَمَةَ بِكُلِّ حَالٍ .
وَيَسْعَى فِي طَلْبِ الحَلَالِ مَا أَمَكَنَهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَخْلَاقِ المَحْمُودَةِ .
ثُمَّ يُطَهِّرُ لِسَانَهُ مِنَ الكَذْبِ وَالعِيبَةِ وَالتَّمِيمَةِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَسَائِرِ فَضَلَاتِ
الأَلْسِنَةِ .

ثُمَّ يُطَهِّرُ يَدَهُ وَبَطْنَهِ وَفَرْجَهُ وَسَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَسَائِرَ جَوَارِحِهِ وَيَنْظُرُ فِي

جَلِّ مَطْعَمِهِ وَمَلْبَسِيهِ وَسَائِرَ تَصَرُّفِهِ وَلَا يُطِيعُ نَفْسَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ هَوَاهَا إِلَّا اللَّهُمَّ
أَنْ يَخْشَى التَّفُورَ الْكَلْبِيَّ .

فإنه يُرَفِّهُ عَلَيْهَا بِشَيْءٍ مِنَ الْمُبَاحَاتِ مَعَ اسْتِحْضَارِ النِّيَّةِ الْحَسَنَةِ وَالْإِقْلَالِ
مَا أَمَكْنَ وَيَبْنِي نَفْسَهُ عَلَى الْإِتْيَانِ بِالطَّاعَةِ وَاجْتِنَابِ الْمَعْصِيَةِ مَا أَمَكْنَ .

(فِصْل)

عِلْمُ الْأَخْلَاقِ هُوَ عِلْمٌ بِأَصُولٍ يُعْرَفُ بِهَا أَنْوَاعُ الْفَضَائِلِ وَكَيْفِيَةُ
اِكْتِسَابِهَا وَأَنْوَاعِ الرَّذَائِلِ وَكَيْفِيَةُ اجْتِنَابِهَا وَفَائِدَةُ عِلْمِ الْأَخْلَاقِ تَخْلُقُ الْإِنْسَانَ
بِالْأَخْلَاقِ الْمَحْمُودَةِ وَتَجَنُّبُهَا الْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةَ كَمَا قِيلَ :

بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ كُنْ مُتَخَلِّقًا لِيَفُوحَ مِسْكُ ثَنَائِكَ الْعَطِيرِ الشَّدِيدِ
وَاصْدُقْ صَدِيقَكَ إِنْ أَرَدْتَ صِدَاقَةً وَادْفَعْ عَدُوَّكَ بِالَّتِي فَإِذَا الْيَدِي

وَرُوي أَنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ أَوْصَى وَلَدَهُ بِأَرْبَعِ حِكْمٍ اخْتَارَهَا مِنْ حِكْمِهِ
فَقَالَ لَهُ تَذَكَّرْ اثْنَتَيْنِ وَأَنْسِ اثْنَتَيْنِ فَأَمَّا اللَّتَانِ أَوْصَاهُ بِتَذَكَّرِهِمَا فَالذُّنْبُ وَالْمَوْتُ
وَأَمَّا اللَّتَانِ أَوْصَاهُ بِنَسْيَانِهِمَا فَاحْسَانُهُ لِلنَّاسِ وَإِسَاءَةُ النَّاسِ عَلَيْهِ وَقَدْ نَظَّمَهَا
بَعْضُهُمْ فَقَالَ :

إِذَا شَعْتَ أَنْ تَحْيَا وَدِينَكَ سَالِمٌ وَعَقْلَكَ مَوْفُورٌ يَزِيدُ وَيَكْمُلُ
فَكُنْ مُعْرِضًا عَنْ كُلِّ بَرٍّ صَنَعْتَهُ مَعَ النَّاسِ وَالسُّوءِ الَّذِي بِكَ يُعْمَلُ
وَكَنْ ذَاكِرًا لِلذُّنْبِ وَالْمَوْتِ تَعْمَلَنْ بِمَا اخْتَارَ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ الْمُفْضَلُ

الثالثة : مُعَامَلَةُ الشَّيْطَانِ وَذَلِكَ بِأَنْ يَبْنِي وَيَعْتَقِدُ أَنَّهُ عَدُوُّهُ اللَّذُوْدُ
النَّاصِبُ لَهُ الْعَدَاوَةُ لِيَلَّا وَنَهَارًا سِرًّا وَجَهَارًا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ ﴿ إِنَّ
الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوًّا فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ
السَّعِيرِ ﴾ .

وقال جل وعلا ﴿ أَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ

بئس للظالمين بدلا ﴿ وقال سبحانه وتعالى ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴿ .

الرابعة : معاملة الدنيا وهي كل ما لا نفع فيه في الآخرة فهو دُنيوي وما فيه نفع فأخروي وإن كان من أعمال الدنيا .

ومعاملة الدنيا بأن يعرف العبد أنه لا راحة فيها فلا يطلبها ولا يتعلق قلبه بالتنعم والترفة والرياسة فيها وليس له منها إلا الكفاية فلا يطلب منها إلا ما يطلبه المسافر مما يُبلِّغُه منزله .

وهذا لا يتم إلا بالبناء على قُرب الأجل وسُرعة الموت فإنه من أطلال الأمل أساء العمل .

الخامسة : مُعاملة الخلق وقد عظمت البلوى بهم فإن لهم حقوقاً ومنهم ويسببهم تنشأ أكثر الشرور فلنقم العبد بحقوقهم ويُسقط حقه ما أمكن وليُبعد عنهم جهده إن صلحت له العزلة .

وإن لم تصلح فلا يُجالس إلا من فيه خير فجليس الخير خير من الوحدة والوحدة خير من جليس السوء .

ويجب لإخوانه المسلمين ما يجب لنفسه لحديث « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

ويكره لهم ما يكره لها وتكون محبته في الله وبغضه في الله وموالاته ومعاداته كذلك .

ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر على ما توجبه الشريعة بقدر طاقته . ويملك نفسه عند الشهوة والغضب ولا يُعجل في شيء من الأمور فيخطي فإن العجلة تُكفي أم الندامة ولا يتوانى فينطل ولا يدهن على المعصية .

ولا يُخل بالمُدارات الجائزة عند خوف المصرة وليُحسن الظن بهم ما أمكنه وينظر إلى من فوقه في الدين فيقتدي به وإلى من دونه في الدنيا .

فِيَأْمَنُ مِنْ اخْتِقَارِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَيُكْثِرُ شُكْرَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَنْ فَضَّلَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ .

وَبِالْجُمْلَةِ فَمَا عُرِفَ رُشْدُهُ اتَّبَعَهُ وَمَا عُرِفَ قُبْحُهُ اجْتَنَبَهُ وَمَا التَّبَسَّ عَلَيْهِ تَوَقَّفَ فِي الْحُكْمِ وَاجْتَهَدَ فِي طَلَبِ مَعْرِفَتِهِ .

ثُمَّ يُعْمَلُ بِمُقْتَضَاهَا وَمَا تَعَارَضَ فِيهِ مُرَجِّحٌ لِلْفِعْلِ وَمُرَجِّحٌ لِلتَّرِكِ فَلْيَكُنْ مَيْلُهُ إِلَى التَّرِكِ كَالْكَلَامِ وَالصَّمْتِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُرَجِّحُ الْفِعْلِ أَقْوَى وَاللُّأْمُورَ قَرَائِنُ وَدَوَاعِي وَمَرْجِحَاتُ .

احفظ لسانك من ثمانية :

الأول : الكذب في الجِدِّ والهزل ولا تُعَوِّدْ نَفْسَكَ الكَذِبَ هَزْلاً فَيَدْعُوكَ إِلَى الكَذِبِ فِي الجِدِّ وَالكَذِبُ مِنْ أَرْدَلِ الرِّذَالِ إِذَا عُرِفَ بِهِ الشَّخْصُ وَاسْتَهْرَ عَنْهُ سَقَطَتْ عَدَالَتُهُ .

وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ قُبْحَ الكَذِبِ مِنْ نَفْسِكَ فَانظُرْ إِلَى كَذِبِ غَيْرِكَ وَإِلَى تُفَرَّتِ نَفْسِكَ عَنْهُ وَاسْتِخْقَارِكَ لِصَاحِبِهِ وَاسْتِغْبَاحِكَ لِكَذِبِهِ .
وَكَذَلِكَ فَافْعَلْ فِي جَمِيعِ عُيُوبِ نَفْسِكَ فَإِنَّكَ لَا تَذَرِي قُبْحَ عُيُوبِكَ مِنْ نَفْسِكَ بَلْ مِنْ غَيْرِكَ فَمَا اسْتَقْبَحْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ يَسْتَقْبَحُهُ غَيْرُكَ مِنْكَ بَلَا شَكِّ فَلَا تَرْضَ لِنَفْسِكَ ذَلِكَ .

الثاني : المُخْلَفُ فِي الوَعْدِ فَإِيَّاكَ أَنْ تَعِدَ بِشَيْءٍ وَلَا تَفِي بِهِ بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الإِحْسَانُ مِنْكَ إِلَى النَّاسِ فِعْلاً بَلَا قَوْلٍ فَإِنْ اضْطَرَّرْتَ إِلَى الوَعْدِ فَإِيَّاكَ أَنْ تُخْلِفَ إِلَّا لِعَجْزٍ أَوْ ضَرُورَةٍ .

فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عِلَامَاتِ النِّفَاقِ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ حَخْصَلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ حَخْصَلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا .

إذا أَوْثَمِنَ خَانَ ، وإذا حَدَّثَ كَذَبَ ، وإذا عَاهَدَ غَدَرَ ، وإذا تَخَاصَمَ
فَجَرَ « متفق عليه .

الثالث : حِفْظُ اللِّسَانِ مِنَ الْغَيْبَةِ ، والغيبة ذكرك أخاك بما يكرهه لو
سَمِعَهُ ، وَيَدْخُلُ فِيهَا التَّمْثِيلِيَّاتُ وَمُحَاكَاتُ الْهَيْئَاتِ .

الرابع : الْمِرَاءُ وَالْجِدَالُ وَمُنَاقَشَةُ النَّاسِ فِي الْكَلَامِ لِأَنَّ فِيهِ إِيْدَاءً
لِلْمُخَاطَبِ وَتَجْهِيلًا لَهُ وَطَعْنًا فِيهِ وَفِيهِ ثَنَاءٌ عَلَى النَّفْسِ وَتَرْكِيَةٌ لَهَا بِمَزِيدِ الْفِطْنَةِ
وَالْعِلْمِ ثُمَّ هُوَ أَيْضًا مُشَوِّشٌ لِلْعَيْشِ فَإِنَّكَ لَا تُمَارِي سَفِيهَا إِلَّا يُوْذِيكَ وَلَا تُمَارِي
حَلِيمًا إِلَّا يَقْلِبُكَ وَيَحْقِدُ عَلَيْكَ وَيَسْتَعِي فِي أذْنِكَ غَالِبًا .

الخامس : تَرْكِيَةُ النَّفْسِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ فَلَا تَرْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنِ اتَّقَى ﴾ .

قيل لبعض الحكماء : ما الصدق القبيح ؟ فقال : ثناء المرء على نفسه
فإيَّاكَ أَنْ تَتَّعَدَ ذَلِكَ وَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ يُنْقِصُ قَدْرَكَ حَتَّى عِنْدَ النَّاسِ .
فإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُعْرِفَ أَنَّ ثَنَاءَكَ عَلَى نَفْسِكَ لَا يَزِيدُ فِي قَدْرِكَ عِنْدَ غَيْرِكَ
فَانظُرْ إِلَى أَقْرَانِكَ وَزُمَلَانِكَ إِذَا أَثْنَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْفَضْلِ وَالْجَاهِ وَالْمَالِ .
وَكَيفَ يَسْتَنْكِرُهُ قَلْبُكَ عَلَيْهِمْ وَيَسْتَنْقِلُهُ طَبْعُكَ وَكَيفَ تَذُمُّهُمْ عَلَيْهِ إِذَا
فَارَقْتَهُمْ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ مِثْلَكَ بِالضَّبْطِ بِالْكَرَاهَةِ وَالذَّمِّ .

السادس : اللَّعْنُ فَإِيَّاكَ أَنْ تَلْعَنَ شَيْئًا مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ حَيْوَانٍ أَوْ طَعَامٍ أَوْ
إِنْسَانٍ بَعِيْنِهِ وَلَا تَقْطَعْ عَلَى أَحَدٍ مِنَ أَهْلِ الْقَبْلَةِ بِشْرِكَ أَوْ نِفَاقٍ أَوْ كُفْرٍ فَإِنَّ
الْمَطْلَعِ عَلَى السَّرَائِرِ هُوَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فَلَا تَدْخُلْ بَيْنَ الْعِبَادِ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى .

السابع : الدِّعَاءُ عَلَى الْخَلْقِ فَاحْفَظْ لِسَانَكَ عَنْ ذَلِكَ ، وَإِنْ ظَلَمَكَ فَكِلْ
أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاحْتَسِبِ الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ .

الثامن : الْمَزَاحُ وَالسُّخْرِيَّةُ وَالْإِسْتِهْزَاءُ بِالنَّاسِ فَاحْفَظْ لِسَانَكَ مِنْهُ فِي الْجِدِّ

وَالهَزَلُ فَإِنَّهُ يُرِيْقُ مَاءَ الْوَجْهِ وَيُسْقِطُ الْمَهَابَةَ وَيَسْتَجْلِبُ الْوَحْشَةَ وَيُؤْذِي الْقُلُوبَ .

وهو مَبْدَأُ الشَّرِّ وَاللِّجَاجِ وَالغَضَبِ وَمِفْتَاحُ الْعِدَاوَةِ وَالتَّصَاوُرِ وَالتَّدَابِيرِ وَيَغْرِسُ الْحِقْدَ فِي الْقُلُوبِ فَاحْذَرُ أَنْ تُمَارِجَهُمْ وَإِنْ مَارَ حَوْكَ فَلَا تَجْبِهِمْ .
وَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ وَكُنْ مِنَ الَّذِينَ إِذَا مَرُّوا بِاللُّغُورِ مَرُّوا كِرَامًا .

وَعَلَيْكَ بِالْإِبْتِعَادِ عَنِ مَنْ اتَّصَفُوا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الَّتِي هِيَ السُّخْرِيَّةُ .
وَالْمَرْحُ وَالِاسْتِهْزَاءُ وَنَحْوَهَا كَالْغِيْبَةِ وَالْكَذْبِ وَالتَّيْمَةِ وَالتَّجَسُّسِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ .

وهذه سَجَايَا الْأَرَاذِلِ وَالسُّفْلِ وَالْأَنْدَالِ وَالسَّاقِطِينَ وَسُخْفَاءِ الْعُقُولِ وَالبُعِيدِينَ عَنِ الدِّينِ وَتَعَالِمِهِ .

عَافَانَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ وَاللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فَصْلٌ فِي فَوَائِدِ مَنْوَعَةٍ)

وإِلَيْكَ بَعْضُ الْآدَابِ ، لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، وَلَا تَنْظُرْ فِي عِظْفَيْكَ وَلَا تَكْثُرِ الْإِلْتِفَاتِ ، وَلَا تَقْفُ عَلَى الْجَمَاعَاتِ ، وَإِذَا جَلَسْتَ فَلَا تَسْتَوْفِرُ ، وَلَا تُشِيْبَكَ أَصَابِعُكَ .

وَلَا تَعْبَثْ بِلِحْيَتِكَ وَخَاتَمِكَ ، وَلَا تُحَلِّلْ أَسْنَانَكَ تَوْذِي مَنْ حَوْلَكَ بِمَا يَفْوُحُ مِنْ فَمِكَ ، وَلَا تُدْخِلْ أَصَابِعَكَ فِي أَنْفِكَ فَتَخْرُجَ الْأَوْسَاحُ .

وَلَا تَكْثُرِ الْبِصَاقَ وَالتَّمْطِيَّ وَالتَّشَاؤُبَ ، وَلَا تَقْلَمُ أَضْفَارَكَ أَمَامَ الْجُلُوسِ ، فَكُلْ هَذِهِ تَكْرَهُ وَلَا تَنَامُ عِنْدَ الْجُلُوسِ ، وَلَا تَجْلِسُ عِنْدَ النَّيَامِ ، وَلَا تَنَامُ فِي سَطْحٍ مَا لَهُ حِجَا ، وَلَا تَنَامُ حَوْلَ النَّارِ ، وَلَا بِالطَّرِيقِ .

واحذر فترات الأوقات التلفزيون والفديو والمذياع والكفرة والجرائد والمجلات .

وليكن مجلسك هادئاً وحديثك منتظماً مرتباً مفتوحاً بذكر الله والصلاة على رسول الله ﷺ وبين للناس ما يعود عليهم بالمنافع الأخروية . ويشغلهم بما هم محتاجون إليه من أمور دينهم ودنياهم ، وليكن مجلسك ما يخلو من الفوائد أو من تخفيف الشرور ودفعها بحسب القدرة . ولا تليح في الحاجات ولا تعلم أحداً من أهلِكَ ووليكِكَ فضلاً عن غيرهم مقدار مالك فإنهم إن رآه قليلاً هنت عليهم وسقطت من أعينهم ، وإن رآه كثيراً لم تبلغ رضاهم .

واحذر أن تقسمه عليهم وأنت حي فتندم كما ندّم من فعل ذلك واجفهم من غير عنف وإن لهم من غير ضعف .

ولا تهازل أولادك ولا خدامك فيسقط قدرك عندهم وإذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وعجلتِكَ وتفكر في حجتِكَ .

ولا تكثر الإشارة بيدك ولا تكثر الالتفات إلى ورائك ولا تجت على ركبتيك وإذا هدأ غضبك فتكلم خشية أن يفرط منك ما تندم عليه ولا في إمكانك استدراكه .

وإياك وصديق العافية فإنه أعدى الأعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك .

وإذا أردت معاملة أحد من الناس أو أردت مصاهرته فاسأل أولاً عنه المعاملين له والجيران والقربان أو من سافروا معه .

واجتنب مصاحبة الكذاب فإنه مثل السراب يلمع ولا يتفع ، واحرص على أن لا تُعادي أحداً من المسلمين ولا تكون منك إساءة إلى من عاداك واضربك بل ادفع بالتي هي أحسن كما أرشد إليه الله في القرآن .

وأَحْسِنَ إليه وَلَيْنَ لَهُ الْقَوْلَ فَإِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ الْعُلَمَاءِ ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءُ أَنْ
يُبَدِّلُوا الْعَدُوَّ صَدِيقًا وَالْجَاهِلَ عَالِمًا وَالْفَاجِرَ بَرًّا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ وَأَصْنَعْ إِلَى الْكَلَامِ
الْحَسَنَ مِمَّنْ حَدَّثَكَ وَلَا تَسْأَلْهُ إِعَادَتَهُ .

وَاسْكُتْ عَنِ الْمَضَاحِكِ وَالْحِكَايَاتِ الَّتِي لَا تُعُودُ عَلَيْكَ إِلَّا بِالضَّرْرِ ،
وَلَا تُحَدِّثْ عَنِ إِعْجَابِكَ بِوَلَدِكَ وَكَلَامِكَ وَتَصْنِيفِكَ وَسَائِرِ مَا يُخْصُكَ .
وَلَا تَتَّصِنَعْ تَصْنَعُ الْمَرَأَةِ فِي التَّرْتِينِ ، وَلَا تَتَبَدَّلْ تَبَدُّلَ الْعَبْدِ وَلَا تُسَبِّلْ
ثِيَابَكَ وَاحْذَرْ أَنْ تَخْلُقَ لِحَيْتَكَ أَوْ تُوقِرَ شَارِبَكَ ، وَلَا تُشَجِّعْ أَحَدًا عَلَى ظَلَمٍ .
وَالْتَقِ صَدِيقَكَ وَعَدُوَّكَ بِعَيْنِ الرِّضَا مِنْ غَيْرِ مَدَلَّةٍ وَلَا هَيْبَةٍ وَتُوقِرْ مِنْ غَيْرِ
كِبَرٍ وَتَوَاضِعْ مِنْ غَيْرِ مَدَلَّةٍ وَكُنْ فِي أُمُورِكَ فِي أَوْسَاطِهَا فَكَلَّا طَرَفِي الْأُمُورِ
ذَمِيمٌ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَا تَعْلُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ وَاقْتَصِدْ كَلَّا طَرَفِي قَصِدِ الْأُمُورِ ذَمِيمٌ
وَقَالَ آخَرَ :

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا طَرِيقٌ إِلَى نَهْجِ الصِّرَاطِ قَوِيمٌ
وَلَا تَكُ فِيهَا مُفْرِطًا أَوْ مُفْرَطًا فَإِنَّ حَالَ الْأُمُورِ ذَمِيمٌ
أَمْسَكَ الْمَعْرُوفَ عَنْ ثَلَاثَةٍ : عَنْ اللَّيْمِ فَإِنَّهُ كَالْأَرْضِ السَّبْحَةَ لَا تُثَبِّتُ
وَتُغَيِّرُ الْمَاءَ الْحُلُوَّ إِلَى الْمَرَارَةِ .

وَأَمْسِكْهُ عَنِ الْفَاجِحِ الْبَيْدِيِّ بِالْقَوْلِ وَالْفَعْلِ فَإِنَّهُ يَرَى مَا أُعْطِيَتْهُ خَوْفًا
مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ .

وَأَمْسِكْهُ عَنِ الْأَحْمَقِ وَهُوَ الْجَاهِلُ فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ قَدْرَ الْمَعْرُوفِ فَلَا قِيَمَةَ
لَهُ عِنْدَهُ .

مِنْ كَفَارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ وَالتَّتَفُّيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ .
إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُتَابِعُ النِّعَمَ عَلَيْكَ وَأَنْتَ تَعْصِيهِ فَاحْذَرُهُ .

وقال علي رضي الله عنه : مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ
وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ
نَفْسِهِ وَاعْظُ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ .

وَشْتَمَ أَحَدَ الْعُقَلَاءِ رَجُلٌ فَلَمْ يَغْضَبْ فَقِيلَ لَهُ لِمَا لَا تُغْضِبُ فَقَالَ لَا
يَخْلُو هَذَا الَّذِي شَتَمَنِي إِمَّا أَنْ يَكُونَ صَادِقًا فَلَا يَتَّبِعُنِي لِي أَنْ أَغْضَبَ عَلَيْهِ مِنْ
أَجْلِ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَلَا أُخْرَى أُنِي مَا أَغْضَبُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ أَكُنْ عَلَى مَا قَالَ .

قال أحمد بن عاصم الأنطاكي : إني أدركتُ من الأزمنة زماناً عادَ فيه
الاسلام غريباً كما بدأ وعادَ وصُفَّ الحق فيه غريباً كما بدأ إن ترغَّب فيه إلى عالم
وَجَدْتُهُ مَفْتُونًا بِحُبِّ الدُّنْيَا يُحِبُّ التَّعْظِيمَ وَالرِّيَاسَةَ وَيَكْرَهُ لَا أُدْرِي إِذَا سُئِلَ .
وإن ترغَّب فيه إلى عابِدٍ وَجَدْتُهُ جَاهِلًا فِي عِبَادَتِهِ مَحْلُوعًا صَرِيحاً غَدْرُهُ
إِبْلِيسُ قَدْ صَعِدَ بِهِ إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ الْعِبَادَةِ وَهُوَ جَاهِلٌ بِأَدْنَاهَا فَكَيْفَ بِأَعْلَاهَا .
وَسَائِرُ ذَلِكَ مِنَ الرَّعَاجِ هُمُجٌّ وَذِنَابٌ مُخْتَلَسَةٌ وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ وَثَعَالِبٌ
ضَوَّارِي هَذَا وَصَفَّ أَهْلَ زَمَانِكَ مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ وَالْقُرْآنِ وَدُعَاةِ الْحِكْمَةِ ،
أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ .

أَتَى مَلِكٌ إِلَى زَاهِدٍ فِي الدُّنْيَا وَقَالَ لَهُ بَلِّغْنِي شِدَّةَ زُهْدِكَ فَأَتَيْتَكَ فَقَالَ لَهُ
أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ هُوَ أَزْهَدُ مِنِّي .

قال بلي ، قال أنت لأني زهدتُ في الدنيا الفانية ، وزهدت أنت في
الجنة الباقية .

وسئل ابن المبارك من الناس ، قال العلماء العالمون بعلمهم وسئل من
الملك قال الزهاد ، وسئل من السفلة قال المراؤون الذين يعيشون بدينهم .
كان أبو حازم يمر على الفاكهة بالسوق ويقول : موعِدُكَ الْجَنَّةَ فَلَا
يَأْكُلُهَا .

قال الخليفة هشام بن عبد الملك لسالم بن عبد الله بن عمر عند الكعبة :

سَلَّنِي حَاجَتَكَ ، فَقَالَ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَجِي أَنْ أَسْأَلَ فِي بَيْتِهِ غَيْرَهُ .
فَلَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ هِشَامُ الْآنَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِ اللَّهِ فَاسْأَلْنِي ،
فَقَالَ مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا أَمْ الْآخِرَةِ .

قَالَ مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا ، فَقَالَ سَأَلِمَّ مَا سَأَلْتَهَا مِنْ يَمْلِكُهَا ، فَكَيْفَ
أَسْأَلُهَا مِنْ لَّا يَمْلِكُهَا .

سَلِ الْإِلَهَ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ فَهُوَ الَّذِي يُرْتَجَى مِنْ عِنْدِهِ الْأَمَلُ
فَإِنْ مُنِحَتْ فَلَا مَنْ وَلَا كَدْرٌ وَإِنْ رُدِدَتْ فَلَا ذَلٌّ وَلَا خَجَلٌ
سَأَلَ الشَّعْبِيَّ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ لَا أَدْرِي فَقِيلَ لَهُ فَبِأَيِّ شَيْءٍ تَأْخُذُ رِزْقَ
السُّلْطَانِ فَقَالَ لِأَقُولَ لَا أَدْرِي لِمَا لَا أَدْرِي .

وقيل أما تستحي من كثرة ما تقول لا أدري فقال لكن الملائكة المقربين
لم يستحيوا حين سُئلوا عما لا يعلمون أن يقولوا « لا أعلم لنا إلا ما علمتنا إنك
أنت العليم الحكيم » .

كان عبد الله بن المبارك في غزوة فنزل عند نهر ونصب رُمحه وربط
فرسه وتوضأ وشرع يصلي فلما سلم وجد فرسه أنها إنفلتت وأكلت من
الزرع .

فقال أكلت فرسي حراماً فلا يتبغني لي أن أغزو عليها فتركها لصاحب
الزرع واشترى غيرها وغزا عليها .

وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت : لم يمتل جوف النبي ﷺ شبعاً
قط ولم يئث شكوى إلى أحد .

وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى وإن كان ليظلل جائعاً يلتوي طول
ليلته من الجوع فلا يمتعه صيام يومه .

ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها فأعطي
ولقد كنت أبكي له رحمة مما أرى وأمسح بيدي على بطنه مما به من
الجوع . وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقولك فيقول يا عائشة

مالي وللدنيا إخواني من أولى العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا
فمضوا فقدموا على ربهم .

فأكرم ما بهم وأجزل نوابهم فأجذني أستحي إن ترفهت في معيشتي أن
يقصر بي غدا دونهم .

وما من شيء أحب إلي من اللحوق بإخواني وأحلامي ، قالت فما أقام
بعدي إلا شهراً حتى توفي صلى الله عليه .

اطعم أبو الدرداء ضيوفاً ولما ناموا لم يكن عنده لحف تُعطيهم فاتاه
أحدُهُم فوجد أبا الدرداء وأهله بدون غطاء فسأله أين متاعكم فقال أبو الدرداء
لنا دار هناك (يُريد الآخرة) تُرسل إليها تباعاً كل ما نحصل عليه .

ولو استبقينا في هذه الدار شيئاً لأرسلناه إليك إن الطريق إلى تلك الدار
عقبة كثود المخيف فيها خير من المثقل فأردنا أن نحفف لعلنا نتجاوزها .

أرسل سليمان بن عبد الملك وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه إلى العالم
صفوان وهو يصلي غلامه بخمسمائة دينار في كيس فقال له الغلام ألت
صفوان ، قال : بلى ، قال أخذ هذا المال من الخليفة .

قال صفوان هذا المال ليس لي أنت مخطيء فاذهب وتثبت من الخليفة
قال أمسك الكيس حتى أعود قال : لا إن أمسكته فقد أخذته .

أذهب به معك فذهب الغلام ، وأخذ صفوان نعليه وخرج من المسجد
ولم يعد إلى المسجد حتى سافر الخليفة . لله ذره هذا من رقم (١) في الزهد .

قالوا تعطف قلوب الناس قلت لهم أذنى من الناس عطفاً خالئ الناس
وكيف أبسط كفي للسؤال وقد قبضتها عن بني الدنيا على اليأس
تسليم أمري إلى الرحمن أمثل بي من استلامي كف البر والقاسي

ذكر عن الامام أحمد أنه سمع بحديث عند عالم في دمشق فسافر من بغداد

إليه فلما وصل دمشق سأل أحمدُ عنه فدلَّ عليه فلما قَرَّبَ مِنْ بَيْتِهِ وَجَدَهُ
خارجاً مِنْ بَيْتِهِ يَقُودُ حِمَارَهُ .

وقد كان حَمَلًا أَفْرَضَ الحِمَارُ أَنْ يَمْشِيَ فحاولَ جَرَّهُ أَوْ سَوَّقه فَأَبَى
فَجَمَعَ جُبَّتَهُ وَرَفَعَهَا لِلحِمَارِ لِيُوهِمَ الحِمَارَ أَنْ فِيهَا شَعِيرًا أَوْ نَحْوَهُ فَتَبِعَهُ الحِمَارُ .
فَتَبَيَّنَ لِلإمامِ أحمدُ أَنَّ الجُبَّةَ خالية ما فيها شيء ففَرَكَ أحمدُ هذا العالم ولم
يَسْأله عن الحديث حَيْثُ تَبَيَّنَ لَهُ كَذِبُهُ على الحِمَارِ .

اللهم لِبَابِكَ قَصَدْنَا وَقَبُولِكَ أَرَدْنَا وَعَلَى رَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَجُودِكَ
اعْتَمَدْنَا وَإِلَى عِزِّكَ اسْتَنْدَدْنَا وَفِي مَرْضَاتِكَ إِجْتَهَدْنَا وَبِهَادِيَتِكَ اسْتَرْشَدْنَا .
فَلَا تُكَلِّمْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ وَاصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ ، اللَّهُمَّ إِنَّا بَكَ
مُسْتَشِيرُونَ وَبِعِزَّتِكَ مُسْتَظْهِرُونَ وَإِلَيْنَاكَ مُفْتَقِرُونَ وَمِنْ تَقْصِيرِنَا مُسْتَعِيدُونَ .
وَمِنْ ذُنُوبِنَا مُسْتَغْفِرُونَ وَلِشَامِلِ عَفْوِكَ مُنْتَظِرُونَ وَفِي خَفِيِّ أَلْطَافِكَ
مُسْتَبْصِرُونَ وَلِعَظِيمِ انْتِقَامِكَ مُسْتَحْضِرُونَ وَلِعَمِيمِ صَفْحِكَ مُسْتَشْفِعُونَ .
وَلِعُقْرَانِكَ وَعَفْوِكَ وَرَحْمَتِكَ مُنْتَظِرُونَ فَاتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ
حَسَنَةً وَقَنَا عَذَابُ النَّارِ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

(فِصْل)

كَتَبَ المَنْصُورُ إِلَى جَعْفَرِ الصَّادِقِ يَقُولُ لَهُ أَلَا تَرُورُنَا كَمَا يَزُورُنَا النَّاسُ ،
فَأَجَابَهُ لَيْسَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا نَخَافُكَ عَلَيْهِ ، وَلَا عِنْدَكَ مِنَ الآخِرَةِ مَا نَرْجُوهُ
مِنْكَ ، وَلَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ فَتْهِنِكَ بِهَا ، وَلَا فِي نَقْمَةٍ فَتَعَزِّيكَ .
فَكَتَبَ إِلَيْهِ المَنْصُورُ تَصْحَبِنَا لِتَنْصَحَنَا فَقَالَ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا لَا
يَنْصَحُكَ ، وَمَنْ يَطْلُبُ الآخِرَةَ لَا يَنْصَحُكَ .

شَكَى عَامِلٌ لِعَمَرَ بْنِ عَبْدِالعَزِيزِ كَثْرَةَ العَمَلِ وَأَنَّهُ يَسْهَرُ اللَّيْلَ لِذَلِكَ ،
فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَيْهِ يَا أَحْيَى أَذْكَرُ طُولَ سَهْرِ أَهْلِ النَّارِ مَعَ خُلُودِ الأَبَدِ .
وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْصَرِفَ بِكَ العَمَلُ عَنِ اللهِ فَيَكُونَ آخِرَ العَهْدِ بِكَ وَانْقِطَاعَ

الرجاء منك ، فلما قرأ الكتاب قَدِمَ على عمر ، وقال خَلَعْتَ قَلْبِي بِكِتَابِكَ لَا
أَعُودُ إِلَى وِلَايَةِ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ .

مَرَّ أَحَدُ النَّاسِ بِجَمَاعَةِ يَتْرَامُونَ بِالنَّبْلِ وَرَجُلٌ جَالِسٌ بَعِيداً عَنْهُمْ ، فَأَرَادَ
أَنْ يُكَلِّمَهُ ، فَقَالَ ذِكْرُ اللَّهِ أَشْهَى عَلَيَّ ، فَقَالَ لَهُ أَنْتَ وَحَدِّكَ فِي هَذَا فَقَالَ مَعِيَ
رَبِّي جَلَّ وَعَلَا وَمَلَكَايَ .

فَقَالَ لَهُ مَنْ سَبَقَ مِنْ هَؤُلَاءِ ، فَقَالَ مَنْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ ، فَقَالَ لَهُ أَيْنَ
الطَّرِيقُ ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَقَالَ وَمَشَى وَقَالَ يَارَبُّ أَكْثَرَ خَلْقِكَ مَشْغُولٌ
عَنْكَ .

قِيلَ إِنَّهُ مَرَضَ يَعْقُوبُ بْنُ لَيْثٍ مَرَضاً أَعْيَا الْأَطْبَاءَ فَاسْتَجَدَّ بِسَهْلِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ الرَّاهِدِ ، وَقَالَ لَهُ ادْعِ اللَّهَ لِي أَنْ يَشْفِيَنِي .

فَقَالَ كَيْفَ يُسْتَجَابُ دُعَائِي لَكَ وَالْمَظْلُومُونَ مَا فُرِّجَ عَنْهُمْ فَأَطْلَقَ الْأَمِيرُ
الْمَظْلُومِينَ فَقَالَ سَهْلٌ : اللَّهُمَّ كَمَا أَرَيْتَهُ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ فَأَرِهِ عِزَّ الطَّاعَةِ وَفَرِّجْ عَنْهُ
فَقِيلَ إِنَّهُ عَوَفِيَ بِإِذْنِ اللَّهِ فَعَرَضَ عَلَى سَهْلٍ مَا لَأَفْرَفَهْضُهُ وَقَالَ لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ .
وهذا من رقم (١) في الزهد .

حَبَسَ بَعْضُ الْمَلُوكِ شَخْصاً ظُلماً بَضِعَ سِنِينَ فَلَمَّا حَضَرَتْ الْوَفَاةُ
الْمَظْلُومِ الْمَسْجُونِ كَتَبَ رِقْعَةً .

وَقَالَ لِلسَّجَانِ إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَوْصِلْ هَذِهِ الرِّقْعَةَ إِلَى الْمَلِكِ فَمَاتَ الرَّجُلُ .
وَإِذَا مَكْتُوبٌ فِي الرِّقْعَةِ : أَيُّهَا الْعَاقِلُ إِنَّ الْخِصْمَ قَدْ تَقَلَّمَ ، وَالْمُدَّعِي
عَلَيْهِ بِالْأَثَرِ وَالْمُنَادِي جَبْرِيْلُ ، وَالْقَاضِي الَّذِي سَيَحْكُمُ بَيْنَنَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى بَيِّنَةٍ
لأنه أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً وَهُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ وَأَعْدَلُ الْعَادِلِينَ .

مِنْ أَعْجَبِ حَالَاتِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ يَحْسِبُ لِكُلِّ شَيْءٍ حِسَاباً وَيَسْتَعِدُّ لَهُ
يَخْشَى الْفَقْرَ فَيَدَّخِرُ لَهُ الْمَالَ وَيَخْشَى الْبَرْدَ فَيَسْتَعِدُّ لَهُ وَالْحَرَّ كَذَلِكَ .

وَيَخْشَى الشَّيْخُوخَةَ وَالْكِبَرَ فَيَسْتَعِي فِي تَحْصِيلِ الْأَوْلَادِ لَعَلَّهُمْ
يَخْدُمُونَهُ عِنْدَ الْعَجْزِ وَيُخْلِفُونَهُ فِي شُؤُونِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ وَهَكَذَا .

لَكِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْمَوْتُ الَّذِي رُبَّمَا فَاجَأَهُ فِي حِسَابِهِ فَلَا يَسْتَعِدُّ لَهُ مَعَ أَنَّهُ يُشَاهِدُ الْمَوْتَى يَذْهَبُونَ وَلَا يَعُودُونَ .

وَهُوَ مُهَدَّدٌ بِالْمَوْتِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ خُصُوصاً فِي زَمَانِنَا الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ أَسْبَابُ مَوْتِ الْفَجْأَةِ نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوقِضَ قُلُوبَنَا لِلِاسْتِعْدَادِ لَهُ .

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ وَإِنْ أَضْمَرْتُمْ عَلِمَ ، وَبَادَرُوا الْمَوْتَ الَّذِي إِنْ هَرَبْتُمْ عَنْهُ أَدْرَكَكُمْ ، وَإِنْ أَقَمْتُمْ أَنْجَذَكُمْ ، وَإِنْ نَسِيتُمْوهُ ذَكَرَكُمْ .

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِذَا كُنْتَ فِي إِذْبَارِ الْمَوْتِ فِي إِقْبَالٍ فَمَا أَسْرَعَ

الْمُلْتَقَى .

وَقَالَ آخَرٌ : الدُّنْيَا كَطَرِيقٍ فِيهِ شَوْكٌ مُغْطَى بِالتُّرَابِ يَدُوسُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَسْلَكَهُ فَيَنْحَسُهُ وَيَضُرُّهُ وَيُؤَلِّهُ وَيَقْفُ عَنْهُ مَنْ اسْتَرَابَ بِهِ فَيَسْلُمُ مِنْ شَرِّهِ .

وَقَالَ مَنْ مَالَ إِلَى الدُّنْيَا تَعَجَّلَ التَّعَبَ فِيهَا وَكَانَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ فَنَائِهِ .
وَقَالَ مَا أَغْفَلَ مَنْ تَيَقَّنَ بِالرَّحِيلِ عَنِ الدُّنْيَا وَهُوَ مِنْهُمْ كَ مُجْتَهِدٌ فِي عِمَارَتِهَا وَالْجَدِيدُ بِالْعَاقِلِ أَنْ يَجْعَلَ جُلَّ أَوْقَاتِهِ لِلْآخِرَةِ وَلَا يَنْسَى نَصِيحَتَهُ مِنَ الدُّنْيَا .

فَمَنْ جَعَلَ هَمَّهُ كُلَّهُ لِلدُّنْيَا ضَيَّعَ نَفْسَهُ ، وَفَعَلَ السَّبَبَ لَا يَنَافِي التَّوَكُّلَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَوْ أَنْكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرْوِحُ بَطْنَاناً » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

فَفِي الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَى طَلْبِ الرِّزْقِ الْكَفَافِ وَعِمَارَةِ الْآخِرَةِ تَفِيدُ الرَّاحَةَ فِي الدُّنْيَا وَالنَّعِيمَ فِي الْآخِرَةِ وَعِمَارَةُ الدُّنْيَا تَكْسِبُ التَّعَبَ فِيهَا وَالشَّقَاءَ بَعْدَ مَفَارَقَتِهَا .

وَالْآخِرَةُ صَبْرٌ قَلِيلٌ وَسُرُورٌ طَوِيلٌ .

وَقَالَ آخَرٌ : الْمَوْتُ رَاحَةٌ لِمَنْ كَانَ عَبْدَ شَهْوَتِهِ وَمَمْلُوكَ هَوَاهُ لِأَنَّهُ كَلَّمَا

طالت حَيَّاتُه كَثُرَتْ سِيئَاتُه وَانْبَثَّتْ فِي الْعَالَمِ جَنَائِاتُه .
وقال : الموت محمود على كل حال لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ ، فَأَمَّا الْبُرُّ فَيَصِلُ إِلَى مَا
قَدَّمَ مِنْ صَالِحِ أَعْمَالِهِ وَجَمِيلِ أَعْمَالِهِ ، وَأَمَّا الْفَاجِرُ فَيَسْتَرِجِعُ الْعَالَمَ مِنْ فَجْوَرِهِ
وَشُرُورِهِ وَيَقِلُّ تَزْيِيدُهُ مِنَ الْأَوْزَارِ .

وختاماً فإن الانسان عند موته ينكشف له الحجاب فإن كان ممن رضي
الله عنه ينكشف له من سعة رحمة الله وجلاله ما تكون الدنيا بالاضافة إليه
كالسجن المضيّق .

يفتح له باب إلى الجنة ويأتيه من روحها ويريحانها ويوسع له قبره مد
بصره .

وإن كان من أهل الشقاء فيرى نفسه محفوفة بالمخازي والفضائح
والأنكال ويضيّق عليه قبره . ويفتح له باب إلى النار ويأتيه من حرها وسمومها
نعوذ بالله من ذلك .

والعجب من غفلتنا وهذه العظام بين أيدينا وأعجب من ذلك فرحنا
بأموالنا وأهلينا وأولادنا وأصدقائنا مع العلم أننا سنُفارق الجميع ولكننا في غفلة
ولو لم يكن للعاقل هم ولا غم إلا التفكير والتأمل في خطر تلك الحالة وهول
المطلع لكان كافياً في استغراق جميع العمر ولكن ما عَرَفَ قَدْرَ الْعُمْرِ وَعَرَفَ
الدنيا حَقِيقَةً إِلَّا أَفْرَادٌ مِنَ الْأَلْفِ الَّذِي تَمَسَّكُوا بِسِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ
الَّذِينَ جَعَلُوا الدُّنْيَا مَطِيَّةً لِلْآخِرَةِ نَسَأَلَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَنْ يُوفِّقَنَا لِسُلُوكِ طَرِيقِهِمْ وَأَنْ
يَجْزِيَهُمْ عَنَّا وَعَنْ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ، اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَالْحَسَدِ
وَالكِبْرِ وَالْعُجْبِ وَالرِّيَاءِ وَأَعِينْنَا مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي
الصُّدُورَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَارْحَمْنَا بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ يَا رَبَّ
العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(فصل)

قيل لرسول الله ﷺ في المنام « إن سيداً بنى داراً ووضع مأذبةً وأرسل داعياً ، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأذبة ورضي عنه السيد . ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يطعم من المأذبة وسخط عليه السيد فالله السيد ومحمد الداعي والدار الإسلام والمأذبة الجنة » .

الكلام أيسر الأعمال وأكثرها أهمية فكم من كلمة أتت بخير عظيم لا يقدر قدره إلا الله وكم من كلمة أزلت نعماً ورؤوساً عن أعناقها .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول « إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب » متفق عليه .

وقال ﷺ « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلى ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه .
وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلى ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه » رواه مالك في الموطأ والترمذي .
الكلام ينقسم قسمين نافع وضار ، فالنافع مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبيان الحق والدفاع عنه والدعوة إلى الله وإرشاد الضال والتبنيه على الخطر ونحو ذلك .

والكلام الضار مثل القذف ومثل البهتان وهو أن تجعل لإنسان مسلم صفة مذمومة هو خال منها ومن الكلام الضار الدفاع عن الباطل وأعظم الكذب الكذب على الله وعلى رسوله .

وَلَا يَجُوزُ حَتَّى عَلَى سَائِرِ النَّاسِ إِلَّا مَا اسْتَشْنِي وَذَلِكَ فِي الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ وَفِي الْحَرْبِ وَفِي حَدِيثِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثِ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا .
وما عدا ذلك فهو حرام بجميع أنواعه ومنه دحض الحق وشهادة الزور ويكون في السباب واللعن والبذاءة والفحش ومنه النفاق والرياء والسخرية بالمسلمين حتى المزاح والتمثيلات ونحو ذلك .

كان لأبي حنيفة دين على أحد الناس ولما رأى المديونُ أبا حنيفة في الطريق فرزع منه وهرب فناداهُ أبو حنيفة وقال له : أنا سَامَحْتُكَ بِالَّذِينَ لِأَنِّي رَوَّعْتُكَ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرْوَعَ مُسْلِمًا » رواه أبو داود . أين الورعون هل يوجد في زمننا منهم أحد ؟

عَتَبْتُ عَلَى عَمْرٍو فَلَمَّا فَقَدْتُهُ وَجَرَّبْتُ أَقْوَامًا بَكَيْتُ عَلَى عَمْرٍو

أكيس الناس رجل وفقه الله لطاعته فعمل بها ثم دل الناس عليها .

العارف لا يفتقر عن ذكر الله لأن الله يقول ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾

ولا يمل من أداء حقوق الله ولا يأنس بغيره .

مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ أَرْحَمُ بِهِ مِنْ نَفْسِهِ وَأَنْصَحُ لَهُ مِنْهَا وَأَعْلَمُ بِمَصَالِحِهِ وَأَنَّ

كُلَّ مَا مِنَ اللَّهِ نِعْمٌ فَقَدْ شَكَرَ اللَّهَ .

مَنْ عَرَفَ اللَّهَ حَقِيقَةً صَفًا لَهُ الْعَيْشُ وَطَابَتْ لَهُ الْحَيَاةُ وَهَابَهُ كُلُّ شَيْءٍ

وَذَهَبَ عَنْهُ خَوْفُ الْمَخْلُوقِينَ وَأَنْسَ بِاللَّهِ تَعَالَى .

وَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ أَحَبَّهُ لِأَنَّ مَصْدَرَ الْخَيْرِ وَالنِّعْمَةِ مِنْهُ جَلٌّ وَعَلَا

يُعْطِي الْإِنْسَانَ كُلَّ مَا يُرِيدُ وَفَوْقَ مَا يُرِيدُ إِذَا شَاءَ .

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِنْ تَعَدَّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِنْ اللَّهُ

بِالنَّاسِ لِرُؤُوفٍ رَحِيمٍ ﴾ فَهُوَ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ وَأَجْوَدُ الْأَجْوَدِينَ .

أَحَبُّ الْمَحْبُوبِينَ رِبِّهِمْ حُبًّا شَعَرُوا مَعَهُ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُمْ يَرَاهُمْ دَائِمًا فَتَأَدَّبُوا أَدَبًا

أَصْبَحُوا مَعَهُ لَا يَقُولُونَ إِلَّا أَحْسَنَ الْقَوْلِ .

وَلَا يَعْمَلُونَ إِلَّا أَحْسَنَ الْعَمَلِ لِأَنَّهُمْ مُتَيَقِّنُونَ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُمْ بِعِلْمِهِ وَإِحَاطَتِهِ

وَاطْلَاعِهِ أَيْنَمَا كَانُوا وَاسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ وَخَافُوا غَضَبَهُ وَإِعْرَاضَهُ عَنْهُمْ

فَاسْتَقَامُوا كَمَا أَمَرُوا .

قَالَ بَعْضُهُمْ عَلَامَةُ مَحَبَّةِ اللَّهِ إِثَارُ طَاعَتِهِ وَمُتَابَعَةُ نَبِيِّهِ ﷺ ، وَقَالَ آخَرُ

أَحَبُّتُ اللَّهَ حُبًّا سَهْلًا عَلَيَّ كُلِّ مُصِيبَةٍ وَرِضَانِي فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ فَمَا أَبَالِي مَعَ حُبِّي

إِيَّاهُ مَا أَصْبَحْتُ عَلَيْهِ وَمَا أَمْسَيْتُ .
وَأَنْتَ الَّذِي لَوْ بَاعَ بِالرُّوْحِ وَدَّهُ وَمَالِي سِوَى رُوحِي تَقَدَّمْتُ أَشْتَرِي
لَيْسَ بِصَادِقٍ مَنْ ادَّعَى مَحَبَةَ اللَّهِ وَلَمْ يَحْفَظْ حُلُودَهُ وَيُؤَدِّي فَرَائِضَهُ .
وقال آخر : إن الله سبحانه خبأ أربعاً في أربع ، رضاه في طاعته فلا
تَحَقَّرُوا مِنْهَا شَيْئاً فَلَعَلَّ رِضَاهُ فِيهِ وَخَبَأَ غَضَبَهُ فِي مَعْصِيَتِهِ فَلَا تَحَقَّرُوا مِنْهَا شَيْئاً
فَلَعَلَّ غَضَبَهُ فِيهِ وَخَبَأَ وَلَايَتَهُ فِي عِبَادِهِ فَلَا تَحَقَّرْ مِنْهُمْ أَحَدًا فَلَعَلَّهُ وَلِيُّ اللَّهِ وَخَبَأَ
إِجَابَتَهُ فِي دُعَائِهِ فَلَا تَتْرُكِ الدُّعَاءَ قُرْبَمَا كَانَتْ الْإِجَابَةُ فِيهِ .

الصالحون يَبْنُونَ أَنْفُسَهُمْ وَالْمُصَلِحُونَ يَبْنُونَ الْجَمَاعَاتِ .
إِذَا رَغِبَ الْمَلِكُ عَنِ الْعَدْلِ رَغِبَتِ الرَّعِيَّةُ عَنِ الطَّاعَةِ .
ما ذَلَّ قَوْمٌ حَتَّى ضَعُفُوا ، وَمَا ضَعُفُوا حَتَّى تَفْرُقُوا وَمَا تَفْرُقُوا حَتَّى
اِخْتَلَفُوا وَمَا اِخْتَلَفُوا حَتَّى تَبَاغَضُوا وَمَا تَبَاغَضُوا حَتَّى تَحَاسَدُوا فَاسْتَأْثَرَ بَعْضُهُمْ
عَلَى بَعْضٍ .

لا شيء أضر على الدين والدنيا من إشراك العامة فيما هو شأن الخاصة
وَمِنْ تَصَدَّرَ الصَّغِيرُ مَكَانَ الْكَبِيرِ وَإِنزَالِ الْجَاهِلِ مَكَانَ الْعَالِمِ .
لَا تُفَرِّحُكَ الطَّاعَةُ لِأَنَّهَا بَرَزَتْ مِنْكَ وَأَفْرَحَ لِأَنَّ اللَّهَ وَقَفَّكَ لِإِعْمَالِهَا
وَيَسِّرَهَا عَلَيْكَ وَأَعَانَكَ عَلَيْهَا .

التوكل اعتداد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة بالله
وفعل الأسباب .

وقال آخر : التوكل هو أنك إذا أردت أن تعمل عملاً عملته بجهد واثقاً
مَعَ اعْتِقَادِكَ أَنَّ التَّوْفِيقَ فِيهِ يَأْتِيكَ مِنَ اللَّهِ لَا مِنْ عَمَلِكَ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي عَلَّمَكَ
وَأَلْهَمَكَ مَا يَجِبُ أَنْ تَعْمَلَ وَأَعَانَكَ عَلَيْهِ وَسَهَّلَ لَكَ سَبِيلَهُ ثُمَّ وَقَفَّكَ فِيهِ هَذَا
فَإِنَّكَ تَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ التَّوْفِيقَ وَالنَّجَاحَ .

ليس التوكل ترك الأسباب والتخلي عنها بل معناه انحصار الأمل في الله

وحده والإلتجاء إلى تدبيره وحكمته .
 وعَدَمَ تعلق القلب بالأسباب لأنها وحدها لا تغني عن الله شيئاً .
 قيل لأبي حازم غَلَبَ الأسعار فقال ما يهكم من ذلك إن الذي يرزقنا
 في الرخص هو الذي يَرْزُقُنَا في العلاء .
 من الكرامات أن تُبَدَّلَ خُلُقاً ذَمِيماً بِخُلُقٍ حَسَنٍ .
 ومن أعظم الكرامات الاستقامة على شرع الله تعالى .
 من أخلاق المؤمن حُسْنُ الحديث إذا حَدَّثَ وَحُسْنُ الاستماع إذا حَدَّثَ
 وحسن البشر إذا لُقِيَ ووفاء بالوعد إذا وَعَدَ ، والله أعلم .

(فصل)

الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي مهنة الأنبياء
 والمرسلين والعلماء العاملين بالكتاب والسنة .
 لهذا كانت أشرف مهنة وأحسن مهنة وأعظم المهنة وأكثرها ثواباً عند
 الله وأكثرها لزوماً .
 فالأمة التي لا تُوجَدُ فيها أمة ضائعة يتولاها إبليس لعنه الله فيفسدها .
 هذه الطاعة لها أصول وإمكانيات فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
 يجب على القائم بهما أن يكون عارفاً ماذا يقول وماذا يفعل .
 وأن يبدأ بنفسه فيأمرها بالمعروف وينهاها عن المنكر ثم يأتي الناس
 فيأمرهم بالصدق بعد ما يتصف به .
 وينهى عن الغيبة بعد ما يتوب منها .
 وينهى عن الملامية بعد ما يُنْضَفُ بِيَتُّهُ منها وَيَتَجَنَّبُهَا وَهَلُمَّ جَرًّا .
 ثم يجب أن يَتَّبِعِي بذلك وجه الله تعالى لا يُرِيدُ بذلك رِيَاءً وَشُهْرَةً وَلَا
 سَمْعَةً .
 وأن يكون بذلك لَبِيقاً لَطِيفاً حَكِيماً عَمَلًا بقوله تعالى ﴿ أذْعُ إِلَى سَبِيلِ

ربك بِالْحِكْمَةِ والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴿١٠﴾ .
ولابد أن يَكُونَ واسعَ الصدر صَبُوراً حَلِيمًا داعياً للناس بالتوبة والتوفيق
ويَدْعُوهم بِرَفِيقٍ وَشَفِيقَةٍ ولطف بهم .

وقد يُصَابُ الأمرُ بالمعروف والناهي عن المنكر بأذى أو مَهَانَةٍ أو سِجْنٍ
أو قَتْلِ فَلْيَصْبِرْ وَيَحْتَسِبِ الأجرَ والثوابَ مِنَ الله تعالى .
وقد يَبَيِّنُهَا ربُّنا بقوله عن لقمان ﴿١١﴾ يَا بُنَيَّ أقم الصلاة وأمر بالمعروف
وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴿١٢﴾ .

ومن أمثلة بَدْءِ الإنسان بنفسه أولاً أن وَلَدًا كان يُدَخِّنُ فجاء والدهُ إلى
الأستاذِ الذي كان يُدرِّسُ الولدَ وقال إن ابني يُدَخِّنُ وقد حَاوَلْتُ مَنَعَهُ منه فلم
أَقْدِرُ وَأودُّ أنكَ تَنْصَحُهُ .

فَوَعَدَهُ أنه يَنْصَحُهُ فاتاه بعدَ مُدةٍ وأخبرَهُ أن الولدَ مُسْتَمِرٌّ على حاله ثم
عَاوَدَهُ بعد مُدةٍ فَوَعَدَهُ خَيْرًا ثم تَرَكَ الولدَ التدخينَ فجاء أبوه إلى الأستاذِ يَتَشَكَّرُ
منه .

فقال الأستاذُ : إن تَأْخُرِي عن المُبَادَرَةِ بِنَصْحِهِ لأني كُنْتُ أَدَخِّنُ فلذا
بَدَأْتُ بِنَفْسِي وَحَاوَلْتُ تركه فلما قَدِرْتُ على تركِهِ نَصَحْتُهُ فَفَعَلَتِ النَصِيحَةُ
بإذن الله أه .

شعراً :

يا أيها الرجلُ المعلمُ غَيْرَهُ هلا لِنَفْسِكَ كان ذا التَّعْلِيمِ
إبدأ بِنَفْسِكَ فانْهَها عن غيرها فإذا انْتَهَتْ عنه فانتَ حَكِيمٌ
فهناكَ يُقْبَلُ ما تقولُ وَيُقْتَدَى كما يَصِحُّ به وأنتَ سَقِيمٌ
تصِفُ الدواءَ لِذِي السِّقَامِ من الضَّيْنِ عِظْتَ وأنتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمٌ
ما زلتَ تَلْفَحُ بِالرَّشَادِ عقولنا

ويقول الآخر :

أَتَطْمَعُ أَنْ يُطِيعَكَ قَلْبُ سَعْدَى وَتَزْعُمُ أَنَّ قَلْبَكَ قَدْ عَصَاكَ
وإياك والغلظة والشدة في النصيحة فإنهما يُسَبِّبانِ الرد والتشام والسياب
والاستمرار على الحالة السيئة أو أسوأ .

قال الله جل وعلا لموسى حين أرسله لفرعون ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ
يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .
(فصل)

البخيل يستعجل الفقر الذي هرب منه وَيَقْوُثُهُ الْغِنَى الذي هو يَطْلُبُهُ
فيعيش في الدنيا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ وَيُحَاسِبُ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ .

البخيل هو الرجل الوحيد الذي يَسْتَبْشِرُ وَرَثَتَهُ بِمَرْضِيهِ وَمَوْتِهِ .
لا تغتر بالمال وإن كَثُرَ فَالْآفَاتُ كَثِيرَةٌ وَرُبَّمَا يَكُونُ فِي كَثْرَتِهِ هَلَاكُكَ .
كان إبراهيم ابن أدهم ولي عهد في إيران فترك المملكة واشتغل بالعبادة
بدمشق وعمل حارساً في بُسْتَانَ لِيَكْسِبَ عَيْشَتَهُ مِنَ الْحَلَالِ .

وفي يوم أتى إليه وَكَيْلُهُ لما كان في الإمارة وَقَدَّمَ إِلَيْهِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ
وقال له ثوفي عَبْدَ لَكَ فِي إِيرَانَ وَخَلَّفَ هَذِهِ الدَّرَاهِمَ فَآتَيْتُ بِهَا إِلَيْكَ فَقَالَ لَا
حَاجَةَ لِي بِهَا .

قَالَ فَمَاذَا أَعْمَلُ بِهَا قَالَ خُذْ لَكَ عَشْرَةَ أَلْفٍ وَأَعْطِ صَاحِبَ الْبُسْتَانِ
عَشْرَةَ أَلْفٍ .

وأنفق على فقراء إيران عشرة آلاف .
هكذا كانوا يَخَافُونَ الْغِنَى كما يَخَافُ النَّاسُ مِنَ الْفَقْرِ .
سئل ابن مَرْتَدُ مَالِكَ لَا تَجِفْ عَيْنُكَ مِنَ الْبُكَاءِ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَوَعَّدَنِي إِنْ
أَنَا عَصَيْتُهُ أَنْ يَسْجُنَنِي فِي النَّارِ وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدَنِي إِلَّا أَنْ يَسْجُنَنِي فِي الْحَمَامِ
لَكُنْتُ حَرِيماً أَلَا تَجِفُّ عَيْنِي مِنَ الْبُكَاءِ .

وسئل إبراهيم بن أدهم فَقِيلَ لَهُ لِمَا لَا تُخَالِطُ النَّاسَ فَقَالَ إِنْ صَحِبْتُ مَنْ
هُوَ دُونِي آذَانِي بِجَهْلِهِ وَإِنْ صَحِبْتُ مَنْ فَوْقِي تَكَبَّرَ عَلَيَّ وَإِنْ صَحِبْتُ مَنْ هُوَ

مِثْلِي حَسَدَنِي فَاسْتَعْلَتْ بِمَنْ لَيْسَ فِي صُحْبَتِهِ مِلَالٌ وَلَا فِي وَصْلِهِ إِنْقِطَاعٌ وَلَا فِي الْأَنْسِ بِهِ وَخَشْيَةٌ .

مُصَاحِبَةُ الْأَحْمَقِ الْجَاهِلِ كَمُصَاحِبَةِ الْحَيَّةِ لَا تَدْرِي مَتَى تَلْدَغُكَ .
مَا لِي أَرَى الشَّمْعَ يَبْكِي فِي مَوَاقِدِهِ مِنْ حُرْقَةِ النَّارِ أَمْ مِنْ فُرْقَةِ الْعَسَلِ
مَنْ لَا تُجَانِسُهُ إِحْدَرُ تُجَالِسُهُ مَا ضَرَّ بِالشَّمْعِ إِلَّا صُحْبَةُ الْفَتَلِ
لَأَنَّ الْفَتِيلَةَ مِنْ قَطْنٍ أَوْ نَحْوِهِ وَالشَّمْعَ مِنْ دَهْنٍ أَوْ نَحْوِهِ فَهَمَا مَتَبَايِنَانِ
بَعِيدَا أَحَدَهُمَا عَنِ الْآخَرِ فَلِهَذَا اخْتَرَقَ الشَّمْعُ لَنَا صَاحِبَتَهُ الْفَتِيلَةَ وَكَذَلِكَ الْأَحْمَقُ
بَعِيدٌ عَنِ الْعَاقِلِ فِي الْمَعْنَى فَلَا يَنْبَغِي لَهُ صُحْبَتُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وآلِهِ وَسَلَّمَ .

(ف ص ل)

[البشارات التي بشر الله تعالى بها المتقين في القرآن]

الأولى : البُشرى بالكرامات ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى ﴾ الآية .

الثانية : البُشرى بالعون والنصرة ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ الآية .

الثالثة : البُشرى بالعلم والحكمة ﴿ إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾

الآية .

الرابعة : البُشرى بكفارة الذنوب وتعظيم المتقي بتعظيم أجره ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ الآية .

الخامسة : التوفيق للعلم ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ الآية .

السادسة : البُشرى بالمغفرة ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

السابعة : اليسر والسهولة في الأمر ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ

يُسْرًا ﴾ .

الثامنة : الخروج من الغم والمحنة ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ

مَخْرَجًا ﴾ .

التاسعة : رزق واسع بأمن وفراغ ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾
العاشرة : النجاة من العذاب والعقوبة ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ .
الحادية عشرة : الفوز بالمراد ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ ﴾
الآية ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ .

الثانية عشرة : التوفيق والعصمة ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ .
الثالثة عشرة : الشهادة لهم بالصدق ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ .

الرابعة عشرة : بشارة الكرامة والأكرمية ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
أَتْقَاهُمْ ﴾ .

الخامسة عشرة : بشارة المحبب ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ .
السادسة عشرة : الفلاح ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .
السابعة عشرة : نيل الوصال والقربة ﴿ وَلَكِنَّ يَتَأَلَّهُ الْتَقْوَى مِنْكُمْ ﴾ .
الثامنة عشرة : نيل الجزاء بالمحنة ﴿ إِنَّهُ مِنْ يَتَّقِي وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا
يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

التاسعة عشرة : قبول الصدقة ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .
العشرون : الصفاء والصفوة ﴿ فَاتَّخِذْ مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ .
الحادية والعشرون : كمال العبودية ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ .
الثالثة والعشرون : الجنات والعيون ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ .
الثالثة والعشرون : الأمن من البلية ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ .
الرابعة والعشرون : عز الرفوة على الخلق ﴿ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ﴾ .

الخامسة والعشرون : زوال الخوف والحزن من العقوبة ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ
مَفَازًا . حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا . وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ الآيات .

السابعة والعشرون : قَرُبَ الحِضْرَةَ واللِّقَاءِ والرُّؤْيَةَ ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ . فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ .
الثامنة والعشرون : أن لا عداوة بينهم ﴿ الأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ .

التاسعة والعشرون : إِصْلَاحُ أَعْمَالِهِمْ وَمَغْفِرَةٌ ذُنُوبِهِمْ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ .

الثلاثون : تقرب الجنة لهم قال تعالى ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .
شِعْرًا : أَسِيرُ الخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَأَقِفُ

بِهِ وَجَلُّ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ
يَخَافُ ذُنُوبًا لَمْ يَغِبْ عَنْكَ غَيْبُهَا

وَتَرْجُوكَ فِيهَا فَهَوَ رَاجٍ وَخَائِفُ
فَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْجَى سِوَاكَ وَيُتَّقَى

وَمَا لَكَ فِي فَضْلِ القَضَاءِ مُخَالِفُ

فَيَا سَيِّدِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي

إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الحِسَابِ الصَّحَائِفُ

وَكُنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلْمَةِ القَبْرِ عِنْدَمَا

يَصُدُّ ذُورًا القُرْبَى وَيَجْفُو المُوَالَفُ

لَيْنَ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الوَاسِعُ الَّذِي

أَرْجِي لِإِسْرَافِي فَإِنِّي لَتَالِفُ

عَضَمْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الزَّلَّلِ وَوَفَّقْنَا لِصَالِحِ العَمَلِ وَهَدَانَا بِفَضْلِهِ
سَبِيلَ الرُّشَادِ وَطَرِيقَ السُّدَادِ إِنَّهُ جَلُّ شَأْنُهُ نِعَمَ المَوْلَى وَنِعَمَ النُّصَيْرِ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

اللهم إنا نعوذ بك من شرِّ أَسْمَاعِنَا وَمِنْ شَرِّ أَبْصَارِنَا وَمِنْ شَرِّ أَسْنِنَتِنَا
وشرِّ قُلُوبِنَا وشرِّ مَنِينِنَا .

اللهم عافنا في أبداننا وفي أَسْمَاعِنَا وفي أَبْصَارِنَا اللهم إنا نعوذ بك من
الفقرِ والكُفْرِ ، اللهم إنا نعوذُ بك من عَذَابِ القَبْرِ لا إلهَ إلا أنت .

اللهم إنا نعوذ بك من علمٍ لا يَنْفَعُ وَعَمَلٍ لا يُرْفَعُ ودُعَاءٍ لا يُسْمَعُ .
اللهم إنا نعوذ بك من زوالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفَجْأَةِ نِقْمَتِكَ ،
اللهم انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَعَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَزِدْنَا عِلْمًا الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ
وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ .

اللهم أَغْنِنَا بِالْعِلْمِ وَزَيِّنَا بِالْحِلْمِ وَأَكْرِمْنَا بِالثَّقْوَى وَجَمِّلْنَا بِالْعَافِيَةِ .

اللهم إنا نَسْأَلُكَ صِحَّةً فِي إِيمَانٍ وَإِيمَانًا فِي حُسْنِ خُلُقٍ وَنَجَاحًا يَتَّبِعُهُ
فَلَاحٌ ، وَرَحْمَةً مِنْكَ وَعَافِيَةً وَمَغْفِرَةً مِنْكَ وَرِضْوَانًا .

اللهم إنا نعوذ بوجهك الكريم واسمك العظيم من الكفر والفقر .
اللهم إنا نَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قُلُوبَنَا ، وَتَجْمَعُ بِهَا شَمْلَنَا ،
وَتُلِمُّ بِهَا شَعْبَتَنَا ، وَتَرُدُّ بِهَا الْفِتْنَآ ، وَتُصَلِّحُ بِهَا دِينَنَا ، وَتَحْفَظُ بِهَا غَائِبَنَا ، وَتَرْفَعُ
بِهَا شَاهِدَنَا ، وَتُرَكِّبِي بِهَا عِلْمَنَا ، وَتُبَيِّضُ بِهَا وُجُوهَنَا وَتُلْهِمَنَا بِهَا رُشْدَنَا
وَتَعْصِمَنَا بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ .

اللهم أعطنا إيماناً صادقاً وبقيناً ليس بعده كفر ورحمةً تنال بها شرف
كرامتك في الدنيا والآخرة .

اللهم إنا نَسْأَلُكَ الفوز عند القضاء وَمَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَعَيْشَ السُّعَدَاءِ
وَالنَّصْرَ عَلَى الأَعْدَاءِ وَمِرافقة الأنبياء .

اللهم ما قَصَّرَ عَنْهُ رَأْيُنَا وَضَعُفَ عَنْهُ عَمَلُنَا وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتُنَا وَأُمْنِيَّتُنَا مِنْ خَيْرٍ
وَعَدْتُهُ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ وَخَيْرٍ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَإِنَّا نَرْغِبُ إِلَيْكَ فِيهِ
وَنَسْأَلُكَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللهم أرزقنا أعيناً هطالةً تُشفيان القلبَ بذُرُوفِ الدُمُوعِ مِن خَشْيَتِكَ
قَبْلَ أَنْ تُكُونَ الدُمُوعُ دَمًا والأضراسُ جَمْرًا .

اللهم اجعلنا هداةً مُهتدين غيرَ ضالين ولا مضلين حَرَبًا لأعدائك وسِلْمًا
لأوليائك نَحْبُ نَحْبِكَ النَّاسِ وَنُعَادِي بَعْدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَكَ مِن خَلْقِكَ .
اللهم إنا نَسْأَلُكَ الأَمْنَ يَوْمَ الوَعِيدِ مِنَ العَذَابِ الشَّدِيدِ وَنَسْأَلُكَ الجَنَّةَ
دارَ الخلودِ معَ المقربينَ الشهودِ والركعِ السجودِ والموفينَ بالعهودِ والوعودِ إنك
غفورٌ رؤوفٌ وَدُودٌ .

اللهم إنا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الطاهرِ الطيبِ المباركِ الأَحَبِّ إِلَيْكَ الَّذِي إِذَا
دُعِيَ بِهِ أَجَبْتَ وَإِذَا سُئِلْتَ بِهِ أُعْطِيتَ وَإِذَا اسْتُرْجِمْتَ بِهِ رَجِمْتَ وَإِذَا
اسْتَفْرَجْتَ بِهِ فَرَجْتَ .

يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ يَا وَاحِدٌ أَحَدٌ يَا فَرْدٌ صَمَدٌ يَا مَنْ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ أَنْ تَفْتَحَ لِدُعَائِنَا بابَ القَبولِ
والاجابة .

وَأَنْ تُرْزُقَنَا صِدقَ التَّوْبَةِ وَحُسْنَ الإِنابَةِ وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ
المُسلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا رَحِمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وكان الفراغ من تأليف هذا الكتاب

يوم السبت الموافق ١٤٠٦/٤/٢ هـ الساعة العاشرة والنصف

(عبد العزيز بن محمد بن سلمان)

